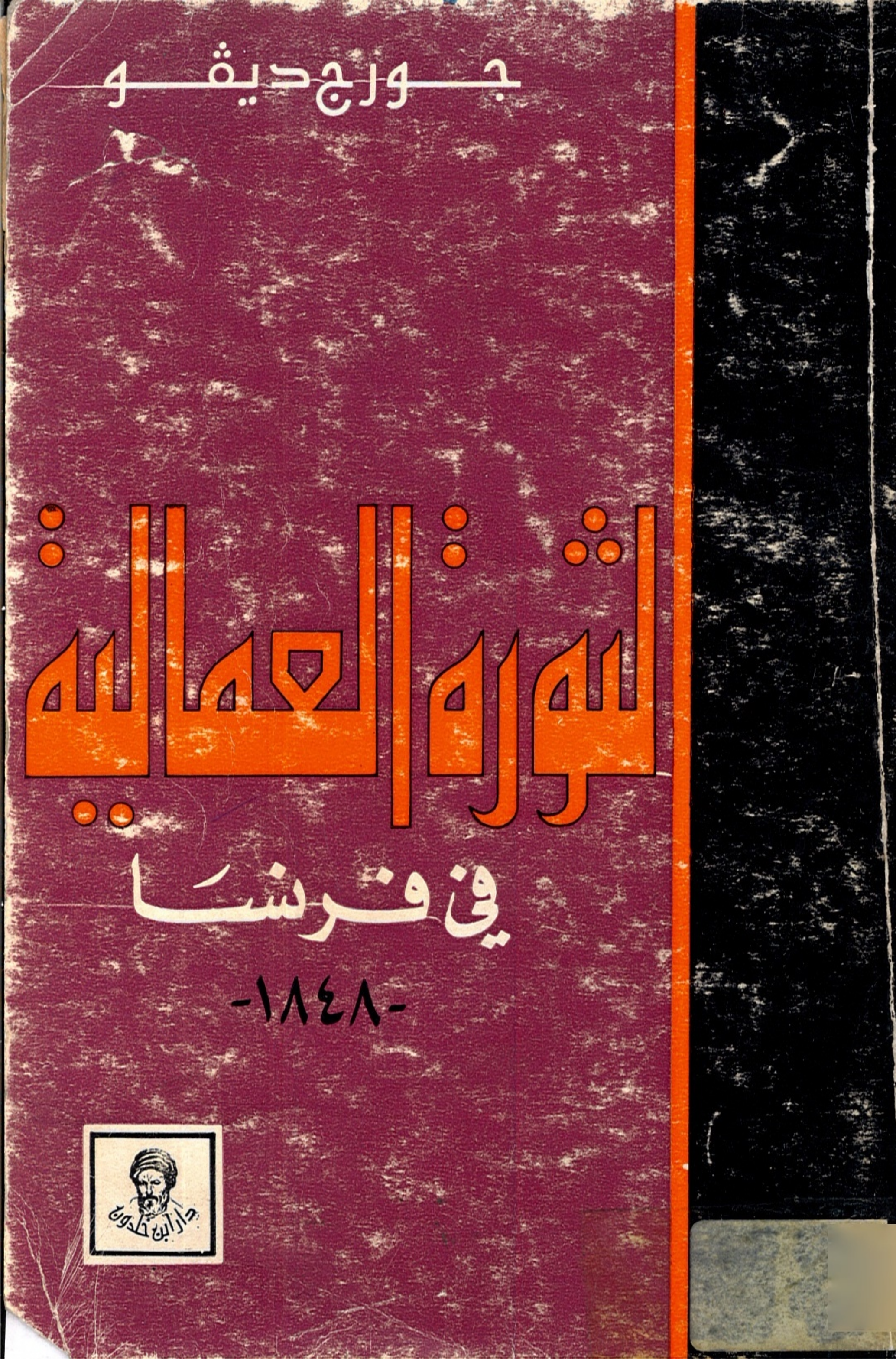


جورج ديقو
الثورة العمالية
في فرنسا
-١٨٤٨-
دار ابن خلدون

جــورج دوفــو

ثورة ١٨٤٨ العمالية

في فرنسا

ترجمة : عبدالهادي عبيد

أوه ! متى تأتـي الحلوه !
منذ آلاف ومئات السنين
وجان غوتربيه (*) يناديك
جمهوريـة الفلاحيـن

بيير دوبـون

(*) (غوتربيه : ذا الحذاء الكبيـر)

ص . ب ٩٣٠٨ ، بيروت – لبنان

ثورة ١٨٤٨ العمالية

في فرنسا

بـــروق فبراير (شباط)

هناك ايام كثيرة في عام ١٨٤٨ : الفترة التي تبتديء بمتاريس فبراير وتنتهي بمتاريس يونيه (حزيران) عندما انهـــار الجنـــرال كافينياك ، بعد تكليفه من قبل الديكتاتورية ، تحت وطأة الاحداث . ونحن في تعدادنا لها منذ البداية انمـــا نضع نقاط استدلال ، علائم لا بـــد منهـــا .

ايام فبراير : في ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ فبراير ، يهدر الهياج الشعبي الذي سوف يطيح بالملكية . ــ ايام ١٦ و١٧ مارس (آذار) . في ١٦ ، سرايا الحرس الوطني الرجعية تزمجر بشراسة ، في اليـــوم التالـــي قامت مظاهرة شعبية عنيفة مضادة . ــ في ١٦ ابريـــل (نيســـان) مظاهرة شعبيـــة اخرى . انهـــا اكثر عنفا واتقادا من تلك التي جرت في ١٧ مارس . لكنهـــا وُجِّهت وروّقت وأخمدت من قبل الجناح المعتدل في الحكومة المؤقتة . ان يوم ١٦ من نيسان يندرج في النهايـــة بيـــن ايام الرجعية . ــ ١٥ من ايار : اجتياح قصر البوربون من قبل الشعب . سيطرت الحكومة بسرعة علـــى الهيجان لكـــن هوة عميقة تفصل الان بين أهالي باريس وبين مجلس النواب . ــ ايام يونيه : طوال اربعـــة ايام ، ٢٣ و ٢٤ و٢٥ و ٢٦ يونيه ، الدم يسيـــل ، باريس البرجوازيـــة وباريس العاملـــة تتذابحان . ــ ان ايام يونيه السوداء ، التي تبرز بوضوح المشـــاكل الحديثة للعمل والتي لم نستطع حلهـــا بعد في هذه الايام ، هـــي ذات دلالة اجتماعيـــة اكثر عمقا من ايام فبراير . بامكاننا ان نتبين ببســـاطـــة ، ورغم المظاهر ، ان اجهزة الملكية البرجوازية كانت تعمل بشكل سيء : لم يكـــن فبراير ، بحصر المعنى ، مفاجـــأة غامضة . بيـــد انـــه ذو طابع صبياني ، بشوش واعتباطي : وعلى النقيض من

ذلك فان سمــة الحتميــة تطبع حزيران . فــي شباط ، وجـــه غافروش (١) دون ان يدري ما يفعل ، ضربة بسيطة للملكية وانهار العرش الذي كنــا نظنه اكثر صلابة . في حزيران (يونيه) اصبح غافروش محزنا ، انــه لا يبتسم ابدا لان العائلــة كان ينقصهــا الخبز في غالب الاحيان . نزل الى الشارع من جديد ، يحركـــه انفعال عنيف ، لكنه دون بارقة امل في افقه ، كانت الجمهوريــة قد ماتت في قلبه منذ زمــن بعيد .

(١) غافروش هو رمز لرجل الشارع الجريء والساخــر فــي باريس القــرن التاسع عشر (م) .

اليـــوم الاول

الثلاثاء ٢٢ شباط ١٨٤٨ ، استفاقت باريس جزعة ، الناس يرتعشون لكن بشكل ظاهري كما هو الحال في المسرح . كانوا يتصورون حدوث كوميديا خصبة بالاحداث ، لكن المأساة لم تخطر ببال احد . الجو مكفهر والسماء رصاصية ، هبات ريح تصفر ، يسقط مطر خفيف ناعم بارد . ومع ذلك فان عامل الميكانيك في لاشابيل وعامل النسيج في ضاحية سان دنيس او ابنوسبي ضاحية سان انطوان لم يضعوا وقتهم في استيضاح البارومتر . في تاريخ الهياج الشعبي الباريسي ، الطقس الرديء هو فوق ذلك امر عادي، يؤكد هذه القاعدة استثناء واحد : ٤ ايلول ١٨٧٠ ، الذي شهد ولادة الجمهورية الثالثة ، كان يوم احد مشرقا ، ذهبيا .. شاغل واحد كان يحرك اصحاب الحوانيت والعمال في ذلك الصباح ، صباح ٢٢ شباط : بالقرب من الشانزليزيه،في الارض البورالتابعة للاب نيتو Nito والتي ينبغي ان يقام عليها حفل اصلاحي كبير ، هل سيقرر البوليس واعضاء المعارضة ان يصطدموا ؟

ان المبارزة التي طالما أجّلت جعلت الباريسيين الذين يستحسنون هذا المشهد ، فارغي الصبر . وبالتأكيد فان لويس فيليب ، « العجوز الخبيث » ، الذي صوّر على الدوام وبلا رحمة بشكل كاريكاتوري ، ليس محبوبا من الشعب لكن ، بما عرف عنه من كثرة الحيل في جعبته ، لم يكن يخطر ببال احد انه لن يحتفظ بعرشه هذه المرة . وبالمقابل كان غيزو ، المكروه اكثر من الملك ، يبدو اسرع عطبا اذ ان عامل النسيج وعامل النجارة على وفاق في التفكير بانه يمكن اعادته الى دراسته . انه يستأثر بالسلطة منذ ثماني سنوات ويحكم باسلوب استعلائي لا يطاق سيما وان هذه

العجرفة يرافقهـــا ذل ممجوج تجاه القوى الاجنبيـــة . .
... غافروش (١) يستعجل بعزم سماع بضع رصاصات تصفر في الشـــوارع !

يسقط غيزو ، يحيا الاصلاح ! كم من الاحلام تركزت حـول كلمة « الاصلاح » هذه ! لنفتح مجلة صغيرة تستلهم السان سيمونية وذات اهميـــة خاصة ، **الخلية الشعبية** . لقد نشر عامل الطباعـــة جان بابتسيت كوتان ، الذي سيلعب دورا ما بعد عشرين سنة في الحيـــاة السياسية للامبراطورية الثانية ، دراسة (ت ٢ ١٨٤٠) تبيـــن جيدا كيف ان الانعتاق الاجتماعي والاصلاح الانتخابي ،بنظر عدد من العمال ، يسيران جنبا الى جنب : « فاذا كنا نركز علـى الكلام (هكذا) عند الاصلاح الانتخابي فلانه بنظرنا ذو اهمية كبرى . بواسطته سنتمكـــن من الحصول من نوابنا ، عندمـــا ننتخبهم نحن العمال ، على **تنظيم العمل** ، دون ان نتبنى وجهة نظـــر وضيعه لفرع صناعي واحد بل مؤمنين لكل الصناعات نفس المكاسب التي لـــن يمسها احد دون ان يكون قـــد اقترف جريمة . ان هذا سيشكل خطوة كبيرة نحو المساواة والاخاء ذلك انه يقرر اجرا واحدا ومدة عمل واحدة لعمال جميع المهـــن ...

القانون الانتخابي كما نبتغيه هو وسيلة : **تدمير البؤس والتعاليم** المعمم على الجميع ، هذا هو هدفنا » . في خريف ١٨٤٣ ، قـــررت عناصر مختلفة تنتمي الى اليسار الراديكالي ، مثل ليدرو رولان او فلوكون ، او الى الاشتراكية ، مثل لويس بـــلان ، قررت تأسيس جريدة اكثر نشاطا وديمقراطية من **«الناسيونال»** التي تعبر بشكل مفرط عن طغمة ، عن طبقة مغلقة . ما هو الاسم الجديد الـــذي سيطلقونه على هذه الجريدة الجديدة التي ستلقى مباشرة حظـــوة كبيـــرة لدى العمال المتعلمين ؟ **الاصلاح** . كثيرون هم ايضا الملكيون الذيـــن يتطلعـــون الى تحولات عميقـــة تقريبا في نظام الانتخاب .

---

(١) غافروش هو رمز لرجل الشارع الجريء والساخـــر في باريس القـــرن التاسع عشر (م) .

وهناك « شرعيون »(١) ، مثل القس دي جينودرئيس تحرير صحيفة Larochejaquelein
غازييت دي فرانس ، ومثل لاروش جاكلين
يعلنون انفسهم انصارا للانتخاب العام . هذا بالاضافة الى عدد من الاورليانيين الذين يجلسون في وسط المجلس التشريعي ويهاجمون غيزو بشدة ، في الوقت الذي يعلنون فيه اخلاصهم للملك — انهم يؤلفون ما سمي حينذاك « المعارضة الملكية » — ويطالبون «بتوحيد الكفاءات » ، ويريدون الا تضم الهيئة الانتخابية الرجال الاغنياء فقط ، وانما يجب ان تشمل ايضا رجالا متعلمين . في ٨ اذار Duvergier De Hauranne
١٨٤٧ ، قدّم دوفرجيه دي اوران
وهو برلماني من طراز رفيع لكنه ذو ذكاء محدود ، مشروعا خجولا ومحددا للاصلاح يقترح ايجاد ٢٠٠ الف صوت جديد . دافع عن هذا المشروع ، بحرارة ، محام وقور ، كثير الاطالة لكنه كبير النفوذ ، هو اوديلون بارو Odilon Barrot . وهكذا كثرت الحفلات الاصلاحية في ارجاء فرنسا حيث يترافق الراديكاليون والملكيون ، لكن ليس بدون اصطدامات .

من اجل توسيع الهيئة الانتخابية ، من اجل ايقاف الازمة ، من من اجل تغطية العجز في ميزانيتنا ، من اجل بعث بولونيا وايطاليا ، من اجل ان ننتزع من بريطانيا الغادرة سيطرتها التامة على البحار ، لم يجد الفرنسيون شيئا افضل من ان يجتمعوا في ولائم اخوية وان يعبروا عن فرحهم امام عيون اوديلون بارو (٢) ذات الزرقة الخزفية او امام وجه كريميو (٣) crémieux الذي يشبه القرد . كان عدد لا ينتهي من الانخاب قد شرب على شرف « الاصلاح الانتخابي والبرلماني » ، « ثورة تموز » ، « الصحافة » ، « نواب المعارضة » ، و« تحسين وضع الطبقات الكادحة » الخ . وبصورة عامة فان هذه الولائم كانت تضم البرجوازيين فقط . وعلى مقربة من الذين يأكلون ، كان هناك عمال متأهبين ، منتبهين ، محترمين ،

---

(١) انصار آل بوربون من الملكيين .

(٢) النائب الذي تزعم حملة اقامة المآدب .

(٣) محام ونائب متحمس للمآدب والاصلاح الانتخابي .

وجديين ، عمال لا يشكون ابدا في ان هذه الفصاحة الفائضة لن تعجل ابدا خلاصهم . بين الولائم العديدة التي اقيمت في خريف ١٨٤٧ ، تحتل وليمة روان مكانة خاصة لان لها اهميتها في تاريخنا الادبي ولانها اسهمت في بلورة نظرية الفن للفن . ان لهجة هذا الحفل واسلوبه وانحطاطه المبتذل قد اغاظت فلوبير الذي كان بين الـ ١٨٠٠ مدعو . ولسوف يعتكف فلوبير في في برجه العاجي لكي يتخلص من اوديلون بارو وكريميو . كان حفل روان برئاسة المحامي سينار Sénard الذي سوف يدافع ، بعد عشر سنوات ، امام محكمة الجنايات عن فلوبير المتهم بالاساءة الى الاخلاق الدينية والعامة بكتابته « مدام بوفاري » . كان سينار يتصدر حوالي عشرين نائبا بينهم اوديلون بارو ، دوفرجيه دي اوران وكريميو . لقد باح فلوبير بسر غضبه على صدر لويز كولي(١) : « اي ذوق هذا ! اي طبيخ ! اي نبيذ ! أية خطب ! لا شيء يدفعني الى الاشمئزاز الكلي اكثر من النجاح اذا كان الحصول عليه يتم باي ثمن . لقد حافظت على هدوئي مع غثيان من القرف وسط الحماس الوطني الذي كانت تثيره « دفة الدولة ، الهاوية التي نسير اليها : شرف علمنا ، ظل راياتنا ، أخوّة الشعوب » وشعارات أخرى من نفس الطينة . ان اروع آثار معلمينا لن تحظى بربع هذه التصفيقات . وهيهات ان تثير قصيدة « الكأس والشفاه » لموسيه Musset صرخات الاعجاب ، التي كانت تنطلق من كل انحاء القاعة للعواءات الفاضلة لاوديلون بارو ولبكاء كريميو على وضع ماليتنا . بعد هذه الجلسة التي قضيت فيها تسع ساعات امام لحوم الديك الرومي البارد والخنزير الرضيع وبصحبة حداد اقفالي الذي كان يربت على كتفي في الاماكن الطريفة ، عدت متجمدا حتى الاحشاء » . واذا كان فلوبير قد احتفظ بطبع بارد وحزين امام هذه المباراة البلاغية فان عمال النسيج ببراون ، كانوا ، على غرار رفاقهم الباريسيين يلتهبون .

(١) شاعرة فرنسية صديقة فلوبير .

وليمـة الدائرة الثانيـة عشرة

في مطلع ١٨٤٨ ارادت الدائرة الباريسية الثانية عشرة ان تكون لهـا وليمتها الاصلاحية . كانت باريس في ذلـك الحيـن مقسمة الى اثنتي عشرة دائرة ، كانت الدائرة الثانية عشرة ، التي كان مركزهـا في البانتيون Panthéon تضم احياء سان فيكتور وسان مارسيل . في هذه الدائرة ، معقل الثوريين ، كان النـاس على استعداد لاتباع نصائح لوسي بلان وجريدة « الاصلاح » اكثر من الاستماع لاوديلون بارو . لقد اعترى المعارضة الملكيـة الخوف امـام المشاريع التي رسمها اهالي الدائرة الثانية عشرة . فـي مشروع اول ،مفعم ديموقراطية ، كـان من المفترض اقامةالوليمة نهار احد في ضاحيـة سان مارسيل ، شارع باسكال : رسـم الاشتراك كان ثلاثة فرنكات . اعد مشروع ثان : استبعدت العناصر الاكثر بروليتاريـة ، الاكثر جلبة ، وذلك بتغيير مكان وزمان وسعـر الدخول الى الوليمة التي ستقام في حي الشانزليزيه طوال اسبوع ، وسيكون السعر باهظا نسبيا : ستة فرنكات . وهكـذا بدأ أ.بارو وتاشيـرو Tachereau احد نواب اندر واللواء الـذي اكتسب بعض الشهرة بعـد بضعـة اشهر لنشره وثائق تدين بلانكي — بدأ هذان الرجلان حملة لايجاد المكان الذي يمكن اقامة الوليمة فيه ، في اتجاه قصر شايو chaillot . تفاوض تاشيرو مع السيـد نيتو الذي كـان يتصرف بقطعة ارض ملائمة (١) في شارع « طريق فرساي » — اصبح اسم هذا الشارع في الجمهورية الثانيـة شارع الوليمة — صباح ٢٠ فبراير ، اعطـى نيتو لابطال **الاصلاح**

---

(١) لمزيد من الدقة نقول ان نيتو لم يكن سوى مستأجر لهذه الارض امـا المالـك الحقيقي لها فهو السيد بيير ليروا Pierre Leroy **، المزارع باسي** Passy

حق استعمال ارضه مدة عشرة ايام مقابل الف فرنـك . خافت الحكومة من هذا التجمع الذي كـان آخذا في الاتساع . وبعـد مفاوضات طويلة جرت بيـن غيزو والمعارضة بواسطة نائبيـن هما فيتـي Vitet ومورني Morney ، تقرر ان تمنع الوليمـة مبدئيا ، لكن يمكن لاعضاء المعارضة حضورها ، ويتم تحرير محضر بدون ضجـة على باب الاحتفال ، كمـا تقرر ان يدخل الجميـع بسرعة وانتظام ثم ان القضيـة ستسوى في محكمـة المخالفات. ومع ان هذه المفاوضات كانت شبه رسمية فانهـا اشيعت بسرعة في الصحافة وبدأ التهكم على « الاصلاحيين » ، الذيـن ، بعـد ان هاجموا حكومة غيزو ، عادوا فرضخوا عندمـا اظهرت الوزارة بعض الصرامة . كتب دودان Daudan الى الامير البير دي بروغلي Albert de Broglie في ١٧ شباط : « ان القـادة المعتـدلين لا يلتمسون من الحكومة الا حسنة واحدة وهي ان تبدي رأيهـا عبر المحاكم فيمـا اذا كان الله والقانـون يريـدان ام لا ، ان يصعد السيد ليدو رولان الى الطاولة بعد العشاء ويقول بصراحة تقريبا ان الملك غريب الاطوار والمجالس النيابية هي جماعة من النصابين وان دانتون هـو المحبوب الاكبر والاكثر انسانية بين المشترعين. يريد الحكم جيدا مقاضاتهم امـام المحاكم لكنه لا يريد اعطاءهـم الفرصة كي يرتكبوا الجنحة الضرورية ، هـم انفسهم يعبرون ويصرون على ان لا يرتكبوا الا اصغر الجنح الممكنة ، جريمةصغيرة بغرامة مفلسين ، ماذا ! فقط ما يكفي للمثول امام محكمـةالجنح! انه لامر يثير الاعجاب ان تكون لدى هذا الحزب الرغبة فـي الذهاب الى محكمـة الجنح ، واعتقـد جيدا ان هذا هو ميـل معظم اولئك الذيـن لا يملكون ما هو اسمى من ذلك بين مدّاحي ١٧٩٣ و ١٧٩٤ الوديعين . لا يستطيع جميع الناس ان يطمحوا الى محكمة الجنايات رغـم المساواة الاساسية والجوهرية بيـن النـاس » .

لقد كانت الامور تسوّى عندما وضع ارماند ماراست،خليفة كاريل في ادارة « الناسيونال » ، النار في البارود وان كان ذلك عن غير قصد . بعد تبادل غامض في وجهات النظر مـع أ.بارو ، نظم ماراست بنفوذه الخاص رسميـات المظاهرة التي كان ينبغي

ان تقوم نهار الثلاثاء في ٢٢ فبراير . يتم الاجتماع عند دوران Durand ــ اي في مقر قيادة المعارضة ــ في ساحة المادلين ومن هناك يتم التوجه في جسم واحد نحو الشانزليزيه . كان ماراست ينظم بدقة نظام الموكب ويحدد المكان والظروف التي ينبغي ان يوضع فيها ضباط وجنود مختلف افواج الحرس الوطني . ظهر هذا البرنامج صباح ٢١ شباط في « الناسيونال » و «الاصلاح» وفي «الديمقراطية المسالمة» . (تحت ادارة فيكتور كونسيدران ، كانت « الديمقراطية المسالمة » تمثل الجناح الفوريالي (فورييه) في الحزب الجمهوري) . واليوم ايضا عندما نقرأ نص ماراست نفاجأ بثقته وعجرفته . المعارضة تخاطب الحكومة كقوة مقابل قوة . انها تحافظ على امنها وعلى امن الشارع ، كتب تيرو دانجين thureau - Dangin : « اختفى الحفل وراء الموكب الجماهيري الكبير الذي يجب ان يرافق النواب من ساحة المادلين الى شارع طريق فرساي ... ولما كان هذا البرنامج قد صيغ على شكل قرار من الشرطة او بالاحرى ترتيب للوحدات، فانه بذلك يتصرف بالطريق العام .

وجّهت الدعوة لاعضاء الحرس الوطني للحضور الى الموكب بالزي الموّحد ، واذا تعذر فبالسلاح ، والانتظام في افواج على راسها ضباط » .

العاشرة صباحا ٢١ فبراير عقد الوزراء ، الذين قراوا الجرائد لتوهم ، مجلسا وزاريا : انهم غاضبون . كان وزير الداخلية دو شاتيل خاصة يشعر بانه أهين . يا لها من صورة مثيرة ومميزة لدوشاتل . مزيج من الشراسة والجزع والخجل . وعندما فسر لويس فيليب امامه بلهجة بذيئة وقحّة ، الصلة بين غيزو والاميرة ليفن ، احمرّ الكونت دوشاتل خجلا .

انه ذو شعر غالبا ما يكون اشعث ، وعفوية ذكية ، وفي نفس الوقت ذو قسمات صادقة ومألوفة وهو ذو ثروة ضخمة ورثها عن والده ، الذي كان مديرا عاما للقيد في ظل الامبراطورية . ذو ميل نحو الاشياء النادرة والثمينة ، نحو المجموعات ، لكن دون ذوق . وكمالتوسي نموذجي ، بدأ دوشاتل حياته بكتابة :

« بحث في الاحسان في علاقاته مع الاقتصاد الاجتماعي » . انه يدعو الفقراء الى اقل قدر ممكن من الانجاب . (فتح هذا الكتاب ابواب معهد مالتوس امامه) . هناك صورة اخرى ينبغي ان تسترعي انتباهنا في مجلس الوزراء ، انها صورة وزير العدل هبرت Hebert . اذا كان دوشاتل نموذجا صادقا فان هبرت نموذج مراوغ : لقد اعتاد ان يضع مسكة ريشته بين اسنانه ،وهو ما يعزز شبهه بهر كبير غاضب . ان هبرت ، مثله مثل دوشاتل، يطلب أستعمال القوة ضد استفزاز المعارضة . كل مظاهرة ممنوعة دون تردد : (يستطيع المرء ان يتصور الصخب الذي سيثيره هذا المنع . ان الوزارة تلغي حق الاجتماع بجرة قلم الخ ..).اصدر مدير الشرطة بالتعاون مع فيتي وموروني — هذان البرلمانيان لم يكفا أثناء ايام فبراير عن اجهاد نفسيهما في سبيل الاورليانيين — تصريحا يشدد فيه على اللهجة المرفوضة للبيان الذي « يقيم ماراست فيه حكومة الى جانب حكومة البلاد » . بعد الظهر اجتمع مجلس النواب وناقش النظام الاساسي لبنك بوردو . (الجمعيات البرلمانية لا تملك دائما حسن اختيار الوقت الملائم). المجلس متوتر . دوشاتل يضايق أ. بارو : « حتى البارحة ،كنت ما زلت مستعدا لترك الامور تصل الى نقطة يتأكد معها وجود مخالفة ويكون ممكنا فتح جدل قضائي ... لكن البيان المنشور هذا الصباح هو اعلان لحكومة غير شرعية تتوجه فيه الى المواطنين، وتستدعي اعضاء الحرس الوطني باسمها الخاص وتدعو للتجمعات الغوغائية خلافا للقوانين » . استمع بارو ، مرتبكا ، لهذا التوبيخ . وبقدر ما كان هذا الملكي مرتبكا ، فانه كان في قرارة نفسه ، متفقا مع دوشاتل : «اني اوافق على غاية البيان ، لكني لا اوافق على ألفاظه » . في المساء جمع في منزله ، في شارع مزرعة الماتوران ، Ferme des Mathurins معظم زعماء المعارضة . اقر بالهزيمة التي تعرّض لها في المجلس واعلن انه لن يذهب الى الحفل وهو ما ليس ممكنا دون اغاظة امرأته . كان أ . بارو قد تزوج من ابنة فحّام(1) بطولي،لابي دي بومبيير Ferme des Mathurins

(1) من انصار الحركة الفحامية وهي جمعية سياسية ظهرت في ايطاليا في القرن التاسع عشر وسعت لتوحيد البلاد . وسميت بالفحامية لانها كانت تجتمع في مستودعات الفحم (م)

وكانت مدام بارو تقول لمن يريد ان يسمع كم انها تجد زوجها مهذارا وجبانا . ومع ذلك فانه لمن المثير ، ان أ.بارو ، عندما كان يطالب بالانسحاب ، كان يجد نفسه مدعوما بحرارة من قبل ارماند ماراست الذي اعترف بانه لم يقدّر نتيجة بيانه وانه هو أيضا قرر عدم المشاركة في الاحتفال ، ثمانون صوتا مع الامتناع عن الحضور . فيذلك الاجتماع لم يكن يوجد سوى ١٧ صوت من « المتصلبين » الذين يطالبون بان تتم التظاهرة مهما تكن النتائج ،هؤلاء المتصلبون سوف يتلقون دعما :

انه من لامارتين . حوالي منتصف الليل اخبر لامارتين بما جرى عند أ . بارو كما أنبيء بأن رجال البوليس سوف يعملون على ازالة استعدادات الاحتفال وان اللجنة قد تخلت عن المظاهرة . «ليكن» اجاب لامارتين ، حتى لو كانت ساحة الكونكورد خالية ، ولو تخلى جميع النواب عن واجباتهم فسأذهب وحدي الى الاحتفال يرافقني ظلي من ورائي » . وعندما ازيل عن مسرح التاريخ واخذ مكانه في الصف الاول من معرض المهزومين الكبار ، اخذ على نفسه ــ اي لامارتين ــ بمرارة تلك الجملة ، كما ادان بشدة الموقف الذي اتخذه في ٢١ فبراير . هل يعني هذا اني أفضل لامارتين الاحمق على لامارتين النادم ؟ ان لامارتين قابل للنقد بكل تأكيد كما انه انفعالي ونرجسي . ان الميل نحو التحليل والانفعال ، الذي نقله باري Barrès بشكل متشنج وهزيل نسبيا ، الى الحياة السياسية والاجتماعية هو ميل قوي يأخذ شكلا عفويا عند لامارتين . هناك مسؤوليات جسيمة تثقل كاهل شاعر ،فهو يوصل الامور الى الكارثة ، ثم بعد ذلك بقليل ، لامارتين الذي كان يقوم بدور مزدوج Homo duplex . وبما انه ولانه في اعماقه جد محافظ ، يجهد نفسه في ضم اجزاءالمجتمع الى الخسارة التي ساهم هو نفسه فيها . ولسوف يقول بلزاك ، بسخرية وحقد ، في ربيع ١٨٤٤ :« لامارتين هو مشعل حريق يجعل من نفسه اطفائيا » وازيد بأن لامارتين قد قدر تماما ، في تلك الامسية في ٢١ فبراير ،العقبات التي تنتظره على الطريق الثوري . انه يعرف ان الشعب هو في الواقع طيب الخلق ،يحب

المبالغــة والضوضاء والاساطير ، واثارة الخوف. يعرف لامارتين ايضا ان البرجوازي الذي يعتريه الخوف يصبح متوحشا بسرعة وانــا باعلاننــا الثورة يمكــن ان نخدم الرجعية ونعيد التاريخ الى الوراء ... ومع كل هذه الملاحظات التي قدّمت ، فانني اتابــع مرافعتي لصالح لامارتين : انه يشعــر بشكل مشوش أن حيويــة الملكيــة قد استنفدت وان فرنسا تستطيع كتابة صفحــة تستطيع تغيير الوضع البشري . وفيمــا بعد ، وعندمــا اسدل الستارعلى المأساة التي كانت قاسية ، وربمــا اكثر قساوة بالنسبة للامارتين منهــا الى فرنسا ، احس هذا الاخير بالخجل لتواطئه مع القدر . ولطالمــا قلت ان لامارتين كان في تمام وعيه . قلت ذلك للرد على اولئك المؤرخيــن الذيــن يجعلون من الرجل ابلها ، شديد الثقــة بالموحيات التي يتلقاها من الله . لكننا في بعض الاوقات ، ومهما كنا واعين ، نلتقي مع القدر ضد ارادتنا ذاتها . في ليل ٢١ ــ ٢٢ فبراير عاش لامارتيــن الساعات التي انتعشت الطينة البشرية خلالها بهبة ريح تجاوزتهــا .

لم يسهر الناس ، مســاء ٢١، عند بارو ولامارتين فقط . كانت هنــاك مؤامرات تحاك في مكاتب « العصر »و « الاصلاح » . ففي « العصر » ينفعل الحضور عند سماع الاحاديث التي ينقلها بيريه Perrée رئيس تحرير الصحيفة . كان بيريه ضابطا فيالحرس الوطني : انه يعمل في قيادة اركان فوجــه (١) . كــان يؤكـــد وجود عداوة كبيرة في صفوف الحرس الوطني ضد غيزو : كان يعتقد انه لا توجد قوة تستطيع الانتصار على هذه العدوانية ،وهو ينهي حديثه هكذا :« غدا سوف يدق النفير . لنذهب بسلاحنا الى فوجنا ولنهتف مع رفاقنا « يسقط النظام ! يحيا الاصلاح » . كان الناس اكثر انفعــالا في مكاتب « الاصلاح » ، فــي ضاحيــــة

---

(١) كان الحرس الوطني يضم ١٢ فوجا ، اذ ان مواطني كل دائرة كانوايشكلون فوجا . ويحمل الفوج نفس الرقم الذي تحمله الدائرة . من هنا سهولة التحقــق من التركيب الاجتماعي لكل فوج اثناء ازمة ٤٨ , مــن جهة اخرى كانت قــرى الضاحيــة تؤلف افواجــا ايضا . وسوف يصبح راسباي عقيد الفوج الثالــث للضاحية (وزارة العدل وجوارها) .

مونتمارتر ، منهم في مكاتب « العصر » ، كانوا يتخيلون ان ضجة ما ستحصل ، ويحدثون انفسهم بان ساعة الجمهورية ربما تدق، لكنهم لم يكونوا يجرؤون على تصديق ذلك . تم الاتفاق على الذهاب فرادى ، الايدي في الجيوب ، الى ساحة المادلين ، وستجري مراقبة الناس والاوضاع . واذا بدأت المعركة فعلا فانهم سيستغلونها كليا ضد الملكية .

في نفس المساء كان الجو منفرجا في البلاط اي في التويلري او في « القصر » كما كان يقال آنذاك . كان لويس فيليب يسخر من المارشال العجوز جيرار ومن مدير الشرطة ديليسير Délessert اللذان كانا يبدوان قلقين . كان سااللاندروز Sallandrouze النائب الذي كسب ثروة ضخمة في صناعة سجاد اوبيسون Aubusson يطلب مقابلة لبضع لحظات مع الملك : كان يريد ان يتحدث اليه عن الوضع السياسي . انه، مع تأييده لغيزو ، كان يتمنى المصالحة وهو لذلك قدّم تعديلا. تظاهر لويس فيليب بانه يجهل العمل الذي قام به المسكين سااللاندروز في المجلس وقال : « هل تبيع سجادك جيدا ؟ » خرج النائب ذليلا . في منتصف الليل علم ان أ. بارو واصدقاءه قد تخلوا عن الاحتفال . ازدادت البهجة ووصلت الى حد الافراط . كانت الملكة ماري ــ اميلي تتألق ولويس فيليب يكرس نفسه لبعض الوثبات الراقصة امام دوشاتل الذي كان يتلقى التهاني الكثيرة من كل الجهات .

نامت باريس مبهورة قليلا لكن في سكينة تامة . لم يعكر سكون الليل سوى ضوضاء صغيرة وشاذة كانت تسمع باتجاه قصر شايو. اما العمال الذين كانعليهم ان ينصبوا الخيام للاحتفال فلم يكونوا قد اخبروا ان المظاهرة قد الغيت : انهم يسمرون الالواح وينصبون المنصات على ضوء المشاعل ...

صباح ٢٢ فبراير ، وعند ما قرأ صاحبنا النسائجي (عامل النسيج) الصغير ، في ضاحية سان دنيس ، في صحيفة الناسيونال ان الاحتفال لم يقم وان اوديلون بارو وارماند

ماراست يبشران بالهدوء ، انفجر غيظا وشتم آلهته ، انه يتساءل ما اذا كان اعضاء المعارضة هم ايضا جبناء مثل « البريتشارديين » (١) Pritchardistes والمكتفين « Les satisfaits » وفي الليلة ذاتها قرأ بانفعال كبير نداء ارماند ماراست . انه في اوج عزته لامكانية ارتدائه الزي الموحد للحرس والسير فيموكب ؟ . بارو ودفرجيه دي هوران . واليوم عليه ان يبيع بضعة اذرع من الجوخ وان يبقى في متجره بينما يتساقط المطر . هناك سياسيون امثال ماراست يفترضون ان الانسان اكثر طواعية مما هو في الحقيقة ، انه يشق عليهم تصديق كيف اننا يمكن ان نحمل على محمل الجد الحقد الذي بثوه قطرة قطرة في قلوب المواطنين الآمنين . ان النسائجي يكره غيزو بشدة في هذه الساعة . منذ بضعة اسابيع اخذ نظام حياته اليومي يعيش حالة استياء ، حالة غضب ، وفي جلبة وطنية عدائية .

وفي الصباح، عندما يشرب قهوته ، كان يلتهم جريدة الناسيونال وخاصة تقرير الدعوى التي تجري في تولوز : كيف يتصرف هذا الوحش الذي هو الاخ ليوتاد Léotade ؟ اية حيل جديدة وجدها رجال الدين لتضليل القضاء ؟ في المساء يحضر العرض الذي يقدمه المسرح التاريخي : يجري تمثيل « فارس البيت الاحمر « لالكسندر دوماس : في المسرحية يمكننا سماع نشيد الجيرونديين « لنمت من اجل الوطن » ، هذا النشيد الذي يستعاد ثانيا وثالثا والذي يثير حماسا جنونيا .. وعن غير وعي يقترب النسائجي من الابنوسي (عامل النجارة) في ضاحية سان انطوان او ميكانيكي لاشابيل . انه تقارب مؤقت واكاد اقول عرضي ، وهنا تكمن مأساة عام ١٨٤٨ . هذه النماذج الثلاث : النسائجي ، الابنوسي والميكانيكي هي نماذج مختلفة : الاول يقرأ « الناسيونال » او « العصر » ويأمل في حصول تغييرات سياسية ، انه يريد العيش في فرنسا اكبر واكثر مجدا لكنه يرتاب من كل هزة اجتماعية . اما الابنوسي فيقرأ الاصلاح

(١) نسبة الى جورج بريتشار وهو مبشر انكليزي ادى اتلافه املاكه في تاهيتي الى حرب فرنسية انكليزية (١٧٩٦ ـ ١٨٨٣) (المترجم)

ويحلم كثيرا بالثورة لكن بشكـل مبهم ، ان روبسبيير الهه ، اله لا يعرفه جيدا وهـو بلا شك قد كلّف تضحيات داميـة لكنه مع ذلك لا يزال محترما من قبل كابيه .

كابيه هذا ، زعيم الشيوعيين ، هو رجل جد ناعم ، جـد هادىء ، فرض نفسه على اهتمام الجماهير عن طريق مؤلفيـن : تاريخ الثورة الفرنسية في اربعـة اجزاء ـ هذا الكتاب ، الذي وضع على عجل ، هو دفاع طويل عن روبسبيير ، وقد كتب بشكل خاص للتودد الى العمال ـ اما المؤلف الثاني فهو « **رحلة الـى ايكاريا** » . وايكاريا هي مدينة مثاليـة يصفها كابيـه باستحسان منتظرا بناءها .. وبلا شك فان التناقض بين قصائد ايكاريـا الريفيـة وبيـن مشنقة سنـة ٩٣ ليس مفاجئا ، ان رجال القرن الثامن عشر الذين نصبوا المشانق وغذوا الرعب هم اناس عاطفيون، ان نفوسهـم الفيرجيلية (نسبة الى فيرجيل ، شاعر محب للطبيعة ٧٠ ـ ١٩ ق . م) تصبح حنونة امام مشهد الطبيعة . ولا يقل عن ذلك صدقا قولنـا ان عمل كابيه مليء بالتنـاقضات وان هذه التناقضات سوف تنعكس على فكر الابنوسي . ان ميكانيكـي لاشابيل يمتلـك خبرة مباشرة اكثر من الابنوسي فقد انضم الـى الجمعيـات السرية ونزل سابقا الى الشارع مع رفاقه في جمعية « الفصول » و « حقوق الانسان » ،كمـا انه حقق الثورة بنفسه في السـابق وهو لا يخشى « حرب الشوارع « Coup de torchon » ان يتلاقى النسائجي والابنوسي والميكانيكي بشكل ودي صبـاح الثاني والعشريـن امـام صاحب المطعم ديران ، فذلك لعمـري امر خطير بالنسبة للملكيـة .

حوالي الساعة التاسعة ، كان الهيجان كبيرا اذن في ضواحي المادلين . بعد ذلك بقليل تدفق طابور من الطلاب ، كان قـد تشكل في البانتيون ، الى ساحـة الكونكورد وهـو ينشد المارسيلياز(١) . وبعد ذلك بقليل ايضا اجتاح عدد من المتظاهرين قصر البوربون بعد ان اندفعوا بسرعـة الى ساحـة الكونكورد : يبدو الحادث بسيطا

(١) النشيـد الوطني الفرنسي .

اذ ان مجلس النواب لم يكن مجتمعا في تلك اللحظة . حوالي الظهر وقع هجوم اكثر عنفا على وزارة الخارجية . هنا اذكّر بأن وزارة الخارجية كانت تشغل فندقا يقع في جادةالكبوشيين (للدقة نقول بين شارع الكبوشيين والمكان الذي يشغله الان شارع دونو . لم تنقل الوزارة الى مقرها الحالي (رصيف اورساي) الا في ظل الامبراطورية الثانية) . في الساعة الثانية عقد النواب جلسة لمناقشة مسألة بنك بوردو . قدّم أ . بارو ، بشكل مسرحي تماما ، طلبا الى مكتب المجلس بوضع الوزارة في موضعالاتهام . لم يوقع الطلب الا ٥٣ نائبا . هناك توقيعان هما توقيع اباتوكسي Allatucci ودروين دي لويس Drouyn de Lhus يستحقان الانتباه لان صاحبيهما سوف يحتلان مكانهما بين الخدم الاكثر تفانيا في سبيل الامبراطورية الثانية . رفض عدد من نواب المعارضة الاقتداء باوديلون بارو اعتقادا منهم بأن زعيمهم يسلك طريقا خاطئا . في هذه اللحظة كان تيير thiers مقتنعا بان غيزو يمسك جيدا بزمام الوضع وان هدير الهيجان الشعبي سوف يعزز وضع الوزارة ، ثم ان كثيرا من « انصار العائلة المالكة » يفضّلون غيزو على الهيجان الشعبي . قرأ غيزو باشمئزاز النص الذي قدمه أ . بارو . انه متعال على بارو سيما وانه يشعر بأن المجلس طيّع اكثر فاكثر . ان عجرفته تخفي بعض القلق بعد كل حساب ، وبخلاف الملك ، فقد بدأ الخوف يعتريه امام تحرك الشارع .

خطـــة جيـــرار

لم يهدأ الهيجان في فترة مـا بعـد الظهر ، فقـد احرق كراس واكواخ في الشانزليزيه ، وانتشر دخان اسود فـي الجـو مما اثار القلق . وقعت مناوشات صغيرة بيـن الحرس البلـدي والمتظاهرين في شوارع بودج لابي وموكونساي . فـي الساعة الخامسة قررت الحكومة العمل بمقتضى نظام الامن المسمى « خطة جيرار » والمسمى ايضا « جدول اعمال الخامس والعشريـن مـن كانـون الاول » .

كان المارشال العجوز جيرار قد وضع ، في ديسمبر ١٨٤٠، خطـة تعرض بموجبها ، بدقـة وبشكـل منهجي ، العمليات التي ينبغي ان يقوم بهـا الجيش والحرس الوطني بشكل مشترك فـي حال التمرد . في الاربعينات كان الضباط ، بلباسهم المدنـي ، يقومون عادة بالتعرف الى الاحياء الشعبيـة لكي يتعودوا على الارض التي يمكـن ان يُكلّفوا القيام بعمليـات عليها . عام ١٨٣٠ لم يكن لدى الحكومة اثناء ثورة يوليو (تموز) الا ١٢ الف رجل ينقصهـم التسليح والتمويـن الجيدان . اما في عام ١٨٤٨ فكان لدى الحكومة ثلاثة اضعاف هذا العدد ، وكان لدى الجنود كل مـا يحتاجونه من البسكويت والذخائر . بالاضافـة الى ذلك كان الحرس البلدي — ٣٢٠٠ رجل بقيادة المقدم لاردونوا — يشكل فيلقا ممتازا . كـان لويس فيليب ووزراؤه ، كمـا يبدو اذن ، مرتاحـي البال تماما . ومع ذلـك فقـد هُزمـوا .

ثلاثة اسبـاب تكمن وراء ذلك : ١ — كـانت خطـة جيرار تتوقع استعمال الحرس الوطني ، والحال فاننا نعرف سابقا — وهو

ما ادركناه اثناء سماعنا لاحاديث بيريه ، رئيس تحرير صحيفة « العصر » ــ ان الحرس الوطني ليس مضمونا . ٢ ــ ان لويس فيليب وحاشيته هم مترددون للغاية عندما يتعلق الامر باتخاذ قرار عسكري بحت ، ثم ان احتمال اراقة الدماء هو بالنسبة لهم امر لا يطاق . لقد قدموا البرهان على ترددهم مساء ٢٢ فبراير نفسه عندما اوقفوا تطبيق خطة جيرار بعد ان تلقوا اخبارا مطمئنة اكثر . ٣ ــ كانت القيادة محدودة الذكاء : اخطأ لويس فيليب وغيزو باعطائهما كل شيء الى بعض العائلات دون حساب القيمة الفعلية للرجال الذين عهد اليهم بمهمات شاقة . ان محاباة الاقارب لعبت دورا مهما في تقويض الملكية . وهكذا فاننا نرى الجنرال تريبورس سيباستياني على رأس الجيش المتمركز في باريس ، وهو رجل بدون ذكاء وبدون حيوية . ان ترقيته تعود فقط الى كونه شقيق المارشال سيباستياني (كان هذا في يوم من الايام وزيرا للخارجية وقد اصابه حزن شديد سنة ١٨٤٧ لموت ابنته في ظروف مفجعة ــ ان دوقة شوازول براز لين Choiseul Praslin التي توفيت تحت ضربات زوجها هي ابنة المارشال سيباستياني الذي كان احد اركان الملكية البرجوازية) . وعلى راس الحرس الوطني كان رجل اخر قليل الذكاء ، برلماني عجوز ، نموذج « مكتف » هو الجنرال جاكمينو Jacqueminot الذي توصل الى امجاده بفضل صهره ، فهو والد زوجة وزير الداخلية دوشاتل . ولكي تكتمل المصيبة ، في ايام فبراير ، فان جاكمينو الذي كان متوعكا ، لم يعد قادرا حتى على الوقوف ... لنضف ان العلاقات بين تريبورس سيباستياني وجاكمينو لم تكن ودية كثيرا ، وكان يعول بشكل خاطيء على نفوذ دوق دي غور في فض « النزاعات التي يمكن ان تحصل بين القائدين . من جهة اخرى ، كان الابتهاج يسود القصر مساء » . لقد اعلن لويس فيليب : ــ ان الباريسيين يعرفون ما يفعلون وسوف لن يبادلوا العرش باحتفال . الا ان مثل هذا التفاؤل لم يكن عاما ، فبينما كان الملك يبدي اطمئنانه كان ثلاثة نواب من باريس ، ينتمون الى اتجاهات سياسية مختلفة وهم كارنو ، ڤافين Vavin وتاياندييه ، يطلبون مقابلة مع مدير شرطة السين رامبوتو . استمع رامبوتو اليهم بمودّة وكآبة : انه يفهم مخاوفهم لكنه لا يستطيع ان يقول لهم شيئاً يمكنه طمأنتهم لانه هو

ذاته لا يعرف شيئا : فـلا البلاط ولا الحكومة ولا مختلف السلطات المسؤولة عن الامن في العاصمة ، لا احد من هؤلاء اطلع المسكيـن رامبوتو على قراره او تعليمـاته وهو ما جعله مغتاظا .

اليـــوم الثـــاني

الثلاثاء في ٢٣ فبراير . يوم ثان من التوتر . قسم مهم من العاصمة كان في هياج أكيد ، اما حدود الجزيرة الثورية فقد ارتسمت بالاجمال كما يلي : من الغرب شارع مونتمارتر ، من الشمال والشرق خط البولفارات الكبيرة الذي يمتد من المادلين الى الباستيل ، ومن الجنوب السين . (استعنت في رسم هذه الخارطة الاولى لثورة الثامن والاربعين بمذكرات كوسيدير الذي سيصبح في اليوم التالي مديرا لشرطة باريس) . ومهما تكن اهمية هذه الجزيرة فانه كان يمكن السيطرة عليها سريعا شرط ان يكون الحرس الوطني مخلصا للنظام . ان احد الاحداث الحاسمة في هذا اليوم كانت ردة الحرس الوطني . كان جاكمينو قد قال للملك :« من اصل ٣٨٤ سرية ، عندي ست سرايا او سبع من النوع الرديء » . ويجيبه لويس فيليب :« اوه ! وفوق ذلك سبع عشرة او ثماني عشرة ! » . اخطأ جاكمينو ولويس فيليب بشكل فادح وخطأهم هذا لا يمكن تفسيره سيما وان لويس فيليب لم يحضر الاستعراضات التقليدية لهذه الهيئة العسكرية منذ عام ١٨٤٠ . كان يخاف السخرية والصرخات المعادية ... صباح الاربعاء تشكلت الفيالق بين الساعة العاشرة والثانية عشرة . كانت حالتها الذهنية ، بشكل عام ، بادية السوء .

فيلق واحد ، هو الفيلق الاول ــ الشانزليزيه وساحة الفاندوم ــ كان مخلصا للحكومة . انه لا يحب نواب اليسار . الفيلق الثاني ــ طريق انتين والقصر الملكي ــ يتمركز امام سرادق مارسان Marsan ، وهو يهتف : « يحيا الاصلاح !» .

الفيلق الثالث ــ ضاحية بواسونيير ، ضاحية مونتمارتر ،

سان اوستاش ـ هذا الفيلق الذي كُلّف حمايـة مصرف فرنسا ، يوجه حرابه ضد دروع الجنرال فريـان Friant . كان هـذا الفيلق بقيـادة صرّاف ثري ، نقل الى ماكسيم ديكامب ، عندما التقى به ، هذه الاحاديث المميزة :

كنت لتوي احمي السكان من الدروع التي ارادت تمزيقهم : هذه الحكومة جعلتنـا اضحوكة اوروبا ، سأطوف بجنودي عبـر المدينة لكي اعطي المثل للبرجوازية ، انني مستعـد تمامـا ، اذا ارادوا ، لاعتقال غيزو وسوقه الى فنسان .

الفيلق الرابع ـ ضاحية اونوري ، اللوفر ، مصرف فرنسا ـ يحرر عريضة بأسلوب أ . بارو يطالب فيها بوضع الوزارة موضع الاتهـام .

الفيلق الخامس ـ ضاحية سان دنيس ، ضاحية سان مارتن ، بون نوفل Bonne nouvelle

الفيلق السادس ـ باب سان دنيس ، سان مارتن دي شان ، التامبل ـ

الفيلق السابع ـ سان آفوي ، مون دي بيتيه ، سوق سان جان ـ هذه الفيالق الثلاث الاخيرة حذت حذو الفيلق الثاني وهتفت بالاجمـاع تقريبا : « يحيـا الاصلاح » . حتى ان الفيلق السابـع كـان حقودا بوجه خاص . انه يريد من حاكم السين ان ينذر الملك بأن يطـرد غيـزو .

اما الفيلق العاشر ـ لامونيه Monnaie ، القديس توما الاكويني ، الانفاليد ، ضاحية القديس جرمانوس ـ فكان منقسما على نفسه : قسم موال للحكومة وقسم أخر ، وهو الاكثر اهمية او على الاقل الاكثر جلبة ، يهتف : « يحيا الاصلاح » . ولما كـان الكولونيل واهن العزيمة ، ذا شكـل مسرحي ، فقد ابتعـد نازعا واقية عنقه .

ان موقف الحرس الوطني قد جعل الجيش النظامي هشا للغاية . في الواقع ان الجيش ، الذي كان ، في الساعات الاولى من الانتفاضة ، يبدو منضبطا جدا ومستعدا للعمل بشكل نشيط ، قد اصبح متوترا عندما تأكد بنفسه بانه مهدد بتلقي طعنات الحرس الوطني من الخلف . وقعت الصدمة كلها على الحرس البلدي التعيس الذي كان مكروها جدا في الاحياء العمالية . اننا لا نتحمس كثيرا لهيئة البوليس هذه ، لكنني اعتقد ان اعضاء الحرس الوطني قد عوملوا بقسوة من قبل التاريخ . ان الحجاب، الذين دافعوا ببطولة عن قصر التويلري في ١٠ آب ١٧٩٢ محاطون باسطورة من الاحترام والأعجاب . كثير من الناس ، ممن ليسوا ملكيين ، يذكرون بعطف شجاعتهم وصلابتهم اليائسة. الا ان احدا لم يتصدق حتى بفكرة اقامة احتفال تذكاري لهؤلاء الابالسة « البلديين » المساكين الذين ابدوا شجاعة فريدة وهم يحفظون علم الملكية عاليا وراسخا الى اخر حد . كانوا يسقطون دون ان يتلقوا اية نجدة : كان اعضاء الحرس الوطني يرمقونهم بنظرة ساخرة ، وكان الجنود النظاميون ينظرون اليهم بانزعاج ، لكن لا هؤلاء ولا اولئك بذلوا اي جهد لتخليصهم من الجمهور (١) .

مما لا شك فيه ان رامبوتو لم ينقل ابدا للملك الانذار ــ الامر الذي قدمه الفيلق السابع طالبا فيه اقالة غيزو ، ومع ذلك سرعان ما سمع قصر التويلري بالانذار ، فأذعن ، وكان ذلك مفاجئا . كانت الملكة ماري ــ اميلي ، الاولى التي اقترحت بان يطلب الى الحكومة ، التي تعرّض الملكية ذاتها للخطر ، ان تستقل. عاد لويس فيليب الى حججه . كان يردد باستمرار:« لقد

---

(١) يجب الا يستنتج من ذلك أن المتظاهرين تصرفوا بحدة منتظمة في اصطدامهم مع اعضاء الحرس البلدي . ان كثيرا من العمال الذين كانوا يقاتلون في صفوف الانتفاضة لم يعاملوا اعضاء الحرس البلدي معاملة حسنة وحسب ، بل انهم خبأوا عددا منهم في بيوتهم خلال بضعة ايام مما اتاح لهم الانتظار حتى تهدأ نار الثورة . ذكرت دانيال سترن بضعة احداث من هذا النوع في مؤلفها تاريخ ثورة ٤٨ ، باريس ١٨٦٢ ، ج . ٢ ، ص ٢٦١ ــ ملاحظة اولى .

رأيت ما يكفي من الدم . وقد كرهت طوال حياتي هذا الظلم الذي يسمونه الحرب » . حضر الكونت دوشاتل الى التويلري في الساعات الاولى من بعد الظهر . قال « نحن في العشرين من يونيه (حزيران) » . في ٢٠ يونيه عام ١٧٩٢ ، اقتحم الجمهور قصر التويلري وانسحب مهددا ، امام لويس السادس عشر الذي كان يرتدي قبعة فيرجيه Phyrgien (نسبة الى فيرجيا في آسيا الصغرى - م). ويتابع دوشاتل مذكرا بالعاشر من اغسطس (اب) الذي اشرنا نحن اليه قبل قليل : « ان ٢٠ يونيه ليس بعيدا عن ١٠ اغسطس ، ونحن لا نعيش في عصر تسير فيه الامور بشكل اسرع مما كانت عليه منذ ستين عاما ! ان الاحداث تسير على البخار مثل المسافرين » . ومع ذلك فان دوشاتل كان بالاحرى منذهلا عندما علم انه مدعو الى تقديم استقالته فورا وان الملك قد قرر اقالة وزارة غيزو . ذهب دوشاتل الى المجلس الذي كان يعقد جلسة صاخبة وحائرة في آن معا . استمع غيزو، بدهشة ، الى الخبر الذي ابلغه اياه دوشاتل ثم عاد الوزيران « المستقيلان » فجأة الى التويلري . قال لويس فيليب لغيزو انه سيستدعي مولي Molé لرئاسة الحكومة . موليه هذا هو رجل بلاط ، لقد كان وزيرا وهو صغير جدا اثناء الأمبراطورية الاولى، انه يعرف كيف يناور في عالم السياسة لكنه لا يمتلك اية هيمنة شخصية على الجمهور ، واذا كان مرتاحا في الاروقة فانه لا يعرف كيف يسيطر على الشارع . حوالي الساعة الرابعة كان موليه في التويلري ، لقد قبل العبء الشاق الذي عهد به لويس فيليب اليه لكنه طلب مهلة لكي يشكل الحكومة الجديدة . وفي الواقع فانه أخذ يتسلى بكثرة كما لو ان مركب الدولة يسير على بحر من الزيت! بعد ان تعشى ، ذهب موليه الى ساحة السان جورج ليقوم بزيارة لتييد الذي وجده مسرورا . كان تيير ، في الواقع ، يظن نفسه انه سيد الوضع في هذه اللحظة . في الرابعة والنصف عاد غيزو من جديد الى القصر واعلن انه مستقيل .

نسجل هنا هيجان الاكثرية التي ثارت ضد الملك ، اذ ان لويس فيليب لم يحترم القانون في الواقع عندما خضع لضغط الشارع . ادرك عدد من النواب بانفسهم ان تصدّعا قد حصل في النظام وانه لا بد ان يتفاقم . انحنى كالمون Calmon نائب اللو Lot

العجوز ومدير مكتب القيد سابقا ، نحـو جاره ميريه دي بور . هذا الاخير ، وهو صانـع نسيـــج في شاتو رو châteauroux اشتهر دائما بصمته في المجلس ومحاباته للحكومة . انــه النموذج « المكتفـي » .

قال كالمون وهو يبتسم : ــ ايها المواطن ميرييه دي‌بور ، اعتقد ان بامكان المواطنة ميرييه دي‌بور ان تحزم امتعتها . انالجمهورية لن تحبكـم ابدا .

اما بالنسـبة للمعارضـة فانها قد عبرت عن بهجتها ليس بوقاحة فقط ، بل وبغباء ايضــا .

من المؤكد ، اني لا أكتب هذه الكلمات الاخيرة الا بطريقـــة حذرة جدا . ان « انصار الاسرة المالكة » امثال تيير او أ. بارو، كانوا يبدون على حق نوعا ما في اعتقادهم انهم المنتصرون دون ان يعني ذلك تعريض الملكيــة جديا للخطر . في الواقع ، ساد بعض الإنفراج الغاصمة في نهاية فترة ما بعد الظهر . الجماهير تنتشر جذلى داعية الى البهجة العامــة وذلــك بترداد‌هـــــا لحنا رتيبا sur L'air des lampions (كالهتافات التي‌تطلق‌عندنا في المظاهرات عــادة (م)) . يعتقد كثير من المؤرخين الذين سجلوا هذا الانفراج بان باريس قد توصلت بشكل طبيعي الى الهدوء وان طرد غيزو قد انقذ الملكية . ربمـــا كانوا على حق ، ومع ذلك فاني اعتقـــد ان لويس فيليب ، بانفصاله عن وزرائه تحت ضغط الشارع ، قد اعطــــى انطباعــا بانه لا يملك السيطرة على الاحداث وان النظام يتفســخ شيئا فشيئا وان زمن الاعتدال قد ولّى ... وعلى اية حال ثــار الهياج الشعبي من جديد ... الجميع يعرفون جيدا ذلك الحادث المفجع الذي سوف يقع بعد ذلك بقليل في جادة الكبوشيين . كان هناك طابور ينزل الجادة قادمـــا من ضاحية سان انطوان‌ومتوجها نحــو المادلين . تشير دانيال سترن (اسم سري لماري دي فلافيني Marie de Flavigny كانت توقعه تحت كتاباتها «المترجم») الى ان المتظاهرين كانوا يحملون المشاعل ويلوحون بعلم احمر ، وانه هناك، ظهر اول علم احمر في لوحـــة ١٨٤٨ . في جادة الكبوشيين‌اصطدم

الطابور مع مفرزة من الفوج الرابع عشر المقاتل كانت تحرس وزارة الخارجية . « اطلق عيار ناري . اعتقد الجنود انهم في خطر ففتحوا النار بدورهم مما ادى الى سقوط خمسين شخصا . تم التقاط حوالي اربعين جثة » (١) .. من الطبيعي ان يجري التساؤل على من تقع مسؤولية طلقة المسدس التي كانت سببا لهذه المجزرة . ساد الاعتقاد زمنا طويلا ــ على ذمة لامارتين ــ ان مطلق النار هو ثائر عجوز من ليون ، من ثوار ١٨٣٤ ، كما انه محارب قديم في الجمعيات السرية والتآمر ، اسمه شارل لاغرانج ، وهو احد اكثر النماذج شعبية في عام ١٨٤٨ . ان رواية لامارتين كانت معقولة لا سيما اذا عرفنا مزاج لاغرانج المضطرب ، الوافر الحيوية والمتطرف . يقول فيكتور هيجو : « انه احد اولئك الرجال الذين لا نأخذهم على محمل الجد ، لكننا نضطر احيانا الى النظر اليهم بخطورة » . لقد عد لاغرانج من المتطرفين ، الذين آلمهم ان يروا الوضع وقد عاد طبيعيا مساء ٢٣ فبراير والذين كانوا يريدون حرب الشوارع (او الحرب الاهلية) ، مهما كلف الامر . كان ينبغي ان تنبسط هذه الشاشة القاتمة ، التي شكلها هذا العدد الكبير من الضحايا بين الحكم والشعب ، حتى تعود ثانية صورة الثورة الملتهبة الى هذه السماء الشتوية ، الى هذه السماء المبهمة في فبراير . انكر لاغرانج ان يكون قد اطلق النار وكانت لهجته الصادقة تهز المشاعر . كان الرجل ابيا دون مكر اودناءة ، وكانت هيئته تشبه هيئة ممثل ميلودراما عجوز طيب ، لكنه حمل على تمثيل الميلو اكثر منه على تأليفها . وفضلا عن ذلك فان مكسيم دي كامب ، يقول في « المذكرات » الهامة التي تركها حول ٤٨ انه يمتلك مفتاح اللغز . ان رقيبا كورسيكيا يدعى جياكوميني هو الذي اطلق الرصاصة المشؤومة اعتقادا منه بان رئيسه الكولونيل كوران Courant قد ضايقه المتظاهرون تماما وانه مهدد بأخطار فادحة . ومن المحتمل ان يكون قد اطلق هذه الرصاصة رغما عن رئيسه الكولونيل الذي كان يتوسل الى جنوده ان يحافظوا على رباطة جأشهم .

---

(١) ٥٢ جثة حسب قول ابي رينيو ، الذي كان سكرتير ليدرو رولان قبل ان يصبح مؤرخا الـ ٤٨ . وحسب غارنييه باجي كان هناك ٥٣ قتيلا و٤٧ جريحا .

رفع عدد من العمال بعض الجثث على عربة وقامت سيارة الجنازة بجولة طويلة عبر شوارع باريس . ولدى مرورها امام مكاتب صحيفة الناسيونال في شارع البيلتيه Peletier خطب فيها غارنيهباجي. يمكن ان يتصور المرء الانفعال الذي احدثته في ضاحية سان دنيس وضاحية سان مارتن (تم نزع بلاط الارصفة من جديد واعيد بناء المتاريس) . سارت العربة مدة ٣ ساعات واخيرا اودعت الجثث مركز حاكم الدائرة الرابعة بالقرب من الشاتليه . . هناك حادثة اخرى اقل شهرة : بعد اطلاق الرصاص بلحظات نفذت عربة بريد الى جادة الكبوشيين آتية من شارع نوف دي اوغسطين Neuve de Augustins تم القاء ما فيها الى الارض وملئت بالجثث ايضا . كان يقودها عامل اسمه سوكاس يذكرنا ، سواء باسمه او بموقفه ، بشخصيات بلزاك . دلفت العربة الى الشارع الملكي وهناك حاولت مفرزة من الخيالة ايقافها ، انما بطريقة لينه . حث سوكاس خيله التي انطلقت بسرعة وكان يصرخ : « احترموا الموتى » . بهت الخيالة واعضاء الحرس الوطني في الفيلق الثاني من الدهشة والرعب امام عربة سوكاس .

علم لويس فيليب في الساعة العاشرة بالحادث الدامي الذي وقع في جادة الكبوشيين وفي منتصف الليل ابلغه الكونت ديموليه انه لا يستطيع تشكيل الحكومة . حينئذ اتخذ الملك قرارا مزدوجا: يترأس تيير الحكومة الجديدة ، ويتولى بوجو ، الذي حل محل تيبورس سيبا ستياني وجاكمينو معا ، قيادة كل القوى المسلحة. واليوم ، وبعد مرور الزمن ، يبدو تيير رجل الدولة الذيلا يرحم والاكثر قدرة على قمع الانتفاضة منه على التصالح معها . لقدتحمل المسؤولية الجسيمة عام ١٨٣٤ في مجزرة السكانالآمنين في شارع ترانسنونان . وفي ١٨٧١ اغرق الكومونة بالدم . ومع ذلك وبينما اساء لويس فيليب فهم الشعبية التي كان يتمتع بها هذا الصبي المرن الماكر في فبراير ١٨٤٨ ، فان تيير ، قد اشتهر ، في الايام الاخيرة من الملكية البرجوازية ، بانه رجل يساري ، رجل من « الحركة » . وعلى اية حال فان لويس فيليب ، الذي كان يكره تيير ، قد استدعاه الى الحكم لارضاء الشعب وتدعيم العرش . وبالعكس ، فان بوجو قد أتى بصفته رجلا استبداديا . ومع

ان بوجو ينكر ذلك فانه كان قد لعب دورا حقيرا في قضيــة شارع ترانسنونان ، وبالاجمال ، فانه اذا لــم يكــن اكثر اجرامــا مــن تيير ، فمن الواضح ان الباريسيين كانوا يكرهونه بشكل صريح .
لقد تصرّف لويس فيليب برعونة عندما احاط نفسه بتيير وبوجو .
ان التنازلات التي قدّمها بقبوله أسم تيير قد فقدت كل قيمتها ذلك ان الشعب سيثور بالضرورة في وجه بوجو : لقد ألغى بوجو تيير .

اليـــوم الثـالث

الخميس ٢٤ فبراير . يوم ثوري ثالث . بدأ هذا اليوم في الواحدة والنصف صباحا بمجلس حربي عقده بوجو في التويلري. في المساء كان بوجو يتنقل اثناء العشاء في القصر من غرفة الى اخرى : كان يعرض خدمـاته على الملكيـة التي تتعرض للخطر ، لكـن احدا لم يرغب في هذه الخدمات . لم يكـن لويس فيليـب يستسيغ طبع بوجو الاستبدادي . اخيرا استدعي جندي افريقيا العجوز ، تحت ضغط الاحداث ليتولى قيادة الجنود المتمركزيـن في باريس . ان كلمته الاولـى التي كان لها اثر في قلب الملك هي: « لا أمراء » . كان بوجو في الجزائر قد تحمل بفارغ الصبر وجود الدوق دي اومـال D' Aumale في قصر التويلري ، وكان مدعوما بمقدم شاب اسمه تورشو سيصبح بعد ٢٠ عامـا ، وفي اعقاب يوم ثوري ، رئيسا للحكومة . كان بوجو ، اثناء اجتماعه بضباط هيئة الاركان يفيض طلاقة غسكونية (مهذاره) . انه متبجـح . أخـذ يتذكر مداورة بأنه لم يعرف الهزيمة ابدا :« لا اريد غدا ان افقـد عذريتي » كما انه يتذكر بالطريقة التي تصرّف بهـا اثناء حصـار ساراغوسا Saragosse ويعلن عن امله في مشاركة الحرس الوطني « لكن اذا قاطعنا الحرس فاننا سننتصر بدونه » واخيـرا أخذ يفصّل مخطط عملياته : اربعـة طوابير يجب ان تطهر باريس.

الطابور الاول بقيـادة الجنرال تيبورس سيباستياني ـ هذا التعيس يطالب بعد زوال حظوته ، وبطريقة ذليلة ، بأن تعهـد اليه قيادة ما ، حتى لو كانت ثانوية ، وكعسكري منضبط ، فهـو يريـد بعد كل حساب ان يتحمل قسطه من المسؤولية في لحظـة حاسمة بالنسبة للملكية ـ هذا الطابور سيتوجه نحو مصرف فرنسا

عبر دار البلدية . ولسوف يؤدي مهمته دون كثير من الصعوبات. تحرك الطابور المذكور في الخامسة والربع صباحا . وفي الساعة السابعة وصل الى ساحة غريف (الاضراب) : فقد اثني عشر قتيلا وضعف هذا العدد من الجرحى .اما الطابور الثاني فسيكون بقيادة الجنرال بيدو Bedeau ـ حوالي الفي رجل ـ الذي كان يمر بالصدفة في باريس . هذا الطابور كان عليه ان يصل الى الباستيل عبر البورصة والبولفارات الكبرى . وسوف نعود الى مصائب هذا الطابور لانها تشكل حدثا مهما من احداث هذا اليوم . الطابور الثالث يجب ان يتقدم وراء الطابورين الاول والثاني ويمنع اعادة بناء المتاريس في النقاط التي يكون جنودسيباستياني وبيدو قد مروا بها . اما الطابور الرابع فسيصل الىالبانتيون .

الساعة الثانية والنصف صباحا . تيير موجود في التويلري ؛ لقد قبل تشكيل الحكومة غير ان الحديث مع الملك كان حادا : الحّ تيير على ان ينال أ . بارو حقيبة مهمة ، فقطب لويس فيليب وجهه واصبح تقطيبه واضحا اكثر عندما طالب تييربحل المجلس بأقصى سرعة : « لا ، لا حلّ للمجلس » اجاب لويس فيليب . تخلّى تيير عن هذه النقطة وترك التويلري بحثا عن السياسيين الذين ينبغي ان يشاركوا في التركيبة الوزارية الجديدة . وكثيرا ما كان تيير يصطدم بالمتاريس مما كان يضطره لتغيير طريقه عدة مرات . الساعة الرابعة صباحا : عاد الى التويلري بصحبة رموزا Remusat الذي كان مغتاظا لتعيين بوجو. ثم انطلق الرجلان في الليل لكي يباشرا القيام بمشاورات سياسية جديدة . الساعة الثامنة ، عاد تيير مرة اخرى الى التويلري ، لقد ادرك بنفسه ان الاحداث قد تجاوزته وهو يقترح، بشكل مبهم، ان يتولى أ .بارو مسؤوليات الحكم .

لكن لننتقل الى جادة بون نوفل بالقرب من طابور بيدو .اوقف احد المتاريس ، المعدّ جيدا ، تقدّم الجنود .بيدو يتردد في اعطاء الامر بالهجوم . انه يفاوض . انه يحاول جاهدا اقناع الثائرين بالاجراءات المتسامحة التي اتخذها الملك وهو يعلن ان أ. بارو قد عاد الى الحكم . يقول توكفيل الذي حضر المشهد والذي لا يعطف

على بيدو :« لم أر في حياتي جنرالا بمثل هذه القدرة على الخطابة » . لم تعط فصاحة بيدو اية نتيجة بمعنى ان المتراس لم يُفتح لكي يسمح للجنود بالمرور . في هذه الاثناء تقدم امام الجنرال، وبثقة، ضابط من الحرس الوطني يُعتبر مفاوضا مهما في الحي ويحمل اسم فوفيل دي لابار . أخذ هذا المفاوض على عاتقه المشاعر الطيبة الكامنة وراء بناء المتاريس واعلن ان هناك سوء تفاهم وهو يريد الذهاب الى بوجو في التويلري كمفاوض . وبعد ذلك يعود الى جادة بون نوفل موضحا مقاصد بوجو والملك . . . وسوف تسوّى كل الامور . . لقد نجح ، وهذا ليس امرا مفاجئا ، في إقناع بيدو . ولسوف ينجح ايضا ، وهذا اكثر اثارة للدهشة ، في خداع بوجو . كان هذا الاخير قلقا بشكل جلي من مجرى الاحداث : انه يشعر بان الامراء لن يغفروا له الدم المهرق ، وهكذا فقد قبل الاقتراحات التي قدمها مفاوض جادة بون نوفل . أصدر بوجو اوامره الى بيدو بعدم فتح النار وبالانسحاب الى التويلري . وفيما بعد ، اثناء عهد الجمهورية الثانية ، التقى بوجو في صالونه هذا المفاوض ، سأله بكلمات حاقدة وصرخ : « هذا أنت ، ايها السيد ، الذي طعننا في شباط في الصميم ؟ » . في الواقع لا يمكن اغفال الدور الذي لعبه فوفيل دي لابار في تطور الاحداث . ومع ذلك ينبغي الا نغالي فيه ابدا . هذه الشخصية الصغيرة الفصيحة – كان لديه ميل الى النقاش الطويل اكثر من بيدو – وجد الساح خاليا بالقرب من بوجو والأمراء والملك . وعندما عاود الكلام في المنفى في كلارمون عن الشكل الذي اعطى فيه بوجو الامر بالانسحاب ، وعندما طرحت مسألة المسؤوليات – اهو بوجو ام بيدو الذي ساهم ، باعطائه الامر التعيس ، في حفر قبر الملكية ؟ – عند ذلك هز لويس فيليب العجوز كتفيه وقال : « كان الامر وشيك الوقوع » .

وبينما كان فوفيل دي لابار يتفاوض مع بوجو كان بيدو، في جادة بون نوفل ، يلاقي صعوبة كبرى في المحافظة على قليل من النظام في طابوره الذي لا يعمل . لم يكن كثير القلق لانه اثناء روحاته وعدواته قد لمح أ . بارو وهو يقوم بحركات كثيرة وسط المتظاهرين ، لقد بدت له حيوية بارو على انها نذير خير . عندما عاد فوفيل دي لابار الى المتراس بدأ الجنود ، الذين كانوا يتعرضون

الضغط الشعبي — وهو ضغط ودي ومتوعد في آن معا — بدأوا يتفككون . وعندما علموا ان عليهم ان يتراجعوا الى الوراء لم يبدوا اية مقاومة للهيجان الشعبي . استسلم معظم الجنود وقدّم اخرون اسلحتهم الى المتظاهرين دون اي خجل . تراجع هؤلاء الجنود الى التويلري في جو كئيب . شغب ، فوضى وغضب عاجز . كان الضباط يسيرون مطأطئي الرؤوس . بقيت ذكرى هذا الانسحاب عنيفة في الجيش . واذا كان كثير من الضباط والجنود قد بدوا شرسين ضد الشعب في يونيه ، فلأنهم كانوا يريدون الاخذ بالثأر (١) . استقر طابور بيدو ، او على الاقل ما تبقى منه ، قرب التويلري في الساعة الثامنة صباحا . في نفس الساعة اوقف طابور سيباستياني اعماله الحربية في ساحة دار البلدية . لقد شاهد ، دون ان يحرّك ساكنا ، اشتباكات عنيفة بين المتظاهرين واعضاء الحرس البلدي . في الساعة الحادية عشرة احتل نقيب من الحرس الوطني يتبعه عدد من البوليتكنيكيين (٢) ، وبسهولة تامة دار البلدية . رضخ الجنرال سيباستياني وحاكم السين وعاد الجنود الى ثكناتهم .

وهكذا فان الجمهور ، الذي ادهشه الانتصار السهل ، اخذ يتشجع اكثر فاكثر ثم تدفق من دار البلدية نحو القصر Château . اقترب اطلاق الرصاص من التويلري . المتظاهرون وحراس البلدية يطلقون النار : سوف يقتل في هذا العراك الغامض نائب من انصار

---

(١) كانت المراقبة اجمالية . فالجيش النظامي ، كما سنرى ، لن يوفر المتمردين في يونيه . ومع ذلك فان وحدات كثيرة كانت تبدي رباطة جأش وانصياعا اكثر منها حماسة حقيقية . ومقابل حماس الحرس الوطني ورجال الدرك ، بدا موقف الجيش النظامي غامضا . الا اننا في مجال كل الامور فيه نسبية ، وما من شك في ان الجيش قد ابدى نشاطا في يونيه اكثر منه في فبراير .

(٢) كما نرى كان هناك بعض البوليتكنيكيين في صفوف ثورة ٤٨ . ومع ذلك فان البوليتكنيكي ليس مرتبطا بصورة فبراير ٤٨ بنفس الشدة التي يرتبط فيها بصورة يوليو ١٨٣٠ . لقد شعر الشعب بتلك اللامبالاة النسبية للبوليتكنيكي . ففي صحيفة راسباي « صديق الشعب » ، كانت هناك تلميحات كثيرة الى « اطفال البوليتكنيك » الذين بقوا الى جانب مرضعيهم وقاطعوا المتاريس .

الوزارة يدعى جوليفيه Jolliivet : لقد سقط صدفـة برصاص انطلق من صفوف المدافعين عن الامن . في القصر الملكي كان يدور مشهد درامي : سريتان من الفوج الرابع عشر المقاتل عزلتا في المركز المسمى قصر الماء château d'eau . (مثل هذا الاسم يفاجئنا اليوم ، انه يفسر بوجود نبع من الماء هُدم منذ الاحداث التي نعرضها) . دافعت السريتان بضراوة ، لكن دون جدوى ، فقد اشعل المهاجمون النار في المركز .

تنحّي الملك ورحيله

يسود الذهول في البلاط ، اما تيير فتخونه الكلمات التي تستنهض الهمم من جديد . انه يزدد : « المد يتصاعد » . بيد انه يقدم مخططه ـ المخطط ذاته الذي سوف ينفذه في مايوه ١٨٧١ . انه يقترح على الملك ان يرحل ويسترد باريس على رأس جيش من ٦٠ الف رجل . ينتفض دوفرجيه دي‌اوران ، لدى سماعه هذا المشروع ، قائلا : « عندما نترك باريس فاننا لن نعود اليها ابدا » . اغتاظ تيير . وبعد ذلك بقليل انسحب خلسة منتهزا فرصة البلبلة العامة . لقد فوجيء الذين التقوا تيير ذلك اليوم في الشارع بالطابع الصبياني الذي ارتداه قلقه . اذا كان تيير قد بدا عنيفا تجاه خصومه فانه انهار كليا امام احتمال كونه هو ذاته هدفا لبعض العنف . فعندما اوقف بناء على اوامر لويس نابليون بونابرت في ٢ ديسمبر ١٨٥١ ابدى خورا جسديا ادهش مفوّض البوليس الذي اشمأز من ذلك الامر .

وكعادته جلس لويس فيليب في العاشرة والنصف الى المائدة لتناول العشاء . انه مهموم ومندهش بشكل خاص لانه لم ير بارو . أكل بشهية وقرر في نهاية الوجبة ان يقوم بمحاولة قصوى للامساك بزمام الوضع من جديد . كان كثير من الجنود ـ من المشاة والحرس الوطني ـ يحيطون بالتويلري وبأعداد كبيرة : سوف يستعرضهم الملك ويغذي فيهم روح الشجاعة . كان يرتدي زي

جنرال ويمتطي جوادا وكان يرافقه ولداه ، نمور وموبنسييه (١) Nemours et Mopentsier وكذلك بوجو ولاموريسيير . كـان استقبال الفيلق الاول والعاشر للملك ايجابيا . اما الفيلق الرابع فقد اطلق صيحات معادية : « يحيا الاصلاح !» . اضطرب الملك حينئذ وقال بصوت خفيض :« آه ! سوف يكون لكم اصلاحكم ! » ثم رجع على اعقابه ..

عند الظهر دخل الى التويلري اميل دي جيراردين ، رئيس تحرير جريدة « الصحافة » . انه شخص معروف : فهو ابو الصحافة الحديثة وذو عبقرية في مجال الاعلان ، وجه بدون عضلات ، طري ، أبيض ، لكن نظرته قوية تفصح عن سطوة وصلافة اكثر منها عن ذكاء حقيقي . لم يدع جيراردين ، في مرحلة انهيار الملكية البرجوازية هذه ، فرصة تمر دون ان يتقدم الى امام . لقد لعب دوره في الجوقة التي فضحت « الفاسدين » . انه لمشهد مزعج ان ترى هذا الوقح ، المتاجر النموذجي ، وهو يعطي دروسا في الاخلاق لغيزو . كان على جيراردين في صيف ١٨٤٧ ، أن يبرر موقفه تجاه الفضائح التي اثارها بشدة في جريدة « الصحافة » : عندما احرج فقد توازنه وارتبك ، لكن الوزارة لم تستفد من ذلك كما كان منتظرا منها . وعندما اثار فيكتور هيجو هذا الموقف سائلا : « لماذا اذن لا يتقاضى جيراردين والوزير في محكمة الجنايات ؟ » اجيب :« لان جيراردين لم يكن يشعر بالقوة الكافية ولان الوزير كان يدرك انه ليس نظيفا بما فيه الكفاية » . حاول جيراردين دون جدوى ان ينظم فريقا تقدميا في المجلس ، وفي ١٤ فبراير قدم استقالته بشكل صاخب معلنا انه ليس في المجلس مكان لمن يريد العمل بجدية :« الاكثرية متزمتة ، والاقلية متناقضة » .

بعد عشرة ايام دعا جيراردين الملك ، وبكثير من الطلاقة ، الى التنحي .

قبل لويس فيليب ، بخضوع تام ، الدعوة التي وجهت اليه للتنحي .

---

(١) لم يكن ولداه الاخران أومال وجوينفيل في باريس : كان اومال حاكما للجزائر وكانت الاميرة جوينفيل تقضي الشتاء عند اخيها ، ثم انها مريضة لذلك فهي تقصد مناخ الجزائر رغبة في الشفاء .

ــ ولكن في اية شروط سأتنحى يا سيد جيراردين ؟

ــ تتنحى لصالح ولدك الاصغر الكونت دي باريس ، يتابع جيراردين ، ولما كان من الممكن ان يكون نمور غير مرغوب فيه من قبل الباريسيين ، فانك تعهد بالوصاية على العرش لدوقة اورليان ...

ــ ليكن ، اني اتنحى ، وسأسلم العرش الى ولدي الاصغر .

بدأ الملك يخرز على مهل ــ انه مكب ، يكتب الكلمات بحروف كبيرة ــ قرار الاستقالة ... لم يتطرق ابدا في هذا النص الى موضوع الوصاية على العرش . انه لا يحب الاميرة هيلانة ، وهو يتذرع بأن فرنسا محكومة بشريعة الافرنج(١) التي تستبعد النساء . انه يقول بان المجالس النيابية ستتدبر امورها ... يبدو ان الاميرة هيلانة مدعوة من الان فصاعدا ، وعلى كل حال ، لان تلعب دورا هاما مهما كانت تقييدات الملك ، ومنذ الان فان عددا من رجال البلاط اخذوا يعتبرونها وصية على العرش . وبخبث ، قالت لها الملكة العجوز ماري ــ اميلي :

ــ ها أنت سعيدة ، يا هيلانة .

ارتمت دوقة اورليان ، وقد جرحتها هذه الكلمة القاسية ، على رجلي الملكة وصاحت : « أوه ، يا أمي ! »

مع ذلك كانت تبذل جهودا لاتخاذ بعض القرارات . وفي البداية كان الملك والملكة يستعدان للرحيل . وسوف يتخذ رحيلهما اكثر فأكثر طابع الهرب .. كان المحامي كريميو يتحرك وديا بجانب الملك . عند الظهر كان لا يزال مكبا على دعم الملكية والكونت دي باريس ، الا انه أصبح وزيرا في الجمهورية عند المساء ... انه هو ، اي كريميو ، الذي كان يحث الملك على ان يرتدي لباسا برجوازيا ، ويقدم له ردنغوتا وقبعة مستديرة . وللحقيقة ، فان مونباسييه كان يتعلّق بكريميو كمنقذ : انه يتوسل الى المحامي الا

---

(١) قانون فرنسي قديم يمنع النساء من تملك الارض بالميراث والصعود الى العرش الملكي (م) .

يترك العائلة المالكة في هذه اللحظة الحرجة . وفي النهاية فان لويس فيليب سيصل الى هونفلور Honfleur وتورفيل Tourville بكثير من العناء . ومن الهافر سيبحر الى بريطانيا حيث سيتوفى في ١٨٥٠ صريع الحزن . سويت مسألة سلامة الملك بشكل سريع نسبيا . ومع ذلك فان مشكلة ثانية طرحت نفسها على اولئك الذين اعتقدوا ان الملكية لا تزال ممكنة : كيف يمكن اعادة الهدوء؟ تقرر في اللحظة الاخيرة ان تعهد قيادة الحرس الوطني الى لاموريسيير ، Lamoricière . كنا قد رأينا هذا الاخير يمتطي جواده الى جانب لويس فيليب وبوجو Begeaud انه يستدير بفرسه وهو في وضع مثير . كان قد عاد من افريقيا منذ قليل ، انه في اجازة . وعندما رأى الوضع الداخلي يأخذ منحى خطيرا ، ذهب الى القصر بدون لباس رسمي ، في بنطلون من النانكين . وهناك ألبس بذلة من الحرس الوطني فوق ثيابه المدنية . وفي هذا الزي المضحك انطلق عبر شوارع باريس يخطب في المتظاهرين معلنا تنحي الملك وداعيا الباريسيين الى الاحتفاءبالكونت دي باريس ملكا جديدا وبأوديلون بارو رئيسا للحكومة . لم ينصت الجمهور بالطبع لاقوال لاموريسيير لكنه كان يتسلى برؤية هذا الرجل الطويل القامة والذي يتعثر في كلامه كما في زينته المدنية والعسكرية .

في اللحظة التي تنازل فيها الملك عن العرش ، حضر بعض المارشالات الذين كانوا دعامة النظام واحاطوا بالملك . كان بينهم سول Soult وجيرار . سول هذا ، هو دوق دالماسيا Dalmatie وكان له من العمر ٧٩ عاما وجيرار ٧٥ عاما . كان جيرار قدانهكه المرض والشيخوخة . ومع ذلك فقد رُجي اليه ان يستمر ايضا في التضحية من اجل الملكية وان يقوم بالدور الذي يقوم به لاموريسيير . وعلى حصانه ، وفي ذبوله التام، كان اكثر اثارة للسخرية من لاموريسيير لانه ، وان كان لباسه اقل غرابة من لباس الاخير ، كان يحمل في يده غصنا من الزيتون جاعلا من نفسه رسول السلام . كان صوته المرتجف مغمورا بالضجيج الشعبي . هناك جماعة اخرى مضحكة أيضا ، هي جماعة أ . بارو . كنا قد تركنا أ . بارو في المجلس النيابي نهار الثلاثاء عندما قدم طلبا

بوضع غيزو موضع الاتهام . نهار الثلاثاء والاربعاء تنشّق بـارو بخور الحظوة لدى الشعب . كان يقيم في شارع مزرعة المارتوران وهـو شـارع يصل جادة المادلين بالطرف الشمالي مـن شـارع التروتشي tronchet . مساء الثلاثاء قام بعض المواطنين المتحمسين بتغيير اسم الشارع واعطوه اسما جديدا هو « شارع ابو الشعب » ومع ذلك فان بارو قد ادرك بنفسه نهار الخميس ان حظوته لـدى الشعب قد هبطت كثيرا . وكما قلت سابقا ، فان بيدو كان يطمئن عندما يرى حركات بارو المثيرة وهو يخطب في الجمهور . كان بيدو على خطأ . ان الحركات التي كـان « ابو الشعب » يقوم بها هـي حركات هائجة بنفس القدر الذي كانت فيه دون جدوى . لم يكن في الحوار الذي دار بيـن بارو والجمهور اي شيء من الود . فما اعتقده بيدو انه رضى ، لا بـل حماسـا ، لم يكـن سوى رفض عدواني . وفي ضاحيـة سان دنيس كان بارو قد تعرّض للهتاف الساخـر . لحق به بعض الاصدقاء وكانوا يحثونه على المجيء الى التويلري ومحادثة الملك لاعـادة استقرار الوضع . اجابهم بـارو بانه متعب وانه يريـد الذهاب الى بيته ليرتاح ويطمئن امرأته . يا له من عذر يدعو للشفقة : كان يجري في عروق مـدام بارو دم بطولي وهي لم تطلب منه ابدا ان يتجنب الخطر ، عكس ما قال ... ومع ذلك فلنحـاول ان نكـون منصفيـن : اذا كانت هنـاك بعض الشهادات القاسيـة تجاه بارو فان شهادات اخرى ، بينها شهـادة توكفيل ، كانت اكثر تسامحا ، لم يقض بارو سـوى لحظات قليلة في منزله ، وبعد توقف قصير في شارع مزرعـة المارتوران ذهب الى وزارة الداخليـة التي كانت حينذاك في شارع غرينيل Grenelle رقم ١٠١ . شق بارو لنفسه بصعوبـة طريقـا حتـى شـارع غرينيل . استقل سيارة تسلق عليهـا عدد من المتظاهرين الذين سلبوا محلا لبيع لوازم المسرحكي يحصلوا على اسلحتهم وتجهيزاتهم ولهذا السبب تكلمت عـن جماعـة مضحكة . كنـا نرى أ. بارو ، في ابهتـه وعبوسه ، وهو يتخبط بيـن صبية يرتدون دروعـا من نموذج هنري الثاني ويلعبـون بالقربينه (بندقية من طراز قديم) . لكـن لم تكـن هذه الصور المسرحيـة هي التي تزعج أ. بارو : كـان غارنييه باجي Garnier Pagès وبانيير Pagnerre قد اخذا مكانهما في السيارة وهما يحثان « ابا الشعب » على الانضمـام الى جماعـة

صحيفـة « الناسيونال » والالتحام بالجمهورية .

وصاية على العرش ام جمهورية ؟

الى اي حد كانت انتفاضة فبراير ، التي بدأت بصرخـــة « يحيا الاصلاح » وانتهت بصرخة « تحيا الجمهورية » ، الى اي حد كانت عفوية ؟ يميل المؤرخون الى فرضية العفوية متذرعين في هذا المجال بالتصريحات التي اعلنها ،ذات مساء من حياته، المحامي ماري الذي كـان احـد الزعمـاء الجمهوريين في ١٨٤٨ واحد اهم الرجال في جماعة « الناسيونال » . امـا شهادة ماري فهي التالية: « حتى الرابع والعشرين من فبراير الساعة الحادية عشرة ، لم تكن المسألـة مسألـة اسقاط الملكية : كانت الانتفاضـة تتنامـى دون مخطط ودون تعليمـات » واضيف ، يتابع ماري ،« انه كـان لي مخبرون في مختلف قطاعات الحزب الجمهوري ، وكنت اعرف كل ما كـان يحاك ، واي تدخل واضح ومحدد لهذه الجماعة او تلـك لم يكـن ليخفى علي . » مثل هذه الشهادة ليست مقنعة علـى الاطلاق . لنلاحظ بادي ذي بدء ان مـاري يحـاول تضخيم دور الناسيونـال واظهار الرجال الذيـن اسسوا الجمهورية الثانيـة على انهم مواطنيـن جديـن الى اقصى حد ولا يتحملون ايـة مسؤوليـة في اعلان الحدث ،الا انهم قبلوا ،في وضـع غامض ، تحمل مسؤوليات مرهقة ... لماذا يجعل ماري من الساعة الحادية عشرة نهار الخميس لحظة حاسمة ؟ لان الاجتماعات المشبوهة التي ادت الى التفكير بانشاء الحكومة المؤقتة قد عقدت بالضبط بعدذلك بقليل في صحيفة الناسيونال . كان المعتدلون من جماعةالناسيونال يؤيدون دخـول عناصر من الاسرة الحاكمة في هذه الحكومة .وهكذا كنا نرى بانيير وغارنييه باجي يتعلقان بردنفوت أ. بارو الذي كان مدعوا لدخول التركيبة الجديدة .. لكـن ، بمـا ان الاجتماع يطول والانتفاضة تتعاظم من ساعة لاخرى ، فان رجال الناسيونال ارتأوا، على مضض ، انه من الافضل ان يتفاوضوا بجناحهم اليساريوليس اليميني ، وان يتحادثوا مع جماعة « الاصلاح » وليس مع المعارضة الملكية التـي كان يتزعمها أ.بارو ، ونتيجـة لتدخـل مارتـن دي ستراسبورغ ، فان اتفاقا قد تم بيـن الناسيونال والاصلاح.

وسوف تنال الناسيونال بموجب هذا الاتفاق اكثرية في الحكومة الجديدة،على ان تسند بعض الحقائب الى محرري جريدة الاصلاح.

ان المؤرخين الاورليانيين ، ذوي الرأي الصائب ، غالبا ما يصرون اسنانهم عندما يذكرون هذا الاجتماع . لقد قالوا ان ثورة فبراير قامت على اكتاف جريدة لم يبلغ عدد المشتركين فيها ثلاثة الاف ! انها نظرة تبسيطية الى حد ما . فحتى قبل انيقرر سادة الناسيونال تأليف حكومة مؤقتة ، كان هناك عمل ناشط من اجل الجمهورية قامت به لجنة جريدة الاصلاحالتي كانت على صلة وثيقة بقيادات الاركان القديمة للجمعيات السرية . ان ماري لم يكن قادرا على معرفة ما يحاك في محيط فلوكون Flocon. او كوسيدير caussidiere . لم يكن رجال الاصلاحليبوحوا باسرارهم لجماعة الناسيونال.كانوا يحتقرونهم ويحذرونهم . كان ليدرورولان Ledru - Rollin وماراست Marrast ،في اللحظة التي اقيمت فيها المتاريس الاولى ، يتبادلان تحديات حقودة : انهما على وشك البدء بالعراك . لقد رأينا ان هيئة اركان الاصلاح كانت ، منذ مساء الاثنين ، تعد نفسها لكل احتمال مع انها كانت تبدي بعض التحفظات على تطور الوضع . « لم نكن سوى حفنة » يقول لاغرانج عندما يتحدث عن ثوار فبراير . بدون شك ، لكنها حفنة اعطت ، ليلة ٢٣ ـ ٢٤ فبراير ، دليلا على الانضباط والتماسك . واذا كان صاحبنا النسائجي في الحرس الوطني قد اكتفى بشلعمل الجيش النظامي ، فان صاحبنا الميكانيكي وحتى الابنوسي قد انضما الى الجيش الثائر الذي اشار اليه لاغرانج . ومن جهته ،لامارتين يعلن انه فوجيء بكل هؤلاء العمال الذي تركوا معاملهم صباح الخميس ،وتجمعوا بهدوء في مفارز صغيرة وهم يسيرون بمحاذاة جدرانالشوارعالتي تؤدي الىكليشي chichy ، لافييت Lavillette وقنال اورك Le canal de l'ourcq . كان هؤلاء بقيادة واحد او اثنين من الرفاق ، الذين يرتدون ملابس افضل من الاخرين ، او من الذين يلبسون سترة من الجوخ او ردنغوتا . . . ان لامارتين ، وهو يصف العمال ، متعاطفا معهم على هذا الشكل ، يرى فيهم اعضاء في « جمعية حقوق الانسان » او ابناء « عائلات ميسورة » . ما هي ايديولوجيتهم ؟ انهم في آن معا يعاقبة وبابوفيون (بابوف)

(Babeuf). (١) وقد تلقوا على يـــدي بيوناروتي Buonarotti دروس بابوف . ما هي تجمعاتهم المهنية ؟ كثير منهم كانوا يعملون رؤساء ورش في مصانع الانشاءات الميكانيكية ، وكثير ايضا كانوا عمال مطابع . كان النجارون والابنوسيون (نجارو الاثاث) ومصممو النجــارة يشكلــون في النهايـــة هيئـــة مهمـــة في جيش الثورة . كان راسباي Raspail على رأس مصممي النجارة هؤلاء ..

ان الرابع والعشرين من فبراير دراما ذات ثلاثة فصول . لقد شاهدنا الفصل الاول ــ تنحي الملك ــ الذي جرى عند نهاية الصباح في قصر التويلري . اما الفصل الثاني فسيتم بعد الظهر في قصر البوربون والثالث سيجري عند المساء في دار البلدية .

كان مقررا ان يجتمع مجلس النواب في الساعة الثالثة . وافق الرئيس سوزاي Sauzet رغمــا عنه ، على تقديم موعد الجلسة . كان سوزاي يبدو مذعورا . وكمحام وقاض ، فقد عرف في اوقات هادئة نسبيا ، كيف يتلو دفاعات او قرارات اتهام مفخمة . لكــن ما ان برز الخطر حتى فقد تماسكه . هناك امران ساهما في ذعره : لقد عرف ان الوصية على العرش ، الاميرة هيلانه ، سوف تصبـــح بعد قليل تحت رحمة النواب ، الا انه يعرف من جهة اخـــرى ان النواب في قصر البوربون سيصبحون تحت رحمة الثوار . غادرت الاميرة هيلانـــة التويلري مصحوبة بابنها وبالطبيب الذي يعتنـــــي بالاميـــر الصغير . كان الكـــونت دي باريس ــ له من العمر عشر سنوات ــ مريضا فعلا ، انه يرتجف من الحمى . ومع ذلك فسوف يعرف ، على غرار والدته ، كيف يبدي رباطة جأش امام البرلمان وامام الجمهور في آن معا . لقـــد تم الانطلاق من التويلري في جو مؤلم : لم يؤد جنود المشاة حتى التحية للاميرة . وفي المجلس وجدت هذه الاخيرة نمور ، اخا زوجها ، الذي يريد حمايتها والذي ابدى شجاعة هو الاخــر . كانت شجاعته بالاحرى سلبية : كان يبـــدو

---

(١) ثوري فرنسي من مواليد سان كانتين (١٧٦٠ ــ ١٧٩٧) . تآمر ضد حكومة الادارة وانتحـر قبل ان يصعــد الى المشنقة . كانت له افكار شبه شيوعيـــة وعرفت باسمه اي البابوفية . (المترجم) .

متماسكـا او حازما وراء هيلانه لكن ذلك كان يتم بحركات تشبه حركات الانسان الالي ، وهو لم يقم بايـة مبادرة .

هلل بعض النواب للاميرة وابنها عن عطف لا عن قناعة . ومع ذلك اقر الرأي بسرعة ، بناء على اقتراح لامارتين ، على ان الاميرة وابنها يجب الا يحضرا مناقشات البرلمـان : ترك الاثنـان قـاعـة الاجتماعات . وعندما تخسر اللعبة كليـا سـوف يذهبـان الـى الانفاليـد . invalides

افتتح ماري المناقشة . صور احد الصحافيين ، اوغستليرو (Auguste Lireux) المحامي ماري بثلاثة نعوت : « نظيف حتى التكلف، فصيح وبارد » . تحدث ماري مطولا ، لكنه هو ذاته لم يكن واثقـا من الوجهة التي يتخذهـا حديثه ، وهو ما لم يكن له اهمية ابـدا لان احدا لم يستمع اليه . لقد اخطأت على كل حال حين قلت ان احدا لم يستمع اليه ، في الواقع كان كريميو يتوسل الى الجميع ان يصمتوا وكان في راحـة تامة امام ماري . بعد ماري تكلم بارو: انه يدعو جميع النواب الى الانضواء تحت لواء الاميرة والاعتراف بالكونت دي باريس ملكا . كان حديثه موفقا كمـا انه اثار بعض الانفعال . لكن بارو توقف فجأة بعـد ان نفد مـا يقوله . عندئـذ سمع صوت لاروش جاكلين الساخر : هذا الاخير ، شرعي، يتهكم على انهيار ملكية اوجدتها المتاريس والحقد على الامراء الحقيقييـن وهي تنهار بدورهـا نتيجـة للمتاريس . ان لاروش جاكلين يخضع هنا لامر القدر .... ولكي يتأكـد كلام النائب الفانديني (نسبة الى Vendée مقاطعة فرنسية) ، ولكـي تتجسم صورة القـدر التي رسمهـا لاروش جاكليـن بتركيز حاقد ، دخل الجمهور ، الـذي ازداد عدده اكثر فاكثر وكذلك خطره ، وانتشر فـي قاعـة الاجتماعات . هنا سمع صوت ليدرو رولان وهو يدعو الى الهدوء لكن دون ان ينجح كثيرا في ذلك . بعد ذلك تكلم لامارتين الذي كان له من الشعبيـة ما يكفي للحصول على صمت نسبي . وبالرغم مـن الهيجان فقد انصت اليه بانتباه بالغ ..

كانت بداية الحديث مديحا رقيقا لدوقة اورليان وللكونت دي

باريس :« لقد رأينا احد اكثر المشاهد اثارة مما يمكن أن تقدمه الحوليات الانسانية ، انه مشهد اميرة جليلة جاءت تدافع عن نفسها مع طفلها الساذج تاركة قصرها المقفر وملقية بنفسها وسط ممثلي الشعب » . هذه الكلمات اعادت لحظة من الامل لبعض الملكيين امثال بارو اوديان ... ومع ذلك فقد تمت استمالة لامارتين الى جانب الجمهورية . لقد بقي مترددا طيلة الصباح، لكنه ، وقبل ان يدخل الى قاعة الاجتماعات ، تباحث في غرفة صغيرة في القصر ، مع وفد ارسلته اليه الناسيونال وكان مؤلفا من جول باستيد ، آرماند ماراست ،الناشر هتزل والممثل بوكاج . (هذا الروائي (من روان) بوكاج هو نموذج لرجل ٤٨، كان في طفولته حائكا وفيما بعد حرّك جماهير كثيرة عندما مثّل مسرحيات الكسند دوماس الدرامية في باب سان مارتن ، كما مثل في انطوني Antony وتورديينسل tour de Nesle وسوف يصبح في ظل الجمهورية الثانية مفوض الحكومة في الاوديون (قاعة الطرب)) . « لا يمكن ان تؤلف حكومة مؤقتة بدونك . هيا لامارتين ، لتكن من انصارنا » . وافق لامارتين، وهكذا انهى حديثه داعيا المواطنين للالتفاف حول الحكومة المؤقتة .

ـ لنشكل هذه الحكومة في هذه اللحظة ، لنشكلها باسم المصلحة العامة ، باسم الدم الذي يسيل ، باسم الشعب الذي يمكن ان يكون جائعا نتيجة للعمل المجيد الذي يقوم به منذ ثلاثة ايام .

كان لامارتين لحسن الحظ في نهاية حديثه : اذ ان الضجيج قد ازداد حدة وعنفا . حتى ان عددا من البنادق قد صوّبت نحو الشاعر الذي لم يبال بها واظهر رباطة جأش لا تتزعزع . امسك احد الثوار بشعر المسكين سوزي Souzy قائلا :« اخرج من هنا يا رئيس المتحلين » . اقترب لامارتين من ليدرو رولان وقرر الاثنان الذهاب الى دار البلدية حيث سيباشر ، ربما بعيدا عن الفوضى ، بتشكيل الحكومة .

اضواء المشاعل ، وجمهور غفير من الناس في دار البلدية . لامارتين وليدرو رولان يتقدمان بصعوبة . كان لامارتين متكبرا ، جديا ترافق جديته بعض الابتسامات . اما ليدرو رولان فكان ضيق النفس ، متكرشا ، يرشح عرقا . في احدى اللحظات شكا رولان من انه يكاد يختنق فكان ان اجابه لامارتين : « ولكننا يا عزيزي ، نصعد الى الجلجلة » . وسوف يقول ليدرو رولان ، مستعيدا امسية ٢٤ فبراير ، خلال احد اكثر اجتماعات الجمعية التأسيسية مأساوية ، ابان الجمهورية الثانية : « كنت اعرف ، ذلك اليوم ، اني اصعد الى الجلجلة » . عندما وصل ليدرو رولان ولامارتين الى دار البلدية التقيا مارتن دي ستراسبورغ الذي كان آتيا من مكاتب جريدة الناسيونال والذي وضعهما في مجرى المفاوضات التي كانت قد بدأت بين جريدتي المعارضة الكبريين . استمرت هذه المفاوضات من غرفة الى غرفة في دار البلدية ، بينما كان كل الزعماء الجمهوريين شديدي الارتباك وفي عجلة من امرهم بسبب الازدحام الشعبي الشديد . كان فرنسوا ارغو ولويس بلان قد تبادلا انفا بعض الكلمات الحادة . وبطريقة ما ، تم الاتفاق على لائحة تُتلى على الشعب الذي قد عيل صبره . ثم يقدم الوزراء الجدد انفسهم من وراء الشبابيك الى الجمهور لينالوا موافقته واعجابه . لقد وقعت بعض المشاهد التي تعبر عنه امزجة مختلف الرجال . قدمت لائحة الى لامارتين ودعي لتلاوتها : « قال هامسا اني متضايق ، لان اسمي موجود على هذه اللائحة » . كما قدمت نسخة اخرى عنها الى كريميو ، لكن هذا الاخير اعلن ، وقد بدا محتدا : « كيف تريدونني ان اقرأها ؟ واسمي غير موجود فيها » . سوف يرئس الحكومة محارب جمهوري قديم ــ كان عضوا في مجلس القدامى conseil des Anciens (١) في عهد حكومة المديرين ــ هو دوبون

---

(١) احدى الجمعيتين اللتين اوجدتهما الجمعية التأسيسية في السنة الثالثة عام ١٧٩٥ ، كان عدد اعضائه ٢٥٠ مكلفون بابداء رأيهم في القوانين التي اعدها مجلس الخمسمائة . (المترجم) .

دي لور Dupont de l'Eure طار الجمهور اعجابا لان دوبون دي لور ذو شهرة قديمة . انه اعجاب تظلله كآبة مبهمة .

ــ انه على كل حال متقدم في السن .

ومع ذلك اضاف الجمهور وكأنه يطمئن نفسه :

ــ ان الاخرين شباب ، ان امامهم ثلاثين عاما من اجل تأمين سعادتنا .

احدثت اسماء لويس بلان ، فلوكون والعامل البير هتافات متواصلة . لقد اثار رجال الناسيونال حماسا اكثر حذرا . وعندما اعلن اسم غارنييه باجي صرخ احد العمال :

ــ ليس هذا هو الجيد . كان كذلك اخاه المتوفي .

لم تكن هذه الكلمة تافهة كما لم يكن ينقصها الصحة . كان غارنيه باجي رجلا تافها وهو مدين بشهرته للعمل الذي قام به اخوه في السابق . هذا الذي كان يدعى غارنيه باجي البكر كان الى جانب غودفروى كافينياك احد اكثر الزعماء الجمهوريين نشاطا . واذا كان غودفروى كافينياك وغارنيه باجي البكر يرقدان في القبر فان الشعب لم ينسهما ابدا .

لم يكن رجال الناسيونال ينوون اعلان الجمهورية الا مع تحفظات . وكان لهم ما أرادوا : يقول نص البيان الذي اعتمد لتوجيهه الى البلاد :« مع ان الحكومة المؤقتة تعمل باسم الشعب الفرنسي ومع انها تفضل الشكل الجمهوري ، فان سكان باريس والحكومة المؤقتة لا يدعون انهم يحلون رأيهم محل رأي المواطنين الذين سوف يستفتون حول الشكل النهائي للحكم الذي تتطلبه سيادة الشعب » تروي دانيال سترن أن كلمة « تفضل » في المخطوطة الاصلية لهذا النص قد غطيت بلطخة حبر . وعلى الهامش كتب لوسي بلان :« لنكن مع الحكومة الجمهورية في القلب وفي اليقين » . لكن رجالات الحكومة المؤقتة لم يجرؤوا على قراءة الجمل التي اوردناها امام الجمهور مساء ٢٤ فبراير ، تلك الجمل التي كانت ثمرة اتفاق شاق ... كان الشعب يصرخ متلهفا:

ــ الجمهورية ! الجمهورية !

ارتفعت بعض الاصوات الحاقدة :
ـ لن نتعرض لنفس الغربة التي تعرضنا لها عام ١٨٣٠
ظهر لامارتين على الشرفة وهتف بعزم :
ـ ان الجمهورية قد اعلنت .

انطلق هتاف جنوني لا ينقطع . لقد اعلنت الجمهورية . لم يكن احد يجهل هذه الكلمات الاربع السحرية . سجل بعض العمال هذه الكلمات مباشرة على لافتات صغيرة ، ثم تسلقوا افاريز دار البلدية وعلقوا هذه اللافتات على المبنى . زلت القدم بأحد العمال فتحطم على الارض . هنا اهتاج الجمهور مذعورا امام الجثة : هل كان ذلك نذير شؤم ؟

الوهم الغنائي

لقد استعيدت فرنسا . واخيرا سنبني مجتمعا عادلا يكون كل اعضائه احرارا ومتساوين ، وسيتخلص العمل من استغلال رجال المال المتغطرس والرهيب . ثم ، من يدري ، اذا امتدت العدوى ،ان اوروبا بكاملها لن تتحول قريبا الى فدرالية من الشعوب الحرة ؟

غوستاف لوفرانسي Gustave Lefrançais

صباح الجمعة في الخامس والعشرين من فبراير ، فتح صاحبنا النسائجي ، في شارع سان دنيس ، جريدة الناسيونال وهو يتذكر بنشوة وبذهول ايضا وحتى بشيء من القلق ،الاحداث التي وقعت في الليل . كيف وجد القرارات ، التي اتخذت اثناء الليل في دار البلدية ، معروضة فيها ؟

« تألفت الحكومة من : دوبون دي لور ، لامارتين ،كريميو، اراغو (من الجمعية) ، ليدرو رولان ، غارنييه باجي ، ماري . والحكومة ثلاثة امناء للسر : ارماند ماراست ، لويس بلان ، فردينان فلوكون » . تم توزيع الوزراء كما يلي : رئاسة مجلس الوزراء : دوبون دي لور ، وزارة الخارجية : لامارتين ، الداخلية :ليدرو

رولان ، الحربية : الجنرال بيدو (١) المالية : ميشال غودشو (جيرفي يهودي اكتسب شهرته عندما نشر في الناسيونال سلسلة مقالات دافع فيها عن موضوع بناء واستغلال الطرق الحديدية من قبل الدولة) ، البحرية : آراغو ، الزراعة والتجارة :بتمونت Bethomont (المحامي بتمونت رجل شديد الاعتدال والبساطة، من اصل شعبي ، وهو يحب ان يذكر دائما بانه ابن احد الخبازين . في سنة ١٨٤٤ دافع امام محكمة الجنايات عن عامل الطباعة باسكال الذي كان مسؤولا عن جريدة « المعمل » l'atelier) الاشغال العامة : ماري . التعليم العام :هيبوليت كارنو ، الحاكم العام للجزائر : الجنرال اوجين كافينياك . (كنت قد تعرضت في نهاية الفصل السابق ، لذكر غودفروي كافينياك . ان اوجين كافينياك ، شأنه شأن غارنيه باجي، مدين بتعيينه هذا الى الاحترام الواسع الذي تتمتع به سيرة اخيه في الحزب الجمهوري (٢) . ولكن الجنرال ابدى احتقارا لهذا التعيين المخادع جدا مما جعل الحكومة المؤقتة تحقد عليه نتيجة لذلك)، حاكم باريس : غارنييه باجي ، القيادة العليا للحرس الوطني :دي كورتاي De courtais (الفيكونت دي كورتاي ، الذي كان قد ترك لقبه طوعا ، هو من اصل بوربوني ، وكقائد متقاعد سرايا الفرسان ، فقد سثل ، في عهد ملكية يوليو ، مقاطعة الييه Allier

---

(١) لم يقبل بيدو، فاعطيت وزارة الحربية للجنرال بارون سوبرفي Subervie هذا الضابط الامبراطوري العجوز كان له من العمر ستة وسبعون عاما في سنة ١٨٤٤ .

(٢) كانت عائلة كافينياك تمتلك براءات شرف جمهورية ، جان بابتيست كافينياك ، من اصل غودروني Goudron كان قد انتخب نائبا عن الفارون الاعلى في الجمعية التاسيسية . وزيادة على ذلك فانه يعد من الترومبدوريين(جماعة من النواب التقوا لاسقاط روبسبير والترومبدور هو الشهر الحادي عشر من السنة الجمهورية الفرنسية (المترجم) . توفي في بروكسل عام ١٨٢٩ .وعند عودة الملكية Restauration حكم عليه بالنفي. شارك ولده البكر غودفروي (١٨٠١ – ١٨٥٤) في ثورة ١٨٣٤ . اما ولده الاصغر اوجين (١٨٠٢ – ١٨٥٧) فقد دخل الجيش وخدم في الجزائر. وفي ظل الملكية البرجوازية لم يفصح ابدا عن عواطفه الجمهورية .

في المجلس وكان يجلس بين الجمهوريين والراديكاليين)
هذه اللائحة تستدعي ملاحظتين :

١ ـ حذف منها احد الاسماء ، هو اسم العامل البير (لم يظهر الا في عدد ٢٦ فبراير) . الكسندر مارتين ، المسمى البير ، والميكانيكي في مصنع ازرار بابتروس Bapterosse هو محارب قديم في الجمعيات السرية . لقد لعب دورا مهمـا في جمعية « الفصول » . وخلال الثلاثينات اوجد الصلة بين عمال باريس وليون . كان قد تقرر في دار البلديـة ان يدخل الحكومة ، بشكل رمزي ، احد العمال . وقع الاختيار العام على البير الذي طالب به لويس بلان بحرارة . (حسب قول لامارتين ، وجد لويس بلان في البير كلبا وفيا ، « أبكم وراء سيده »). مما لا شك فيه ان سادة الناسيونال قد ابدوا ، وحتى بعد اتخاذ القرار حول البير ، كراهيـة كبيرة تجاه هذا العامل الذي اصبح « زميلا » . من هنا كان اهمال اسمه في جريدة آرماند ماراست . وبعد ذلك بقليل ، وعندمـا قرأ سكان المقاطعات هذه الكلمـات: « البير ، العامل » في اللائحـة الرسميـة التي نشرتها « المونيتور » ، اعتقدوا ان في الامر خداعا . كان هناك ، كما ظن ، مزحة غريبة قام بهـا الباريسيون . وزيادة على ذلك فقد شوه اسم المسكين البير :لقد طبعته « المونيتور » :« اوبير » Aubert بدلا من البير Albert . شك الناس في كون عضو الحكومة الجديد عاملا . كان على البير ان يطلب شهادة عمل من رب عمله بابتـروس . لقـد انصبت النكبات عليه ، واليوم ايضا ، ينزعج الكثير من احياء هـذه الشخصيـة : كثير من المؤرخين خلطوا في الواقع بين كوربـون Corbon محرك جريدة العمل (اتولييه) وبين البير الـذي صُنّف خطأ من اتباع بوشيه Buchey . ان الاحكام القاسية التي تعرّض لها البير لم يصفها اناس معتدلون . كتـب سيباستيان كوميسيير Sebastien commissaire ضابط الصف الذي اصبح ايام الجمهورية الثانية الممثل الديمقراطي الاشتراكي للرون :« لم يقم البير باي عمل في الحكومة المؤقتة ، ولم يبادر لاتخاذ اي اجراء جدي . لقد كان دوره متواضعا لا قيمة له بحيث اننا نستطيـع القول بانه قـد قضى ، عن غير قصد ، ولعدة سنوات تقريبا ، على

امكانيــة ترشيــح العمال لحكومة البلاد » . حتى انه يجب ان نلاحظ ان برجوازيــن كبارا واريستوقراطيين ،مثل لامارتين ، كانوا يتأثرون وينفعلون من مظهر بطل الميلودرامــا ، بطل القصة، الذي اتخذه البير . هذا الاخير كان البروليتاري الصامت،المحزن والفظ . غيــر ان كثيرا من العمال الذيــن لعبوا دورا في الـ ٤٨ كانــوا يفتاظــون بالتحديد من الاهتمام ، الوهمي والجمالي الذي لا جدوى منه بنظرهم ، والذي اعير لرفيقهم .

٢ ــ في هذه اللائحة التي قرأناها لتونا ، قسمت الحكومة الى فئتين : في الفئة الاولى بـــــدا اعضاء الحكومة السبعة . وباستثناء ليدرو رولان فان جميع هؤلاء هم من رجال الناسيونال (كان لامارتين قد ارتبط بشكل عام بفكر الناسيونال) . فـــي المرتبة الثانية يأتي امناء السر الثلاثة وهم من محرري « الاصلاح » باستثناء ماراست . لقد حرصت الناسيونــال على ان تبرز ان راديكاليي واشتراكيي الاصلاح يُعاملون معاملــة احتقار . استاء لويس بلان من هذه المرتبية في الحكومة مما ادى الى وضع امنــاء السر الثلاثة وبسرعة في نفس مرتبة زملائهم اعضاء الحكومــة . اصبحت هذه الاخيرة تضم اذن في الاجمال احد عشر عضوا (١).

وسوف نلاحظ ان بعض اعضاء الحكومة لم يكونوا وزراء ، وان بعض الوزراء لم يكونوا اعضاء في الحكومة . استمر التراتب اذن في الحكومة ، فالاحد عشر كانوا ذوي نفوذ اكثر اهمية مــن مجرد وزراء بسيطين مثل بتمونت ،غودشو او كارنو . كان فلوتار Flottard وهو احد الزعماء القدامى لجمعية الفحامين يمارس مهام اميــن السر في الحكومة المؤقتة .

تسلّم اتيان آراغو ، المدير السابق لفودفيل ، الادارة العامة لمراكز البريــد . انه ينظم الشعر بسهولة ويهجو بنفســه ، شعراء وضعــه الجديــد :

قادنــي الشعب الظافر

---

(١) الاسماء العشرة الموجودة في اللائحة التي قدمتها الناسيونال والعامل البير.

الى البريد وانا اهز نعلي ،

لقد اصبحت مديرا ،

وبفضل هذا المركز الخداع

اصبحت كاتبا ... مرتين .

أصبحت عائلة آراغو ، في ظل الجمهورية الثانية مزعجة جدا . كانت تثير سخط راسباي بشكل خاص . الفلكي فرانسوا اراقو يشرف على مصانع الاسلحة عندنا واخوه اتيان يشرف على البريد . وفي نفس الوقت ارسل عمانوئيل ، ابن فرانسوا آراغو ، الى ليون كمفوض للحكومة المؤقتة . وسيصبح عمانوئيل آراغو بعد ذلك بقليل ديبلوماسيا وسيمثل الجمهورية لدى بلاط بروسيا .

عيّن لاغرانج حاكما لدار البلدية كما نصب مارك كوسيدير ، المسمّى ماركوس ، في ادارة الشرطة . كان كوسيدير ، شأنه شأن البير ولاغرانج ، عضوا سابقا في الجمعيات السرية . غيرانه اذا كان البير غامضا ولاغرانج ميلودراميا ، فان كوسيدير هو رجل مرح ، لكن هذا لا يعني انه لم يمر بالتجربة (قتل اخوه اثناء ثورة ليون بعد ان شوه بشكل مخيف) . كان يجوب فرنسا بصفة مزدوجة : انه يبيع المشروبات الروحية وجريدة الاصلاح التي حصل لها على الفي اشتراك . انه قوي ، نضر واشعث .

عندما اصبح مديرا للبوليس اخذ يجوب باريس بزي غريب: قبعة ، مسدسان في وسطه وحمّالة ضخمة لتثبيت السيف . « لكني كنت اعرف ، كما يقول في مذكراته ، ان مديرا للبوليس ينبغي ان يكون مهذبا » . وبالرغم من مظاهره المبتذلة فان الرجل كان ناعما بارعا وكريما . لقد حرص ، بشكل لبق جدا ، على الا يتعرض سلفه ديليسيّر في ادارة الشرطة لاية اساءة شخصية . استطاع كوسيدير ان يعيد النظام بوسائل مرتجلة وفي ظروف صعبة : « لقد فرضت النظام بواسطة الفوضى » . لقد اتخذ رفيقا قديما في جمعية « الفصول » مساعدا له ، هذا الاخير هو

سوبرييه Sobrier (١) وجعل له مقرا في احد الابنية المخصصة للملك في شارع الريفولي . نظم كوسيدير وسوبرييه « حرس الشعب » (٢) من معتقلين سياسيين سابقين . كان زي هذا الحرس ازرق ذو حزامات خارجية وقفا احمر، قبعات مشابهة لقبعات الحرس القنصلي، وعفرة خوذة حمراء . كان البرجوازيون يرتجفون لرؤية حراس النظام هؤلاء الذين كان منظرهم مثيرا للقلق : لقد اصابهم الذعر خاصة وان كوسيدير، الذي نال احترام الجبليين ، قد اطلق مثلا على احد سرايا الجهاز الجديد اسم « سرية سان جوست » . كان البرجوازيون على خطأ . ان رجال كوسيدير وسوبرييه ، الذين اصبحوا حراسا للنظام والملكية ، سوف يتصرفون بأدب ولباقة . لقد احيط مدير البوليس من جراء ذلك باسطورة مشؤومة : فقد اتهم بانه بنى نوعا من السانت فهم Sainte vehme (٣) لضرب اعدائه . مرّ ديلاهود Delahodde الذي كان يتجسس على الجمعيات السرية الجمهورية لحساب شرطة لويس فيليب ، امام سانت — فهم كوسيدير ، لم توجّه له اساءة تذكر ، وسوف يعرف الجاسوس كيف يقدم امتنانه لمدير شرطة الجمهورية الذي حافظ له على حياته . وعندما ارتسمت الرجعية السياسية في البلاد ، لاقت المقالات النقدية التي كتبها ديلاهود ضد كوسيدير نجاحا كبيرا.

---

(١) لم يكن سوبرييه ، في شارع الريفولي ، يقوم بمهام الشرطة فقط : كان يدير جريدة « كومونة باريس » التي كانت ذات ايديولوجية قريبة من ايديولوجية « الاصلاح » الا ان الفاظها كانت اكثر عنفا . اغتاظ الجمهوريون المعتدلون لان جريدة بارزة كهذه تستقر في مبنى حكومي ، وتتلقى موافقة شبه رسمية .

(٢) كان « حرس الشعب » يضم اربع سرايا : المونتانيارد (الجبلية)، سرية سان جوست ، سرية شباط وسرية موريساي Morisset (نسبة لاسم مناضل قديم في الجمعيات السرية)

(٣) محكمة سرية ، كانت قوتها مهابة جدا في القرن الخامس عشر في المانيا وقد نشرت رعبا كبيرا في صفوف الاقطاعيين والفرسان الاشرار في ذلك البلد.

(المترجم)

وفي الحكومة ذاتها كان جبليو كوسيدير ، في الأيام الاولى للجمهوريـة الثانية ، موضوعا يثير القلق . ومع ذلك فان غارنييه باجي ، الذي كان يكرههم ويكره كوسيدير ، قام طوعا بزيارتهم . كان يبدو انيسا معهم ، مرحا وديماغوجيا بشكل فظ . كـان يقـول لهـم :

ـ أن ابنـي ، ابني أنا ،هو عامل بقالة في شـارع فيرري Verrerie ان ابن حاكم مدينتكم هو عامل بقالة ! كلنا شغيلة . ان ابنـي هو عامل بقالـة .

ولما لم يكن رجال دار البلديـة يعتمدون على الجبليين في تأميـن سلامة العاصمة ، فقـد قرروا انشاء ٢٤ كتيبة من رجال الدرك ، على ان تضم كل كتيبة الف رجل .

كان رجال الدرك عبارة عن شبان متطوعون ينخرطون لمـدة سنة وينالـون أجرا قوامه ١،٥٠ فرنك يوميا ، كانوا يعرفـون بسهولة من القماش المقصّب الاخضر الذي كانوا يضعونه علـى اكتافهـم (١) .

---

(١) في الواقع لم يتجاوز العدد الفعلي لرجال الدرك خمسة عشر الفا .

معجـزة الـ ٤٨

حدث غليان اجتماعي بشكل طبيعي جدا بعيد ايام فبراير . اشعلت النار في قصر الصيرفي روتشيلد . لكن هذا الاخير هدّأ من غضب الجماهير عندما قدم مبلـغ خمسة وعشرين الف فرنك الى صندوق مساعدة جرحى فبراير . هبت رياح العصيـان حتى على الجنـود القدامى للامبراطورية والناقمين في ساحةالانفاليد. فقد تعرّض حاكم الانفاليـد الجنرال بيتي Petit ، ذات يـوم لمضايقـة هؤلاء المذكورين . (اصبح الجنرال بيتي خالدا بواسطة مطبوعة حجرية شهيرة . انه هـو الذي اصبح رمـزا للجيش الامبراطوري في فونتان بلو Fontainbleu عندما كان نابليـون يودّع رجال الحرس القديم Vieille Garde) . في ٢٩ مارس دخل جمهور غاضب شارع مونتمارتر وحطّم المطابع التي يطبع عليهـا جيراردين جريدته . شن جيراردين حملة قاسيـة جدا وظالمـة جدا على الحكومة المؤقتة . وسوف يصطدم كذلك، في صيف٤٨، مع كافينياك لينضم اخيرا الى اولئك الذيـن كانوا يمهدون الطريق امام لويس نابليون بونابرت لرئاسة الجمهورية . كذلـك وقعت حوادث في الاقاليم كان هنـاك فورات غضب تنفجـر ضد بعض اصحاب المانيفاكتورات . وفي ضاحيـة فليشامبو Fléchambaut في ريـم Reims احرق مصنع غزل كروتيل Croutelle . كمـا وقعت اعمال عنف ضد بعض الاديرة حيث اتهم الرهبان والراهبات بانهم يشغّلون العمال بأجور منخفضة جدا مما يلحق بهـم ضررا كبيرا . في٢٦ مارس تعرّضت مؤسسة الراعي الصالح في ليون، حيث تعمل فتيات تائبات ، للسلب . وفي١٣ ابريل حدثت مشاهد من نفس النوع في اديرة الرين Reine المأوى Refuge العائلة

المقدسة ، وذلك في سان اتيان . ومع ذلك كانت البلاد هادئة في الاجمال . ان انفجار ١٨٤٨ لم يعرف نفس حدّة انفجار ١٧٨٩ . يمكن الاعتقاد ، وهذا هو رأي لامارتين بان الجهود المضنية التي بذلها الشيوعيون امثال كابي ، كي يعلموا المناضلين الابتعاد عن العنف ، لم تذهب سدى .

يجب ان نتحدث هنا عن الهياج الذي حصل تأيدا للعلم الاحمر : ان بلاغة لامارتين قد اطفأت هذه الشرارة :« لقد دار العلم الاحمر دورته في الدم حول شان ـ مارس ، كما دار العلم المثلث الالوان دورته حول العالم حاملا الحرية بين ثناياه » .

توسّل غودشو ، وزير المالية ، الى الحكومة ان تتخلى عن العلم الاحمر : « اذا اتخذته فرنسا رمزا فان البورصة التي تعيش ، منذ زمن ، اكبر ركود لها ، سوف تنهار » . ومع ذلك فان اعضاء الحكومة لا يريدون تعريض انصار العلم الاحمر لخيبة امل مهينة . وستجري المحاولة ، عبثا ، لتعميم الزر الاحمر الذي سيوضع على ذيل العلم الاحمر والذي سيصبح شعار السلطات العليا . (كان اعضاء الحكومة يعرضون هذا الزر عن فخفخة اكثر منهم عن قناعة) . تبدي دانيال سترند اسفها لان موافقة صريحة على العلم الاحمر لم تتم ، انها تقول : مثل هذه الموافقة كان يمكن ان تؤدي الى ازالة الدلالة الحقودة التي امكن لهذا العلم ان يتخذها فيما بعد ، كما كانت ستؤدي الى ربط جماهير العمال بالحكومة .

بالرغم من كل الخلافات كان هناك شعور عجيب بالحرية والسعادة والغبطة بُعيد اعلان الجمهورية . اود في هذا الفصل ان اشير الى عمق هذا الشعور وحدّته . على ان ذلك لن يكون خاليا من الرعونة . في رواية فلوبير ، « التربية الشعورية) ، نجد سلوك باريس الغريب، في صفائه وندرته ، اثناء الايام الاخيرة من فبراير والايام الاولى من مارس . وبدوره ، يعود مكسيم دي كامب في كتابه حول الـ ٤٨ ـ ومكسيم دي كامب ليس مشبوها بتعاطفه مع الجمهورية الثانية ـ يعود الى ذلك

الفرح الناتج عن المعجزة . أن باريس هي أمرأة عاشقة ، هادئة ومتحمسة في آن معا . انها تشعر باطمئنان تام ، اوليست نائمة بين ذراعي الشعب القويتين ؟ لكن هذا الشعور بالامان الذي هو بشكل عام جد مبتذل ، جد قصير ، كانت تصاحبه احلام يقظة ساذجة . يبدو المستقبل بلا حدود .

كتب المدّرس لوفرانسي Le français الذي كان له من العمر اثنان وعشرون عاما سنة ١٨٤٨والذي اصبح عضوا في الكومونة عام ١٨٧١ ــ كتب يقول : « يا لها من مشاريع جميلة للمستقبل تلك التي كنا نرسمها ! لقد استعيدت فرنسا . واخيرا ستبني مجتمعا عادلا يكون كل اعضائه احرارا ومتساوين فعلا (١) . وسيتخلص العمل من استغلال رجال المال المتغطرس والرهيب . ثم من يدري ، اذا امتدت العدوى ، أن اوروبا بكاملها لن تتحول قريبا الى فدرالية من الشعوب الحرة ؟ عندئذ ستتحقق الجمهورية العالمية . انه لا يلزمها ، بعد كل ذلك ، الا الاستقامة والنشاط من جانب الحكومة المؤقتة التي استقرت منذ قليل في دار البلدية » .

انهالت الموافقات على هذه الحكومة من كل الجهات . اعلنت كنيسة فرنسا نفسها نصيرة للجمهورية . ومن فندقه في شارع فورتيناي Fortunée ، كان بلزاك الذي كان يكره الحكم الجديد ، يرتجف استياء في ٢٨ مارس وهو يسمع كاهن سان فيليب دي رول يلقي موعظة في الهواء الطلق في ساحة بوفو Beau Vau ويبارك شجرة للحرية . لم يكن الكهنة وحدهم يصيحون « تحيا الجمهورية » بل كان الملكيون كذلك ايضا ، كان راسباي يشير في جريدته « صديق الشعب » الى اهمية انضمام الاريستوقراطية الى الجمهورية . لم يكن لديه اي شك في أن لاروش جاكلين ، الذي يعلن الان نفسه جمهوريا ، سوف يجر وراءه عددا اخر من الشرعيين . في ٣ آذار عيّن الجنرال شانغارنيه

---

(١) لم ترد كلمة « فعلا » في بداية فصل (الوهم الغنائي) وقد اوردها المؤلف هنا . (المترجم)

Changarnier في رسالة بعث بها من الجزائر الى الحكومة المؤقتة عن « رغبته العنيفة في ان يكرّس كل قواه من اجل الحفاظ على سلامة الجمهوريـــة » .

طالب فانفارون Fanfaron بان يستفاد من « عزيمته وتعوّده على الانتصار » . (لقد نسي شانفارنيه ان يقول انه قبـــل أن يحرر رسالته الجمهوريـــة هذه قد عرض على الاميرة دي‌جوينفيل والدوق دي اومـــال ان يعيدهمـــا الـــى باريس بمساعدة جيش افريقيا) . بوجو ذاته ؛ وضع نفســـــه تحت تصرف الحكومـــة المؤقتة التي رفضت عرضه لخدماته . اما الفرنسيون الذين كانوا اقل حماسا او اكثـــر قلقا ، اثناء هذه البهجة العامة ،فهم اعضاء الحكومة وبشكل خاص الجمهوريون الذين‌كانوا يميلون الـــــى الناسيونال . كان مـــن شأن سانت بوف أن كتبت ذات يوم : «في فبراير لم يكـــن تصوري قاتمـــا كذلك الذي كنت اراه لـــــدى جمهوريي البارحة الذيـــن كانوا مشدوهين وكأن نجاحهم الخاص بهم قـــد أرعبهم » .

المهام الحكومية

ثلاث مهام تنتظر الحكومة المؤقتة :

١ ــ كيف يتم تحسين وضع الطبقات الكادحة ؟ كيف يمكن تقويم الوضع الاقتصادي والمالي ؟

٢ ــ كيف يمكن ادخال الدولة الجديدة في جوقة الامم ؟ كيف يمكن بناء نظام مستقر في اوروبا ؟

٣ ــ كيف يتم تحرير الانسان ؟ كيف نتيح المجال امام البلاد لتقرير مصيرها ؟ وفي الاجمال كيف يمكن تأمين الخبز والسلام والحرية ؟

حاولت الحكومة جاهدة ان تقدم ترضيات مباشرة وضرورية للعمال .

١ ــ في ٢ مارس اتخذت قرارا يلغي المقاولة . نحن نعرف الدور الذي يلعبه المقاول ، المقاول من الباطن sous - traitaut انه يأخذ على عاتقه ان يقوم بعمل ما لربه عمل لقاء اجر معين ، ثم بعد ذلك ، ولكي يحقق ربحا خاصا ، يستأجر شركاء له ينفذون العمل باشرافه او تحت اوامره الا انهم ينالون لقاء ذلك اقل اجر ممكن . ان العامل يكره هذا الشخص الذي يمارس ديكتاتورية وحشية سيما وانها تغلف نفسها بمظاهر شعبية ودية وفظة . كثيرون هم العمال الذين كانوا ، اثناء الاربعينات ، يريدون ايجاد جمهوريات صغيرة في المصنع . كانت جريدة « الاتوليبه » تقدم للعمال النصائح التي تعتبر نموذجا لفكر ١٨٤٨ : « تستطيعون بناء جمعيات صغيرة مؤلفة من ستة ، ثمانية او عشرة اعضاء حسب الحالة ، كل واحدة من هذه الجمعيات تنتخب واحدا من بين

اعضائها ممن ينال ثقة اكبر ، وتجعل منه وسيطا مع المتعهد ، وهو سيحل محل المقاول القديم او المقاطعجي ، لكن ذلك سيكون عندئذ لصالح كل اعضاء الجمعية ، ثم يوزع الربح فيما بعد على الجميع حسب حصة كل واحد من العمل » (عدد سبتمبر (ايلول) ١٨٤٠) . اني اركز على اهمية هذه السطور التي تحتوي ، برأيي، على مدخل للحل الذي سوف يقدم لمسألة العمل بدون شك في يوم من الايام . ان الجمهوريات الصغيرة التي كانت ((الاتوليبيه)) تفكر بها ينبغي ان تتمكن من النمو في اطار المصانع الكبرى المجهزة بتحسينات التقنية الحديثة . وبذلك سوف نوفق ، ربما ، بين كرامة العامل وفعالية العمل . ومع ذلك فان النصائح التي قدمها العمال الذين كانوا يحررون جريدة الاتوليبيه لم تتبع في الاربعينات الا في حالات استثنائية : لقد ذهبت جهود الحكومة المؤقتة لازالة المقاولة سدى تقريبا .

٢ ـ صدر قرار آخر في ٢ (مارس) ١٨٤٨ : حددت مدة يوم العمل بعشر ساعات في باريس وبـ ١١ ساعة في المقاطعات . كان المندوبون الذين ارسلتهم الحكومة المؤقتة الى المقاطعات يجهدون انفسهم وبشجاعة لنقل هذا القرار الى حيز الفعل . وفي هذا المجال يستحق المحاميان ، فريدريك دي شامب ، في روان ، واميل اوليفييه في مرسيليه ، اشارة مديح . قرر دي شامب في ١٠ مارس ان يصبح العمل في المانيفاكتورات النورماندية ١١ ساعة . اما اوليفييه ، الذي كان اكثر جذرية ، فقد قرر في ٦ ابريل ان يكون يوم العمل في بوشي دي رون Bouches.du rhone ١٠ ساعات . اثار الرجلان حقد اصحاب المانيفا كتورات : وسرعان ما عرف اوليفيه ودي شامب ما يكلفه الهجوم على ارباب العمل . في نهاية ابريل اعيد دي شامب الى الحياة الخاصة وبعد ذلك بقليل ارسل اوليفييه ، بعدما فقد حظوته ، الى المارن الاعلى . ان القرار الذي يقلص مدة يوم العمل لم يؤد الى نتيجة اكبر من القرار الخاص بالغاء المقاولة . في ٩ سبتمبر ١٨٤٨ ، قررت الجمعية التأسيسية ان العمل الفعلي في المصانع والمانيفاكتورات يجب الا يتجاوز ١٢ ساعة . لكن لم تعط اية ضمانة لكي يحترم هذا القانون الجديد بالرغم من اجحافه . وكما كان الامر ايام الملكية البرجوازية ، تابع

العمال قضاء ايام لا تنتهي :

٣ ـ صدر قرار اكثر اهمية بكثير في ٢٥ فبراير ، وقد اريد له ان يكون ذا صدى مهم في تاريخنا السياسي والاجتماعي : «تلتزم الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية بضمان حياة العامل عن طريق العمل . كما تلتزم بتأمين العمل لكل المواطنين . » كتب برودون هذه العبارة المميزة: « ما اسمك يا ثورة الـ ٤٨ ؟ ـ انا ادعى حق العمل . » . كان برودون متفقا ، وهي المرة الوحيدة ، مع لويس بلان الذي حرر قرار ٢٥ فبراير . وعندما باشرت الحكومة اعمالها، كانت تتعرض ، في دار البلدية ، باستمرار لضغط الوفود الشعبية التي كانت تأتي مشجعة ومهددة في آن معا . كان احد العمال ، ويدعى مارش Marche ، على رأس احدى هذه الوفود وقد اعلن ما يلي : « لقد قضى الشعب ثلاثة اشهر من البؤس في خدمة الجمهورية . » كان مارش هو الذي دفع لويس بلان ، بشكل من الاشكال ، الى اعلان حق العمل بشكل رسمي . بأية وسائل يطبق القرار الجديد ؟ في ٢٨ فبراير اتخذ ماري ، وزير الاشغال العامة ، قرارا بدوره يقضي بخلق معامل وطنية . نحن نعلم ان صعوبات اقتصادية كانت تشل الحياة الوطنية منذ ١٥ شهرا وهي لا تزال في ازدياد بعد حوادث فبراير . ان نسبة البطالة تتصاعد . وما كاد قرار ماري يظهر حتى كان هناك زحف نحو المكاتب التي تسجل اسماء العاطلين عن العمل من اجل العمل في المشاغل الجديدة . (كان هناك مكتبان للتسجيل مكتظان ومحاصران بالناس ، الاول في سوق اللحوم Halle de veaux والثاني في شارع بوندي Bondy . جن ماري عندما اجتمع ، عن طريق المدير العام لوزارته وكان اسمه بولاج ، بمهندس شاب من المدرسة المركزية يدعى اميل توما كان يعلل النفس بأحلام نابليونية . كان توما « يريد ان ينظم العمال في كوادر انشئت على نمط المراتبية العسكرية : احد عشر رجلا يشكلون جماعة ، اربع جماعات مفرزة ، اربع مفارز سرية ، ثلاث سرايا مصلحة » (لاغورس ، **تاريخ الجمهورية الثانية**) . لم يتمالك ماري نفسه من الفرح اما غارنييه باجي فكان اكثر ذهولا ايضا . كان غارنييه باجي يرى في اميل توما احد كبار العقول المفكرة في العصر ، انه يصيح : « لقد اكتشفنا

رجل دولة . » اصبح اميل توما مدير المعامل الوطنية . بلغ عدد العمال المسجلين ٢١ الف عامل في نهاية مارس ، وفي نهاية ابريل اصبح ٩٤ الفا ، كلفت المعامل الوطنية اكثر من سبعة ملايين فرنك من الخامس من مايو وحتى منتصفه ، ثار البرجوازيون لاعتقادهم ان ثروتهم تبدد على هذا الشكل من اجل عدد من التنابل ، فقد كان العمال المجندون في المعامل الوطنية يقضون اكثر اوقاتهم في اللعب بالكلل وفي مديح الجمهورية الديمقراطية والاجتماعية . من هنا وهناك كانوا يملأون بعض عربات اليد بالرمل ويقومون ببعض اعمال الردم ثم يعودون بسرعة الى اللعب والنقاشات المملة ، ثار قسم كبير من الرأي العام ضد المعامل الوطنية فقد اضعف انشاء هذه المعامل الثقة التي كانت قد منحت للحكومة المؤقتة . وحدهم العاجزون كانوا يستطيعون تصور هذا التجمع من العاطلين في عاصمة لا تزال مضطربة . كان الغضب موجها بشكل خاص ضد لويس بلان . كان هذا الاخير قد طالب في كتابه حول « **تنظيم العمل** » بايجاد معامل اجتماعية تكون في الاجمال تعاونيات انتاجية . وفيها يجتمع العمال وينتجون دون مساعدة ارباب العمل . وبقدر ما ينجحون في ذلك فانهم سيتوسعون . هذه الجماعات الصغيرة تصبح الصورة المصغرة لدولة المستقبل وتلغي الربح الرأسمالي . ان تعاونيات الانتاج كما فهمها لويس بلان ليست لها اية علاقة بما سمي بالمعامل الوطنية التي لم تكن سوى معامل تافهة للصدقة ، لكن الناس لا يتفكرون في الملاحظات التي تقدم باعصاب باردة لا سيما عندما يكون ذلك ابان الازمات : ان مجرد الشبه بين صيغتي المعامل الوطنية و « المعامل الاجتماعية » كان كافيا لاحراج لويس بلان واسكاته .

وزيادة على ذلك فقد انصب سوء الحظ على لويس بلان لان هذه المعامل الوطنية ، التي أنب عليها بمرارة ، شكلت في رأي ماري ، ارمان ماراست ، لامارتين وفي رأي اولئك الذين ينبغي ان نسميهم « رجعيي » الحكومة المؤقتة ، نوعا من الحرس الديكتاتوري الاضافي . كان لامارتين وماري يتساءلان بقلق عما اذا كان رجال الدرك الذين يعطون الانطباع بأنهم يضمون عددا كبيرا من الصبية الزقاقيين يمكن ان يدافعوا بعزم عن الامن في ايام

الانتفاضة . لكن ماري ولامارتين وماراست فرحوا كثيرا لامكانية قيام جيش عمالي ، بفضل احتياطي المعامل الوطنية ، قـادر على الوقوف في وجه متطرفي العاصمة . لم يكن يطلب الى عمـال المعامل الوطنية ان يعملوا ، كان يطلب اليهم فقط ان يحافظوا على الصلة مـع مبعوثين سريين تقريبا ، كان يرسلهم اليهـم رجـال « الناسيونال » . كان اميل تومـا نفسه مندهشا من السهولة التي يمكنه بها الحصول على ميزانية المعامل الوطنية والتي كانت مـع ذلك مرهقة . كان ماري يقول له : « لا تقتصد في المـال ، وسوف نعطيك ، اذا كانت هناك حاجة ، قسما من الاعتمادات السرية » . اكرر هنا ، وبدون اية ميكافيلية سياسية ، بأنه كانت هناك سذاجة فريدة حتى من جانب المعتدلين في الحكومة ،في قبـولهم انشاء المعامل الوطنية على هذا الشكل الذي اتخذته . ان جمهورا كبيرا من المواطنين لم يكن يحتمل منظر هؤلاء الكسالى وكان يدين ليس فقط الاشتراكيين من اتباع لويس بلان ، بل وحتى اولئك الذيـن كانوا يدعون بـ « الجمهوريين الشرفاء » امثال ماري او ماراست. ان رجال « الناسيونال » لم يوجهوا فقط ، في مسألة المعـامل الوطنية ، ضربة خطرة الى خصومهم في جريدة « الأصلاح » ، بل كانوا يلغمون الارض التي كانوا هم يتحركون عليها ، انهم يـدمرون انفسهم سياسيا ويثيرون رد فعل بلغ اتساعه حدا كان يمكن ان يؤدي الى ازالتهم هم انفسهم .

٤ ــ اخيرا ، وفي ٢٨ فبراير ، تم انشاء « لجنة حكومية من اجل الشغيلة » ، كانت تجتمع في المكان الذي كان يقوم عليـه مجلس نواب باريس القديم ، من هنا أسمها « لجنة اللوكسمبورغ » . كان لويس بلان يأمل في ان يحوز على مقعد وزاري وقد طالب ، دون جدوى ، بانشاء وزارة للعمل والتقدم . غير انه اكتفى برئاسة لجنة اللوكسمبورغ . (١) كانت هذه بمثابة برلمان يمثل عالم العمل.

---

(١) ــ كان البير يقوم بمهام نائب الرئيس ويرئس من جهة اخرى لجنـة تدعـى « لجنة المكافآت الوطنية » . لقد اتهم اعضاء اللوكسمبورغ بأنهم يغرفون مـن صندوق المكافآت الوطنية ، ليس فقط لانفسهم ، بل ولعائلاتهم وللناس الفاسدين تقريبا .

في كل مهنة ، كان العمال وارباب العمل يعينون مندوبيهم الى لجنة اللوكسمبورغ . ان عددا كبيرا من العمال الذين كانوا قد لعبوا دورا مهما تقريبا في رابطة العمال او في جمعيات الاغاثة المتبادلة قد التقوا من جديد في « اللوكسمبورغ » . انهم هم الذين فرضوا القرارات التي اتخذت حول المقاولة وتخفيض مدة يوم العمل . « اصدروا هذه القرارات مباشرة (كانوا يقولون للحكومة)والا فاننا سنقاطع اللوكسمبورغ » . الى جانب المندوبين الفعليين كان هناك كتاب اشتراكيون وحتى اقتصاديون ذوو تراث ليبرالي : لوبلاي Le Play دوبون وايت dupont Wite ، ولو فسكي ، فيكتور كونسيدران وقسطنين بيكور . وبالرغم من ان برودون كان مدعوا، فانه رفض الحضور الى اللوكسمبورغ وخاض معركة قاسية ضد اللجنة . اما فيدال وهو منظر اشتراكي كان ، لسنتين خلتا ، قد نشر كتابا هاما ((**توزيع الثروات**)) ، فكان يشغل مهام سكرتير اللوكسمبورغ . لقد جمع بالتعاون مع بيكور خلاصة نقاشات اللجنة ونشرها في جريدة المونيتور (٢٧ ابريل و ٢ ، ٣ ، ٦ مارس ١٨٤٨) كبيان حول ايجاد معامل وقرى زراعية ، وتحول نظام التأمينات ومصرف فرنسا الخ ... بيان هام لكنه ذو طابع نظري .

عمليا ، كانت اللجنة عاجزة . ومما لا شك فيه ان لويس بلان قد فض بذكاء عددا من الصراعات التي حصلت بين العمال وارباب العمل كما ساهم ايضا في قيام عدد من الجمعيات العمالية . لكن هذه الجمعيات اصيبت بالضمور عندما طفت الموجة الرجعية على البلاد . وجاء انقلاب لويس نابليون بونابرت في ٢ ديسمبر ، ١٨٥١ ليوجه اليها ضربة مميتة . اني حريص على تسجيل انعكاسات التطور السياسي على نمو الجمعيات العمالية . بعض هذه الجمعيات انقرض نتيجة لخطأه الخاص ـ عجز او عدم اخلاص الاعضاء ـ لكن عددا آخر من هذه الجمعيات ، التي كانت قابلة للحياة بشكل طبيعي ، قد قضي عليه لانه كان يحمل خاتم جمهورية هي ذاتها قضي عليها . ينبغي ان نأخذ ايضا بعين الاعتبار وضع الاقتصاد . ان تاريخ منشآت جان فرانسوا كايل المعدنية الكبرى هو في هذا المجال تاريخ مميز . ١٨٤٨ : ازمة اقتصادية وصدامات اجتماعية ، كان العمال وارباب العمل يتفاهمون في لجنة اللوكسمبورغ : تقرر عندئذ تحويل منشآت كايل الى جمعية عمالية .

كانت هذه الجمعية خاملة وفي سنة ١٨٥٠ تشكلت ، بشكل طبيعي وبرأسمال قدره ٧ ملايين ، شركة جان فرنسوا كايل وشركاه ... ينبغي الا نسرع في القول بأن الميكانيكيين ، الذين كانوا يعملون في شارع شابرول او شارع بيللي لصالح كايل ، قد اظهروا مستوى متدنيا عندما تسلموا ادارة الجمعية . كان الوضع الاقتصادي لصناعة استخراج المعادن سيئا في عام ١٨٤٨ ثم تحسن عام ١٨٥٠ . لقد تزامنت عودة الوضع الطبيعي الى شركة كايل مع عودة الازدهار . اننا لا نستطيع القول بأن عودة الوضع الطبيعي هي التي ولدت الازدهار .

وفي يقيني،ان المؤرخين بشكل عام لم يعملوا على ابراز الاثر الذي تركه عجز لجنة اللوكسمبورغ على تطور الفكر العمالي . لقد ساهم هذا العجز في اعادة توجيه فئة هامة من الطبقة العاملة نحو العنف . خلال الاربعينات ، لم يقرأ العامل مباشرة وبشكل تام مؤلفات المنظرين الاشتراكيين الكبار : انه يعرف فقط ، وبشكل غامض ، ان هناك رجالا علماء منهمكين في ايجاد العلاج لكل آلامه ، وهو مقتنع فعلا بأنهم قد وجدوا هذه العلاجات . يروي برودون وبيير ليرو انهما ، بعيد ايام فبراير ، كانا يستقبلان عمالا اتوا يريدون الانضمام اليهما بأقصى سرعة . كان منطق هؤلاء العمال بسيطا : نصطحب برودون ، ليرو ، فيكتوركونسيدران (الفوريالي (اتباع فورييه))والشيوعي كابي ،ونجمعهم في غرفة تحت حراسة مشددة ، وسوف ينتهون الى اتفاق ويعلنون البرنامج الايجابي **الثورة الاجتماعية** ... واحسرتاه ! ان العمال هم شهود نقاشات مملة لا تنتهي في « اللوكسمبورغ » ... لقد بدأوا يفقدون الثقة بهؤلاء المنظرين الذين ينصحون بالصبر واللاعنف والذين لا يقدمون اي حل فعلا . وهكذا عاد العامل الى تراث بابوفي ويعقوبي غامض . نصنع الثورة ببضعة مراسيم دون مراعاة الاغنياء والنبلاء . ومحل نوع من الثقة الغامضة بالطوباوية ، حلت ثقة اخرى ، هي ايضا غامضة ، بضربة اليد ، باسلوب القوة . وهكذا بعث ظل بلانكي على انقاض المعامل الوطنية ولجنة اللوكسمبورغ . انه اوغست بلانكي هو بالتحديد نموذج الرجل الذي يعتقد ان بالامكان بسرعة قلب بنية المجتمع رأسا على عقب بواسطة بعض الرفاق المصممين ، الذين لا يخافون **حرب الشوارع** .

المالية

كان على الحكومة المؤقتة ان تواجه وضعا ماليا خطيرا . اذا نظرنا الى التجارب التي شهدناها والى التقلبات النقدية التي حصلت في العالم منذ ثلاثين عاما ، فاننا نشمئز ونعتقد ان الذعر الذي حصل عام ١٨٤٤ لم يكن مبررا تماما . والحال فان البرجوازيين والملاك لم تكن لهم اية ثقة في اعتماد crédit الحكومة المؤقتة ، كانوا يدفعون بأنفسهم الى الكارثة عندما طلبوا من مصرف فرنسا تسديد السندات بالذهب . وخلال اسبوعين هبط رصيد المصرف من الذهب اكثر من خمسين ٪ . في ١٥ مارس دفع المصرف عشرة ملايين ذهبا ... من جهة اخرى ، اعتبر استقرار العملة مفتاح الاقتصاد ليس فقط بالنسبة للمحافظين بل بالنسبة لمعظم المنظرين الثوريين ايضا . قرر غودشو ، الذي كان قد اعطي وزارة المالية في ٢٤ فبراير ، وبشكل احمق ، قرر أن تدفع بصورة مستعجلة متأخرات ايراد الخمسة ٪ . على ان آخيل فولد Achille Fould ، وهو صيرفي مثل غودشو ويهودي مثله ايضا — سوف يصبح وزيرا للمالية في(اوكتوبر (ت١)) ١٨٤٩ ومن اكثر اركان الامبراطورية الثانية صلابة — قد وجد ان الطريقة التي يتصرف بها غودشو مثيرة للسخرية . وبعكس غودشو كان ينصح بايقاف دفع الايراد لمواجهة تضخم مالي شديد . احد الصحفيين ، ديلامار الذي سيصبح هو ايضا وبصفته مديرا لجريدة ((**الوطن**)) احد اعمدة النظام الامبراطوري — كان يدعو غودشو الى جمع الرأسماليين الاكثر اهمية وارغامهم على التوقيع على قرض بثلاثين مليونا .

وعندما عاد الهدوء ، اكد ديلامار وفولد بالطبع انه قد اسيء

فهم نواياهما ، وانهما لم يقصدا الحط من شأن قواعد التقليد المالي . استقال غودشو في ٦ مارس : حل غارنييه باجي في وزارة المالية وحل آرماند ماراست محله في مركز حاكم باريس . اتخذ غارنييه باجي بعض الاجراءات الذكية : فقد اوجد قطعة نقدية من فئة المئة فرنك ودمج البنوك الاقليمية في بنك فرنسا ، كما نظم مكاتب الحسم . وكذلك قرر ان يكون للسندات سعر الزامي . وقد جرى انشاء صندوق لتلقي الهبات الوطنية . وهكذا قدم العديد من العمال يوما او عدة ايام عمل للحكومة المؤقتة . اننا نشير الى عمال بيتو Puteau على لائحة الكرم هذه . لكن كل هذه الاجراءات لم تكن سوى اجراءات مسكنة فقد كان عجز الميزانية يزداد وقد نظمت سوق سوداء للذهب : كان انخفاض قيمة السندات بالنسبة للذهب حوالى ١٥ ٪ . يعتقد جورج لوفقر بحق ان عمل غارنييه ماجي كان خجولا جدا تجاه مصرف فرنسا : كان يمكن لهذا المصرف ان يقدم للدولة مساعدة اكثر اكتمالا . لم يكن المصرف يحتكر الاصدار الا في باريس ولم يكن يطبع الا قطعا نقدية من الفئة الكبيرة . . ففي الوقت الذي كان غارنييه باجي يجيز له اصدار قطع من فئة المائة فرنك ويمد احتكاره ، كان يمكنه ان يطلب تسليفات اساسية . نتج عن ذلك تضخم مالي . و « لكن الضرر ، يتابع لوفقر ، كان اخف بالمقارنة مع الفائدة السياسية . وحتى في بلد تشله الازمة الاقتصادية فان التضخم المالي يمكن ان يكون مفيدا لانه يخلق قدرات شرائية كافية لرفع الاسعار وتشجيع المشاريع ! (١) » . اما الحل فقد وجده غارنييه باجي في ضريبة « الـ ٤٥ سنتيما » الشهيرة . كان يجري زيادة ضريبة اضافية مقدارها ٤٥ سنتيما في الفرنك على كل الضرائب المباشرة . لقد اراد غارنيه باجي ان يدمج الفلاحين بالنظام الجديد ، اولئك الفلاحين الذين لم يعاملهم بطريقة مختلفة : كانت الجمهورية بالنسبة لعدد كبير من الفلاحين تعني ضريبة ٤٥ سنتيما : ان ورقة ضرائب مدهشة ومختلسة ترمز اليها من الآن وصاعدا .

---

(١) ـ محاضرة القاها جورج لوفقر في السوربون في ٢٤ شباط ١٩٤٦ . ثم نشرت في العدد الاول من السلسلة الجديدة لمجلة « ثورة ١٨٤٨ » . يتحدث كوسيدير في مذكراته ، ج ـ ١ ، ص ، ٢٣٣ بشكل مبهم عن المشاريع المالية التي اعدتها هيئة تحرير جريدة « الاصلاح » .

السلام

هناك مشكلة ثانية هي مشكلة السلام : ماذا سيفعل لامارتين الذي كان يشغل منصب غيزو في جادة الكبوشيين ؟ كانت السياسة التي اتبعها غيزو تجاه الدول الاخرى مرنة لان ثورة فبراير كانت قد اخذت تنتشر . كان الهيجان ينمو في المانيا ، في النمسا ، في هنغاريا ، في بواونيا وفي ايطاليا . ومن قصر الكلارمون clairemont (في بريطانيا حيث لجأ لويس فيليب) كان لويس فيليب يقول :« ان اوروبا تقيم لي مأتما جميلا ». هل تعلن فرنسا بوضوح عداءها لكل الامراء وكل الحكومات التي يمكن ان تحاول تثبيت الحلف المقدس ضد الشعوب ؟ كان ذلك سيعني اتخاذ مبادرة مليئة بالمخاطر . ولو اردنا علانية تحطيم التوازن الذي ارسي عام ١٨١٥ لكنا جازفنا باعادة تشكيل التحالف بين انكلترا وروسيا ضدنا . غير انه كان هناك من جهة اخرى خطر ينجم عن اختيار السلام . أفلا يكون تراخينا مميتا للحركات التي بدأتها الشعوب التي ثارت ضد الملوك القدامى والطغاة ؟ ان جمهورية معتدلة جدا يمكن ان تشل تحرز اوروبا ، اما الملوك المنتصرون على شعوبهم فانهم ، بفضل سلبيتنا ، يمكن ان يرتدوا بعد نصرهم لمحاربتنا . ان الجمهورية مهددة بأن تصبح خاضعة بقدر ما تمتنع عن مساعدة كل اولئك الذين يناضلون من اجل حريتهم في العالم . عندما اصبحت الجمهورية في اواخر ايامها عام ١٨٥٠ ــ ١٨٥١ ، كان الكثير من الفرنسيين الذين كانوا قد احبوها ودعموها والذين كانوا في نفس الوقت يرغبون صراحة في السلام ، كان هؤلاء يندبون حظهم ويعترفون بأنهم كانوا مخطئين . وفي كتاب **التربية الشعورية** لفلوبير نجد صفحة رائعة يقيم فيها

بطلا الرواية النتائج ويدينان فيها شبابهما وعام ١٨٤٨ . ينتهي الحوار بين هذين الرجلين بهذه الكلمات : « كان ينبغي ان نشعل النار في زوايا اوروبا الاربع » . اننا لنجد من جديد ، عام ١٨٥٠ ، هذه الجملة حرفيا في جريدة الاتولبيه ، التي كان يحررها ، كما قلت ، اناس معتدلون .

اختار لامارتين ، ظاهريا على الاقل ، طريق السلام . في ٤ مارس وجه الى ممثلينا الديبلوماسيين نشرة صيغت بعناية واسلوب رفيع ومتناقض تماما . كانت المذكرة ذات وجهين : في البداية كان لامارتين يقول ان معاهدات ١٨١٥ لم تعد موجودة بنظر فرنسا الجمهورية . ولكونه خلفا لغيزو ، فان لامارتين الذي لا يريد ان يعطي الانطباع بأنه يكرر هذا الاخير ، ومع ذلك فقد اعطى هذا الانطباع الى جماهير العاصمة ، قد ادان دون مواربة معاهدات ١٨١٥ التي انهت المغامرة الكبرى للامبراطورية والجمهورية معا . لكن لامارتين كان يبدو متساهلا بعد صياغة الاعلان المبدئي وكان يبذل اقصى جهوده ليطمئن القنصليات مؤكدا ان فرنسا لن تقوم بأي اعتداء وان الوضع الراهن مقبول نهائيا . ولسوف تسهر فرنسا على عدم تعكير الامن على حدودها كما انها ستتابع عن كثب تطور الاحداث في ايطاليا . كانت المذكرة تحتوي على تحذيرات موجهة الى النمسا ، لكن اللهجة التي استعملت تجاه فيينا كانت حازمة اكثر منها متوعدة . منذ اليوم التالي للثورة كان الكثير من البولونيين قد انتشروا في باريس واخذوا يضغطون على الحكومة للقيام بعمل ما من اجل تحرير بلدهم . لم يخف لامارتين نفاد صبره امامهم ، كان موقفه ذاته يبدو عربونا هاما للسلام . ونتيجة لاصوله الاريستوقراطية وهالته كشاعر وماضيه الديبلوماسي ، فقد كان الوزير الوحيد في الوزارة القادر على اقامة صلات شبه رسمية ، مستمرة ، وحميمة مع عالم السفارات . كانت قد تشكلت هيئة صغيرة غير نظامية لتثوير بلجيكا وذلك بمساعدة السلطات الفرنسية . وعلى الحدود الفرنسية ـ البلجيكية ، وفي المكان المسمى « ريسكون تو » (لنغامر بكل شيء) ومع اشتباك مثير للسخرية اكثر مما هو دام كانت الصحافة البلجيكية بالاجمال ثائرة ضد فرنسا غداة ايام شباط . وكان الملك ليوبولد الاول

نتصور ان الجمهورية الثانية ، مثلها مثل الاولى ، تسعى لاحتلال بلجيكا وكان يطلب المساعدة من كل البلاطات ضد فرنسا . وقع حادث آخر لفوج الماني انطلق من ستراسبورغ بمساعدة فرنسا : شتت الفوج وجرد من سلاحه في بلاد الباد Bade بذل لامارتين جهده ليبرهن ان ذلك لم يكن سوى احداث صغيرة لا خطورة فيها ، كما نقل الى الامراء بصفة شبه رسمية خططا مطمئنة . لقد لعب لامارتين عام ٤٨ دورا حاسما في خلق جو من السلام .

هل يعني ذلك انه لم يكن يحلم باعادة تشكيل خارطة اوروبا ؟ كان لامارتين يتابع عن كثب الاحداث التي وقعت في المانيا وكان يعتقد ان ملك بروسيا فريدريك غليوم الرابع يمكن ان يصبح عاهلا ليبراليا . وخلال بضعة اسابيع كان هناك اعتقاد بأن بروسيا يمكن ان تقدم تشريعا الى بزنانيا Posnahie يكون بمثابة تمهيد لبعث بولونيا (كان ينبغي تغيير اللهجة في القريب العاجل) . كان لامارتين يفكر في تعاون فرنسي الماني وثيق يحرر اوروبا من هاجس الشبح الروسي ويوجد ضمانة كفيلة بتعزيز تقدم يتحقق بشكل منتظم وعلى مراحل . لكن فريدريك غليوم الرابع سرعان ما تنكر لشتات افكاره الليبرالية . كان برلمان فرانكفورت ، الذي يريد ان يجعل من المانيا دولة مركزية وديمقراطية في آن معا ، يثير اعصاب ملك بروسيا : بدأ هذا الاخير يتقرب الى سان ــ بطرسبورغ والى فيينا . لم تكن المشاريع التي علل لامارتين نفسه بها سوى خرافات. منذ ان تسلمت الحكومة المؤقتة زمام الحكم قررت جعل الصحافة حرة والغاء الرقابة على الجرائد وان المواطنين يستطيعون التجمع حسب رغبتهم وتقديم العرائض . وفي الحال تكاثر عدد الاندية والجرائد وكان ذلك احد المظاهر الاكثر تميزا لعام ١٨٤٨ . من جهة اخرى الغت الحكومة العبودية وعقوبة الاعدام في القضايا السياسية .

الا ان تلقين الحرية لشعب ما ليس بالامر البسيط . في ٢٤ فبراير ، كان الرجال الذين استقروا في دار البلدية يعلنون بشكل صاخب انهم لن يقبلوا تحمل اعباء الحكم الا مؤقتا وان الشعب

سوف يقول كلمته بكل حرية حول المؤسسات التي كان يريد ان تكون له . وبعدما قيل ذلك ، كان هناك عدة اشكال لطرح الاسئلة على الشعب . ان الشعب لا يستطيع ان يعطي رأيا متماسكا الا اذا كانت لديه تربية سياسية . لكن أليست التربية تأثيرا ؟ اليس ذلك نيلا من هذه الحرية التي اصبحت حجر الزاوية في البناء الجديد ؟ ولكي يغير ولاة الاقاليم الملكيين ، ارسل ليدرو رولان الى المحافظات مفوضين من الجمهورية مع صلاحيات غير محدودة ، ظاهريا . اقول ظاهريا لان هؤلاء المفوضين لم يجروا في الواقع كثيرا من التغييرات الجذرية . لقد رأينا سابقا ، عبر مثال دي شامب واوليفيه ، بأية قوى جبارة كانوا يصطدمون . لقد خشي ليدرو رولان بحق ان يعيد البرجوازيون والاريستوقراطيون تأطير الجماهير ومصادرة الرأي ، الذي كانت الجماهير مدعوة لاعطائه ، لصالحهم . لم يكن على المفوضين ان يقوموا بالوظائف الادارية فقط وانما كان عليهم ان يقوموا بوظيفة المربين والدعاة . كان عليهم ان يعلموا سكانا مجردين من كل توجيه سياسي ، معنى الجمهورية . غير ان صيحات من الغضب كانت تسمع عندئذ في صفوف الاحزاب القديمة : «ان مفوضيكم ، قيل لليدرو رولان ، هم ديكتاتوريون . » ومما لا شك فيه ان اختيار المفوضين لم يكن موفقا في الغالب . لقد اخطأ ليدرو رولان كذلك عندما كان يعزل عادة بشكل مباشر المفوضين الاول الذين كان قد سلمهم حكم المحافظات ، وعند وصول الخلف، تتكاثر هكذا وبدون جدوى التجمعات المعادية في المدينة التي كانت في السابق قد اهتزت تقريبا من الناحية السياسية . ينقسم جمهوريون من نفس اللون السياسي : البعض منهم يؤيد المفوض الاول والبعض الآخر يؤيد المفوض الثاني ... واحيانا كان يصل مفوض ثالث . وفي عدة مدن كان المفوض يتراجع امام السكان الهائجين : مثلا لاتراد في بوردو ،سورياك في مونتابان Montaben لوكلانشي في آميان Amien ، نابليون شانسل في فالانسيا، ومع ذلك ، ومهما قيل عن سوء مفوضي ليدرو رولان ، فان هؤلاء كانوا يؤدون مهمتهم بنجاح : لقد انتخب عدد كبير منهم الى الجمعية التأسيسية من قبل المحافظات التي مارسوا فيها وظائفهم مما يدل على انهم كانوا قد استطاعوا كسب عطف رعاياهم .

وعندما يتعلق الامر بتحديد موعد الانتخابات كانت تحدث

اضطرابات اجتماعية خطيرة . في الصفحة الاولى من هذا البحث كنت قد قدمت جدولا بأيام ٤٨ . لقد تميز اثنان من هـذه الايـام ـ ١٧ آذار و ١٦ نيسان ـ بمظاهرات عبر خلالها سكان باريس عن قلقهم من احتمال اجراء انتخابات مفاجئة . ان ميكانيكي لاشابيل او ابنوسي ضاحية سان انطوان كان يعي انه فاعل ذكي في التاريخ عندما يهيء نفسه ليضع في صندوق الاقتراع ورقة تحمل اسم ليدرو رولان ، لويس بلان ، البير او كوسيدير . لكن ميكـانيكي لاشابيل يصبح قلقا عندما يفكر بان بطاقته الانتخابية يمكن ان تضيع بين بطاقات الفلاح الفانديني الذي يطيع كهنته والمزارع النورماندي الذي يتبع توجيهات سيده او حتى عامل المنجم الانزيني Al-Ansyin الذي سيحمل اسم رب عمل مكروه لكنه قوي جدا . لقـد ذكرت سابقا بكتابه المفضل : انه كتـاب بيوناروتي « التآمر من اجـل المساواة الذي قاله بابوف » . ماذا كتب بيوناروتي اذن ؟ « يجب ان يسبق التمتع بالحرية اصلاح للاخلاق » . ان بيوناروتي يصفق لانصار الجمعية التأسيسية الذين اخروا البدء بتطبيق دستور عام ١٧٩٣ . « كانوا يعرفون انه قبل ان يخول الشعب ممارسة السيادة يجب ان يعمم حب الفضيلة » . كان موضوع الانتخابات يندمج في النهاية بالتربية السياسية التي واجهناها سابقا عندما بحثنا مسألة مفوضي ليدرو رولان . ومن المؤكد انه لو انتظر ليدرو رولان حتى يكون مفوضون قد جعلوا الفضيلة تسود في كل الاراضي الوطنية ، قبل ان يأذن للمواطنين بالاقتراع ، لكانت الحكومة المؤقتة استطاعت البقاء طويلا في الحكم .

يمكننا معرفة السبب في تردد الحكومة : كان لامارتين يلح على اجراء الانتخابات في اقرب وقت ممكن ، بينما كان لويس بلان يرى ارجاءها الى اطول وقت ممكن ، وبينهما كان ليـدرو رولان حائرا . في البداية قدم اقتراح بجعلها في ٩ ابريل . لكن الانتخابات اجلت الى ٢٣ ابريل لكي يعطى الانطباع بتقديم ترضيـة نسبيـة لمتظاهري ١٧ مارس . ان مظاهرة ١٦ ابريل ، التي قامت في جزء منها للحصول على تأخير جديد ، لم تغير هذه المرة قرار الحكومة . تم الاقتراع في ٢٣ ابريل . اعتقد انه اذا اخذنا المسألة مـن وجهة نظر مصلحة الحكومة نفسها ، فان الحل الذي تم كان رديئا . كان

ينبغي ان يتم الاقتراع اما في اقرب وقت ، او يؤجل الى ابعد مدى . فلو اجرت الحكومة الاقتراع في اليوم التالي لايام شباط ، عندما كان حماس الامة ملتهبا ، بحيث اصيب مؤيدو الاحزاب القديمة بالذهول ، لكانت حازت على اكثرية ساحقة . سيقال لي ، انتخاب مفاجيء ؟ بدون شك ولكنه ربما كان اتاح لحكومة نشيطة ان تقوم بعمل عظيم . من جهة اخرى لو تم الانتخاب فيما بعد ، فانه من المؤكد ان فكرة الجمهورية كانت ترسخت في كثير من المحافظات وكان يمكن ان تنال الحكومة عددا كبيرا من الاصوات . (في كثير من المحافظات كانت اصوات الجمهوريين في انتخابات الجمعية التشريعية في ١٣ مايو ١٨٤٩ ، اكثر من انتخابات الجمعية التأسيسية ٢٣ ابريل ١٨٤٨ ومحافظة دوردونيا Dorodogne تقدم نموذجا لهذا التطور) . كان يمكن للتربية المدنية ان تؤتي ثمارها . لكن اجراء الاقتراع بعد شهرين من قيام الحكومة المؤقتة لم يكن يدل فعلا على حنكة سياسية كبيرة : كان الحماس تجاه الحكومة الجديدة اكثر حذرا بكثير بالطبع ، وكان رجال الاحزاب القديمة قد استفاقوا من رعبهم واصبحوا قادرين على شن حملة ضد الجمهورية اكثر فعالية مما كان يظن ميكانيكي لاشابيل سيما وان هذه الحملة كانت تتركز على نفوس غير مصقولة ، مستعبدة ، على أميين يصدقون بسرعة الكذب الذي يقذفه الوجهاء في وجه اناس مساكين كانت حياتهم المادية تحت رحمة هؤلاء الوجهاء انفسهم .

١٦ و ١٧ مـــارس

في ١٤ مارس قررت الحكومة الغاء سرايا النخبة في الحرس الوطني . كانت المساواة احد مبادىء ثورة فبراير : من الآن فصاعدا ليس الوجهاء والبرجوازيون وصغار التجار هم الذين يدحلـــون وحدهم في الحرس الوطني : كل مواطن اصبح حارسا وطنيـــا وناخبا . كانت الحكومة تعتقد انه ينبغي في مثل هذه الظروف الا يعكس تجهيز وتنظيم الميليشيا المدنية الكبرى ايا من مراتب الحياة الاجتماعية . اثار هذا الاجراء كبرياء النسائجي في ضاحية سان دنيس . ان يبختر في زي عسكري خصوصا اذا كان زيا احمـــر زاهيا ــ الى جانب أ. بارو او دوفرجيه دي أوران ، وان يبـــدي اشمئزازه من طغيان غيزو ، ذلك امر جيد جدا . لكن عندما يكون المقصود ذوبانا في الجماهير الشعبية وارتداء لنفس اللباس الذي يرتديه ميكانيكي لاشابيل او ابنوسي ضاحية سان انطوان ، فان نسائجينا يحتج . وفي الاجمال ، فان الحشد الذي تم في صباح ٢٢ فبراير قد تفرق بعد ثلاثـــة اسابيع . في ١٥ مـــارس اظهر النسائجي سخطه تجاه الحكومة الجديدة . كانت المآخذ على رجال دار البلدية كثيرة : لقد خفضوا قيمة سند البنك ، وهم يغـــذون جيشا من التنابل في شامب دي مارس ويدعون « المطالبين بتقسيم الثروات » (Partageux) يثرثرون في لجنة اللوكسمبورغ . لكن من المهم هنا ان نشير الى سرعة تأثر الناس بالاهانات الصغيرة وتمسكهم الشديد بالمسائل الشكلية وحب البروز . ان النسائجي لم يشترك في المظاهرة الاولى ضد الحكومة نتيجة للازمة السياسية او نتيجة هموم الموازنة او نتيجة احقاد ايديولوجية بحتة . انـــه يحتج لان قبعته ذات الوبر قد نزعت منه ... وهكذا نزل عـــدة آلاف من الحرس الوطني الى الشارع في ١٦ مارس معبريـــن عن

استيائهم من الغاء السرايا المنتخبة . وعلى محاذاة بون أو شانج — Pont au change

التقوا بجماعات معادية ، لقد التقوا بالميكانيكيين وعمال الطباعة والابنوسيين الذين ثاروا بدورهم لوجود مظاهرة بهذه الحقارة تقف بهذه الصراحة ضد المساواة ، كانوا يصرخون :

— ليسقط رجال القبعات ذات الوبر .

— ليسقط ليدرو رولان ، اجابهم اعضاء الحرس الوطني ، لنحفظ جيدا هذه الصيحة التي كانت الاولى التي اطلقها الرجعيون. ومع ذلك فان النسائجي قد ارتبك بسرعة في دار البلدية لان معتدلي الحكومة قد وبخوه بعنف .

— انكم مجانين ، قال لهم آرماند ماراست ، ان رجالا جديين مثلكم يجب الا يخرجوا على الوسائل القانونية لكي يعرضوا مطالبهم : انكم بهذا الموقف تدعون الشعب الى الهيجان .

ويضيف فرانسوا آراغو :

— غدا سوف تقوم الطبقة العاملة بمظاهرة ردا على مظاهرتكم ، ها نحن نتقدم جيدا .

في الواقع ، تم الرد على « القبعات ذات الوبر » في صباح اليوم التالي (١٧ مارس) . كان التلاحم الشعبي مدهشا ، اكثرمن مئة الف رجل استنفروا وحشدوا ثم انتقلوا في موكب من الكونكورد الى دار البلدية . اظهر الشعب قوته بانضباط ودون هتافات حقودة . لقد اظهر العمال تجاه الحكومة اخلاصا ممزوجا بالقلق : فهم يخافون من سلوك الملكيين ، ويبدون قلقهم من الغليان الذي ينيره في الجيش ضباط يعادون الجمهورية علنا . انهم يطالبون بابعاد الجيش النظامي عن باريس وبتأجيل انتخابات النواب وضباط الحرس الوطني في آن معا . كان لويس بلان بين اولئك الذين حرضوا على قيام هذه المظاهرة الشعبية ، وفي نفس الوقت ، وبصفته عضوا في الحكومة ، لم يكن يريد ان تسير المظاهرة على طريق الثورة . كانت هناك حيرة في دار البلدية . كان كابي وسوبرييه مرتاحين لكون الشعب قد قدم برهانا على الحزم والاتزان. (كانت ذهنيتهما هذه هي هي التي كانت تحرك الاكثرية

الساحقة من المتظاهرين). وبالعكس فان العناصر المتطرفة ، الرجال الذين كانوا يتبعون تعليمات بلانكي – وميكانيكينا في لاشابيل يذهب كل يوم تقريبا الى الكونسرفاتوار حيث انشأ بلانكي ناديه السياسي – كان هؤلاء يريدون ارغام الحكومة على ان تبدي حزما اكبر تجاه « القبعات ذات الوبر » ، تجاه مخربي الجمهورية . بدأ الميكانيكي يشك حتى في لويس بلان . وعندما التقى به في ١٧ مارس في احدى قاعات دار البلدية قال له هامسا ، بلهجة تغلب عليها الكآبة اكثر من العداوة :

– أنت ، اذن ، خائن ايضا ؟

قال سوبرييه كلاما مهدئا :

– ان المندوبين يضعون ثقتهم كاملة في الحكومة ...

غير ان انصار بلانكي يحتجون :

– ليس في الجميع .

في هذه اللحظة اتجهت الانظار نحو لامارتين . كان هذا الاخير يبدي قلقا عظيما ، فهو لم يفهم جيدا ، لانه كان قد طالب في الحكومة باتحاد جمهوري عريض ، انه لا يريد ، مثل غارنييه باجي ، ان ينفصل عن ليدور رولان .

ليس هنا مجال البحث فيما اذا كانت السياسة التي اتبعها لامارتين حكيمة وفيما اذا كانت لها امكانيات كبيرة للنجاح . لكن ينبغي ان نحاول فهمها ونحدد تماسكها . والحال انها كانت تنطوي على ثقة واسعة في الشعب وحتى في العناصر المتقدمة من سكان باريس . هذا النوع من التركيب الجمهوري والوطني الكبير الذي رسمه مؤلف « تاريخ الجيرونديين » كان يحتفظ بطابع شعبي صريح : كان يرتكز بالضرورة ، ولاسباب تتعلق بالزخرفة ، على الجماهير العمالية . ان مظاهرة ضخمة وهادئة في آن معا مثل مظاهرة ١٧ مارس كانت تبدو توضيحا نموذجيا لتلك الجمهورية التي كان لامارتين قد حلم بها واوجدها . لكن الناس يعجون بالتناقضات ، فلامارتين الذي انفصل عن اليمين والذي كان يفقد كل اتصال مع النسائجي اكثر فاكثر ، والذي هو اقرب الى ليدرو

رولان منه الى غارنييه باجي ، لامارتين هذا كان يبدي خوفا رهيبا من امكانية قيام ثورة شعبية . وهكذا كان يفقد كل سيطرة على ذاته . وفي اليوم التالي لفبراير كان يدأب على القول : « الجمهورية هي مفاجأة جعلنا منها معجزة » . ان كلمة « مفاجأة » هي بحد ذاتها مفاجئة على لسان الشاعر لانه اذا كان هناك واحد يستطيع ان يعتبر نفسه صانعا للمشهد الذي قدمته فرنسا سنة ١٨٤٨ ، فانه بالتحديد سيكون لامارتين . والمفاجأة كانت في ان لامارتين هو الذي اعدها للبلاد الى حد بعيد . وكلمة معجزة كانت ايضا ترن خطأ في فم رجل الدولة ، لانه في اللحظة التي كان يلفظها ، لم يكون (لامارتين) يصدقها ، لقد كان مليئا بالهواجس المشؤومة .

يكن (لامارتين) يصدقها ، لقد كان مليئا بالهواجس المشؤومة .

الذين اقتربوا منه عام ١٨٤٨ بجسارة وبشجاعة جسدية لا نقاش فيها . لم يكن يهاب الجمهور مثل غارنييه باجي او ماراست . لقد كان بالاديوم (١) (حرز) الحكومة في الاسابيع الاولى للثورة . كانت جماعات مسلحة تقوم بحركات كثيرة امامه وتطلق اسوأ التهديدات وكان يقدم صدره بدون تردد . وعندما كان يقتضي الامر الولوج الى القفص الذي يزمجر فيه الاسد الشعبي فان لامارتين كان ، بخلاف زملائه ، يجيب : « حاضر » . لكنه ربما سئم لا شعوريا دور المروض هذا . لقد بدأ المعارك الاولى بمزيج من الثقة والانفعالية . الا انه سرعان ما اعتبر جديا ان الابليس البروليتاري المسكين الذي كان يسعى لاغرائه اكثر من سعيه لاقناعه ، هو خصم له . كان لامارتين مقتنعا بان عربة الجمهورية الضعيفة سوف تسير في طريق الديكتاتورية بين لحظة واخرى . انه يخاف هذه الكتلة الهائمة باستمرار لان هذا الجمهور الفوضوي والخطر يجعل من نفسه لا شعوريا صانع الثورة المضادة . كان لامارتين بحق مشغولا بوسواس الحرب . وهذه المواكب الشعبية ، مع انها منظمة جيدا ، بدت له مقدمة حزينة لعصر قيصري . « ان ١٨ بروميز الشعب تنادي ١٨ بروميز الاستبدادية » هكذا كان يقول في ١٧ مارس . لكن يمكن الرد على لامارتين بانه بقليل من الثقة والمنهجية كان

---

(١) — تمثال « بالاس » الهة الحكمة عند الاغريق ، كانوا يعتقدون ان سلامة مدينة طروادة مرهونة به (المترجم) .

يستطيع جعل هذا الجمهور الذي كان يخيفه ، اقل فوضوية واقل خطرا ، وانه كان ضالا في اتخاذه دور الساحر والمروض . كان لامارتين عندما بدأ حياته السياسية ، يريد في الغالب أن يجعل من نفسه زعيم مدرسة . لماذا لم يستمر في لعب هذا الدور ! لانه في النهاية كان يخاف الشعب وقد ساهم في زيادة قلق الشعب مما سوف يؤدي الى التفكك السياسي والى « ١٨ بروميير » . عندما كان يتآمر مع ماري وآرمان ماراست ضد لويس بلان ، وعندما كان يحلم بتحويل فرق العمال في المعامل الوطنية الى جيش طاغية يكلف حماية الحكومة المؤقتة ، فانه بذلك كان يثير الاضطرابات الاجتماعية التي سوف تؤدي الى نجاح لويس نابليون بونابرت . ربما كان لامارتين يبدي اعتدادا بالنفس في ٢٤ فبراير:بعدالانتصار بدا ميكيافيليا وشديد الخجل في آن معا . كنا نسمعه يقول في ١٧ مارس في دار البلدية : « هل هو موعدنا في ٢٠ يونيو . متى يحين موعدنا في ١٠ آب ؟ » انها الكلمة ذاتها التي كان يقولها دوشاتل امام لويس فيليب في ٢٤ فبراير في قصر التويلري ! كم يبقى الرجال اسيري التاريخ او بالاحرى اسيري تصورهم للتاريخ ! لكن اذا كان لامارتين يقدم تلميحات جانبية حول امور ماضية كانت تشل عمله فانه مع ذلك كان يحتفظ بقدرة فائقة على الكلام ، ففي ١٧ مارس كان الساحر لا يزال يقول : « ليس لدينا حراس ولا اسلحة ولا دعم مادي ، ليس لدينا قوة اخرى سوى سلطتنا المعنوية : هذا الحصن المنيع لاستقلالنا سوف ندافع عنه حتى الموت . »

١٦ نيســـان

لم يكن دي كورتاي العجوز الذي كان يفيض رضي في منصبه كجنرال للشعب ، باعتباره قائدا للحرس الوطني ، لم يكن يأخذ على محمل الجد سخط رجال القبعات ذات الوبر ، وخلافا للامارتين وماراست وماري ، كان يستسيغ بعمق المظاهرات الشعبية الكبرى. كان قد قرر ادخال ١٤ ضابطا من الطبقة العاملة ، ينتدبهم رفاقهم ، الى هيئة اركانه التي كان يسعى الى جعلها ديمقراطية . كـان من المفروض ان يتم الانتخاب الاحـد في ١٦ ابريـل في شامب دي مارس . وكان مندوبو لجنـة اللوكسمبورغ ومناضلو الانديـة ، اصدقاء راسباي وبلانكي ، يريدون اعطاء هذا اليوم دويا جمهوريا كبيرا . كان الجو عاصفا بين التجمعات المؤيدة لبلانكي . كـان تاشيـرو قد نشر لتوه فـي « مجلة الاحـــداث الماضيـة » « La revue retrospective » وثائق مفحمة لبلانكي . هذا الاخير ، تاشيرو تصريحات ادلى بها بلانكي في اكتوبر ١٨٣٩ امام وزيـر

تاشيرو تصريحـات ادلى بلانكـي في اكتوبـر ١٨٣٩ امـام وزير

الداخلية .من جهتي انا ، لا استطيع ابداء رأي حول صحة وثيقة تاشيرو . ان موريس دومانجي M. Dommanget الذي درس بلانكي بدأب منذ ١٥ عاما ، كان مقتنعا بمرارة ، في بداية دراسته لبلانكي، بان ما قاله تاشيرو هو الحقيقة . اما اليوم فانه بالعكس يرى ان القضية كاذبة . وعلى اية حال فان بلانكي أعطى انطباعا بانه تعرض لضربة مفاجئة عام ١٨٤٨ . كـان رده متأخرا وضعيفا . انحـاز راسبالي الى جانبه ، عن حماسة اكثر منه عن اقتناع عميـق ، وذلك في جريدته « صديق الشعب » التي كانت واسعة الانتشار بين الباريسيين : ظهرت مقالة راسباي في ١٦ ابريل نفسه . اني اقدم كل هذه التفاصيل لاعادة خلق المناخ الذي ساد في ذلك اليوم

الذي شكل احد المنعطفات في ١٨٤٨ .. كتب راسباي : « في اليوم الذي قدم فيه السيد الصغير تاشيرو ، خادم لويس فيليب وخلفائه ، الوثيقة التي تكلمنا عنها الى الجمهور ، اصيبت افكاري بالبلبلة نتيجة لذلك » ويتابع راسباي قائلا : لماذا تأخر رد بلانكي ؟ لان بلانكي كان منهمكا . « لكن هذا الرد قد ظهر وهو يبدو لي صاعقا ... » وفي الاجمال فان مظاهرة ١٦ ابريل لم تظهر بألوانها الوردية التي كانت قد سحرت مخيلة الجنرال دي كورتاي اللطيفة. حتى انها قدمت نفسها لمعتدلي الحكومة ورجال الناسيونال مساء ١٤ ابريل ، بألوان سوداء تماما . في ذلك اليوم كانت الحكومة تعقد جلسة لتوها ، اخطرها لويس بلان والبير بشكل عرضي ظاهريا بأن الشعب سينزل الى الشارع بعد غد نهار الاحد . اجيب لويس بلان : « هل تقصد الاحتفال الذي دعا اليه دي كورتاي في باريس »؟ — « ليس بالضبط » ، تابع لويس بلان بانفعال . « سوف يكون هناك مظاهرة مزدوجة . بعد الانتخابات التي ستجري صباحا في شامب دي باريس ، سوف يذهب العمال بعد الظهر الى دار البلدية . وذلك بهدف مزدوج : انهم سيقدمون الى الحكومة ما تبرعوا به (نحن نتذكر انه قد جرى تحت رعاية غارنييه باجي ايجاد صندوق لتلقي هبات المواطنين) كما انهم سوف يقدمون لها مطالبهم » . لفظ لويس بلان هذه الكلمات الاخيرة رغما عنه وبطريقة فظة قليلا . وسوف تجري الانتخابات بعد تسعة ايام . هل ستعني هذه الانتخابات زوال الجمهورية الاجتماعية التي كان يحلم ببنائها ؟ افترق اعضاء الحكومة بفتور . كان القلق يخيم على فريق ليدرو رولان وكوسيدير : هل سيعلن بلانكي عصيانا مسلحا ؟ كذلك خيم القلق على فريق لامارتين اي الفريق المعتدل من جماعة الناسيونال: او ليس ليدرو رولان بصدد ضيافتنا والانضمام الى لويس بلان وبلانكي ؟ تعاظم قلق لامارتين وماري خاصة وانهما قد تلقيا بذهول مساء ١٤ وبعد اجتماع الحكومة ، نبأ العدد الاخير — السادس عشر من « نشرة الجمهورية » الذي حرر في مكاتب وزارة الداخلية. كان احد مقالات هذه النشرة مخصصا لموضوع الانتخابات الشائك. انه يحتوي على عبارات مليئة بالتهديدات :« اذا لم تؤد الانتخابات الى انتصار « الحقيقة الاجتماعية » ، اذا لم تكن سوى تعبير عن مصالح طبقة مغلقة بعيدة عن الاخلاص الصادق للشعب ، فان هذه

الانتخابات التي كان ينبغي ان تكون خلاصا للجمهورية سوف تكون هلاكا لها ، ان ذلك امر لا شك فيه . ولن يكون امام الشعب الذي اقام المتاريس غير طريق واحد للخلاص وهو ان يفرض ارادته مرة ثانية ويؤجل قرارات التمثيل الوطني المزيف . » لقد علم فيما بعد ان كاتب المقال هو جورج صاند وان الياس رينيو Regnault رئيس ديوان ليدرو رولان ومدير « النشرة » كان قد استدعي الى جانب امه المريضة ولم يتمكن من اخذ العلم بالمقال المثير الذي نشرته صاند في البلاد . يبقى ان رجعيي الحكومة فقدوا صوابهم . وفي الليل كان لامارتين يحرر وصيته ...

في ١٦ ابريل جرت المظاهرة المنتظرة في شامب دي مارس دون هياج كبير . من المؤكد ان اشاعات مشؤومة قد انتشرت من جماعة الى اخرى تفيد بأن لويس بلان وليدرو رولان قد اغتيلا ...

لم يكن ليدرو رولان قد اغتيل وانما كان يمر بأزمة وعي حادة . ان يتجه نحو بلانكي معناه الاتجاه نحو المغامرة ، نحو التشوش . والاتجاه نحو لامارتين معناه التورط كثيرا مع اليمين ولعب ورقة الرجعية . خاطر ليدرو رولان في تلك الطريق الثانية قائلا في نفسه بأنه عندما يؤيد الاكثرية في الحكومة فانه بذلك ينقذ السلطة وبالتالي الجمهورية . في الساعة العاشرة والنصف كان رولان في مكتب لامارتين في دار البلدية وعرض عليه بنية سليمة مؤازرته التامة . استقبله لامارتين بحرارة ، لقد التقط انفاسه في النهاية ... قرر الرجلان انه من اجل تأمين النظام ينبغي تعبئة الحرس الوطني . هناك زيارة اخرى انتهت باعادة الهدوء الى لامارتين ، انها زيارة شانغارنيه . كانت الجمهورية قد عينت الجنرال شانغارنيه وزيرا مفوضا مطلق الصلاحية لدى بلاط بروسيا . كان شانغارنيه عائدا من افريقيا وقبل ان يتوجه الى مركزه الجديد في برلين ، ذهب الى مقر وزارة الخارجية في جادة الكبوشيين ليتلقى تعليماته . وهناك التقى زوجة لامارتين التي صورت له جنون زوجها ورجته ان يذهب في الحال الى دار البلدية . بعد ذلك بدقائق قليلة ، كان شانغارنيه يدخل الى مسرح التاريخ ــ انه دخول تعيس بالنسبة للجمهوريين ــ وكان يملي على الجنرال دوفيفيه Duvivier

الذي كان قائدا لرجال الدرك مخططا للعمليات ... « من المؤكد ان العمال سيسيرون بعد الظهر ، لكن داخل سياج من الحراس المعادين ، وسوف يتم شق الموكب الى عدة اجزاء : تدخل عدة كتائب من الحرس الوطني بين المتظاهرين . ابتهج لامارتين : لقد ابتدأ تقليم اظافر الاسد الشعبي جديا » .

هل كانت جماعة بلانكي الصغيرة عازمة على شن هجوم عسكري ؟ بالطبع لن يعرف ذلك ابدا . ما يمكن تأكيده هو ان الحشد العمالي الكبير ، الذي كان يتحرك من شامب دي مارس الى دار البلدية ، ابعد ما يكون عن جيش من المتآمرين . ومهما يمكن أن تكون هموم ذلك اليوم ، وهي خطيرة بالتأكيد ـ تحدثت عن المخاوف التي اثارها قرب موعد الانتخابات ـ فان ذلك اليوم كان يحتفظ في الذهن الشعبي بطابع البهجة : عند الصباح جرى الاحتفاء بضباط الحرس الوطني الجدد ، وعند المساء تم تقديم قليل من المال للحكومة وطلب اليها ان تبدي يقظة جمهورية . لم يكن في كل هذا اثر لقصد سيء . واذا بالنفير يدق فجأة فينطلق اعضاء الحرس الوطني صائحين : « ليسقط الشيوعيون » وها هم رجال الدرك يتقاطرون وهم يفرقون المد الشعبي. أحس العامل بنفسه أنه يعامل كمجرم . حتى انه لم يكن راضيا ، كما في ١٧ مارس ، عند سماع صفارات الحكومة تزغرد في اذنه . استقبل ادمون آدم ، مساعد ماراست ، بخشونة ممثلي الشعب في دار البلدية . (هذا الاخير لم يعرف الشهرة الا بعد ١٨٧١ عندما تزوج من تلك التي اصبحت مستشارة الجمهورية الثالثة) . ومع ان ابنوسي ضاحية سان انطوان وميكانيكي لاشابين كانا في حيرة وارتباك تامين ، فانهما كانا يصرخان بكل جوارحهما :« لا تحيا الحكومة المؤقتة ! » ولم يكن ليدرو رولان يستمع اليهما بعطف وحسب ، وهو امر طبيعي ، وانما بمجاملة متعالية ، وهو امر يدل على غباء . واذا كان لويس بلان والبير قد اصيبا بالذهول عند سماعهما قرع الطبل ، واذا كانا ينظران الى زميلهما في الداخلية كخائن ، فان ليدرو رولان كان مقتنعا بان يقظته قد انقذت الحكومة المؤقتة دون ان يمس بعمق الاستعداد الشعبي السليم ، ان ليدرو رولان يعتبر نفسه منتصرا . كان ذلك فيالوقت

ذاته الذي كـان تأثيره قد بدأ يضعف . كان غارنيه باجي ، الغيور انسانيـا بقدر مـا هو قليل الوضوح من الناحية السياسية ،مستاء من المديح الـذي كان يكيله الشعب ليدرو رولان . وعندما سمع الهتافات المدويـة تأييدا للويس بلان وليدرو رولان ، انسل بيـن زميليه واخذ ذراع ليدرو رولان ، فدفعه هذا الاخير بحركة ما .

ـ كيف ترفض ذراعي يا عزيزي ؟

ـ لو كنت تمد يدك الي" ، خاصة في مجلس الوزراء، اجاب رولان ، لكان لك الحق بأن تأخذ ذراعي امام الجمهور .

من هو المنتصر في ١٦ ابريل ؟ ليس ليدرو رولان ولا غارنيه باجـي ولا لامارتين ، انه نسائجي ضاحية سان دنيس . عندما تظاهر في ١٧ مارس ، اعيد الى دكانه بخشونة . اما اليوم فانـه يستدعى به كي ينقذ النظام ، ان له كل الحرية فـي ان يهتف : « ليسقط الشيوعيون ! »لقد انتصرعلى الحكومة المؤقتة ،ان المستقبل بيديه . لقد انتصر الدكان والمكتب على المصنع . بعد ١٦ ابريـل بدأت موجة عارمة من الرجعية الاجتماعية تطفى على البلاد . كتب كوسيدير « لقد شملت كلمة شيوعيين كل الجمهوريين المخلصين » . لقد عرف شعر لاشامبودي ، وهو شاب من بريغود Périgod على الرغم من كونه هزيلا ومرتجفا ، بعض النجاح في بومينكور او فوجيرار . ألف هذا الشاب اغنية لا تخلو من الانفعـال « لا تصرخوا ليسقط الشيوعيون » . كان سماع لازمات لاشامبودي الفنائيـة يخف بمقدار ما كانت تتعاظم الضجة التي كـان يثيرهـا المدافعون عـن النظـام .

٢٠ ابريـــل

مـــع ذلك كان لدى مهزومي نهار الاحد احساس يوم الخميس التالي بانه يجب عليهم ان يأخذوا بثأرهم : جرى الاحتفال بعيـــد الاخاء في ٢٠ ابريــل : كان هذا العيد ، بلا جدال ، انتصارا لاولئك الذيـــن كان كوسيدير يسميهم « الجمهوريين المخلصين ». كـــان رجالَ الحكومة ، الذيـــن تجمعوا عنـــــــد قاعدة قوس النصر Arc de triomphe يحضرون عرضا للجيش والحرس الوطنـــي . كانت الافواج والجموع تتسلم اعلامها . كتب بيير دي لاغورس «انه عيد غريب ، كـــان القضاة الـــى جانب المساجيـــن السياسيين ، والجنرالات الى جانب جرحى فبراير ، ومندوبو الاكليروس بجانب ممثلي الاندية السياسية على منصة الشرف » . عندما الف بيير دي لاغـــورس ، الاورلياني الاتجاه ، كتابه « **تاريخ الجمهورية الفرنسية الثانية** » لم يكن يفهم ابدا ان روح ٢٠ ابريل كانت هي ذاتها روح فبراير . في ٢٠ نيسان تألق نجم كوسيدير . كم كان يحتقر ارماند ماراست في ذلك اليوم ، فقد بدا هذا الاخير ضجرا متشككا على منصة الحكومة ! كانت الطوابير الاخيرة تتموج امام «قوس النصر» في الساعـــة العاشرة مساء . ان راسباي ، شأنه شأن كوسيدير ، متحمس :« ومهمـــا يكن ، فان كل افراح الرجعية هذه بالنصر قد تحولت ، وبسرعة ، الـــى دخـــــان : ان **السادة « المكتفيـــن »** Gwzotistes **والبريتشارديين** Pritchardistes **والغيزوتييـــن** والممثلين المتقاعدين Peusionnaire لرئيس الدولة ، كل هؤلاء الذي كانوا قد جيروا التظاهرة او بالاحرى التزوير الذي تم في السادس عشر لصالحهم ، والذيـــن منذ اليوم التالي قدموا شكرهم الجزيل للسادة لامارتين ، ماراست وحتـــى للسيد بانيير Pagnerre والسادة الرجعيين كما أظن ، اقول انهم كانـــوا اقـــل « اكتفاء »

« رضى) في الواحد والعشرين » (جريدة « صديق الشعب » في ٢٣ ابريل) . بعد ذلك بخمسة عشر عامـا اي عام ١٨٦٣ ، اوحت ذكرى ٢٠ ابريل لعامل المطبعة كوربون ،الذي اصبـح نائبا لرئيس الجمعية التأسيسية ، صفحات مؤثرة :

« ان الذي اعطى لهذا العيد خاصيته وعظمته ، لم يكـن فقط عرض القوة الرائع الذي كانت المدينة الثورية تستطيع ان تظهـره لمثلي اوروبا التي كانت حينئذ مهتاجة بشدة : انها خاصة روح الاخوة التي تجلت طيلة هذا اليوم بين مختلف عناصر السكان ..

« لقد كانت لدى الحكومة المؤقتة الفكرة الرائعة التي قضت بتوجيه افواج الاحياء الفنية منذ الصباح نحو الباستيل لكي تصطف فيه ، بينمـا تنتظم افواج الاحياء الفقيرة في صف يتجه نحـو المـادلين بشكل يجعل هذه الأفواج تلتقي بـالضرورة ... لقـد رأيت بأم عيني لقاء الفوج الثامـن والفوج الثاني ، اي فوج ضاحية سان انطوان وفوج طريق انتيـن chaussée d'Antin اي الفوج الاكثر فقرا والفوج الاكثر غنى . لن انسى ابدا الحماس الدافق الـذي استقبل به الواحد منهمـا الاخر . من هنا وهناك كانت الوجـوه تشع ثقـة وسعادة ... لم تفتر حرارة العواطف طيلة النهار رغم المطـر الذي لم ينقطع ابدا : انه لـم يستطع تبريد القلوب الدافئة. ان الصيحة العامة هي التي اطلقت على هذه التظاهرة الهائلة عيـد الاخاء : لقـد كانت التسميـة جيدة ..

« واذا كانت العواطف النبيلة التي تجلت عاليـا في ذلـك اليوم قد امحت بسرعة ، فان ذلك لم يكن بالتحديد غلطة الشعب » .

٢٣ ابريل

الاحد ٢٣ ابريل ، يوم الفصح ـ هذه السنة تحتفل فرنسا باعياد الفصح الدينية والمدنية في آن معا . لم تكن الحكومة قد حددت موعد الانتخابات في ٢٣ ابريل دون بعض العوائق . كان سيجري انتخاب عام لاول مرة . حتى اولئك الذين كانوا يدافعون عنه بحرارة ،امثال ليدرو رولان ، كانوا يتساءلون بتخوف كيف سيمارس المواطنون الجدد حقهم . لم يكن احد يفكر في ان هذا اليوم يمكن ان يمر دون حوادث خطيرة وقيل ان حوادث تقع في يوم الفصح ذاته سوف تكون مزعجة جدا . لكن الكنيسة كانت اكثر تفاؤلا من الحكومة . انها لم تصدم لرؤيتها البلاد وهي تقوم بعمل سياسي في نفس الوقت الذي تقوم فيه بتمجيد بعث المسيح . كان يمكن اقامة مقارنة مثيرة بين المسيح الخارج من قبره وبين الشعب ، لعازر الجديد ، (شقيق مرتا ومريم ، احياه المسيح . يقام له عيد في ١٧ ديسمبر) الذي دعي ، بفضل قيامة فبراير ، الى ان يقول كلمته في الشؤون العامة .

لقد بقيت الكنيسة الوجه الاخر لنظام الحكم الجديد وهو أمر كان يروق لكثير من الاساقفة ، ان الاكليروس وخاصة كبار الاساقفة امثال المونسنيور آفر Affre كانوا قليلي الميل الى نظام ملكية يوليو ، نظام « رجال البنوك » Les Lancorates كان لويس فيليب ملحدا علنا ، وهذا المزيج من الجشع والفولتاريه (نسبة الى فولتير ، يقصد هنا عداء الدين . المترجم) ، الذي كان يميز جيدا حكم الملكية البرجوازية ، كان يزعج الكنيسة في حين كانت ثورة فبراير تفيض بالعواطف الدينية وتندرج تحت شارة المسيح الثائر ،بروليتاري الناصرة . في الريف ، كان موكب

الناخبيــن في ٢٣ ابريل يتشكل باشراف الخوري وتحت تصرفه. كانت الحكومة قد قررت بذكاء اجراء الاقتراح في مركز القضاء. لقد كانت تخشى ان تعوق التأثيرات المحليــة في القرية عمليــة التعبيــر عن ارادة الناخبين : ان النبيل الريفي والوجيه يمارسان في الاطـار القروي تأثيرا مباشرا اكبر منه في القضاء . ولهــذا السبب فــان مشاهد الاقتراع في ابريل ١٨٤٨ تذكرنا بتلـك التي عوّدتنا عليهــا مجالس المراجعة . كانت الطرقــات ملأى بالمواكب الطويلــة التي تتقدمها الطبول والابواق . ولدى خروج الناخبين من القداس ، كانوا يتجمعون في ساحة الكنيسة وعلى رأسهم المختار والخوري . الاعلام ترفرف : في الطريق الى مركز القضاء وعلـى مفارق الطرق كانت المواكب الاتيــة من القرى المجاورة تلتقي وتدور مشاهــد من التآخي . كانت نسبة المقترعين الى المسجلين عاليــة للغايــة : ٨٤٪ . لـم تصل النسـبة ابدا الى هذا الرقم لا في ايام الامبراطوريــة الثانيــة ولا في ايام الجمهوريــة الثالثــة ولا فــي ايامنــا هــذه .

لم يقع اي حادث يذكر اثناء عمليات الاقتراع . وكذلك اثنــاء فرز اصوات الناخبيــن . كان عمال صناعة البورسلين في ليموج Lumoges قد تقبلوا الايديولوجية الاشتراكية بالموافقة حتــى قبل ان تندلع الثورة في فبراير . لقــد اقاموا « مجتمعا شعبيا » قويا. ومع ذلـك ورغم جهودهم فان مرشحي « المجتمع الشعبي » قــد اخفقــــوا ، لقــد اقترع مزارعــو فيينا العليا Thaute Vienne الى جانب المحافظين . ثار الغضب بيــن صفوف عمال المدينـــة ووقعت صدامــات عنيفة . ينبغي على المؤرخ ان يشير مع ذلك الى أن غليــان ليموج في ابريل ، مع كون دوافعه اشتراكية ، يرتبط بتلـك الاضطرابات التي كانت تتوجه في عهد الملكيــة ضد محتكـر الحبوب . عام ١٨٤٨ كان في سجون ليموج بعض المعتقليــن مــن اولئك الذيـن وقفوا في العام السابق الى جانب تحرك بوزانسا Buzancais اننا نتذكـر الحوادث الداميــة التي وقعت عام ١٨٤٧ في المدينة الريفية البرولشونية (نسبة الى مقاطعة بري Berry) الصغيرة في اعقاب اختفاء الطحين ... ان اشباح بوزانسا تخيم على ليموج وفي ٢٨ ابريل ١٨٤٨ ، توجه جمهــور من الليموزييــن

المسلحين بالقضبان Limausins الى منزل طحّان لانواي Lanauaille الذي اتهم عام ١٨٤٧ بانه أحتكر الحبوب والكستناء . وبعد قليل اصبحت ليموج خاضعــة لحكم لجنة ثورية . الا ان الحوادث التي كان مركز مقاطعــة فيينا العليــا مسرحا لها تبقى دون خطورة اذا ما قيست بتلك التي وقعت في روان . كــان فريدريك دي شامب، المفــوض الذي ارسله ليدرو رولان الى السين السفلى ، مرشحــا للجمعيــة التأسيسية . اخفق هو واعضاء لائحته . وعندما علــم عمال روان بهذا الفشل في ٢٧ ابريل ، هبوا الى سلاحهم . « ذهب دي شامب ، الذي كــان مكلفــا بحفظ الامــن الى شارع ســـان هيليــر St . Hilaire وشارع رويسيل Ruissel حيث بنيت المتاريس: انه يحض اصدقاءه على الهدوء لكــن دون جدوى . لقد كان النائب العام سينار ، احد رجال الناسيونال وخصم دي شامب ذاته ، هو الذي اعاد الوضع الى مــا كان عليه بطريقة وحشية ، ففــي ٢٨ ابريل وبعد عمل عنيف جدا (حتى المدفعية استعملت ضـــد العمال) احتل جنود الجنرال جيرار ضاحيتي مار تفيل وسان سيفر St . Siver اللتين كان الثوار قد اعتصموا فيهما » . (١) .

(١) انظر كتابي «الحياة العمالية في فرنسا في ظل الامبراطورية الثانية»، المدخل.

الجمعيــة الوطنيــة التأسيسيــة

كانت انتخابات الجمعية الوطنية التأسيسية غامضة من الناحيــة السياسية . (كانت انتخابات الجمعية التشريعية في العام التالي ذات نتوءات اكثر وضوحا). كان الاقتراع يتم لانتخاب لوائح على مستوى المحافظة . وبكثير من الفطنة لم يرشح الكثير من الاورليانيين انفسهم ، الا انهم خاضوا معركــة اورليانيين اخرين كانوا قد حافظوا على موقف فاتر تجاه الجمهورية كي لا يعرّضوا انفسهم للبروز ولكي يصعب تمييزهم . كانوا يسمون « جمهوريو الغد » : كانوا في الغالب يتواجدون على لوائح رجال الناسيونال ذاتها ، هؤلاء كانوا يسمون « جمهوريو الامس » . على ايــة حال يمكن فهم هذه التحالفات . ان المحامي او الطبيب الذي كان مشتركا قديما في جريدة الناسيونال والذي كان فوق ذلك خجولا جدا على الصعيد الاجتماعي ، لم يكن يطلب اكثر من التحالف مع المحامي والطبيب والصناعي الذين كانوا يقرأون جريدة كونستيتوسيونيل (الدستوري) Constitutionnel او « جريدة المناقشات » Journal des débats : وهكذا كان يكسب عددا كبيرا من اصوات اليمين الوسط واليمين . وبالعكس فان مشترك جريدة « الدستوري » او « المناقشات » لم يكن مستاء من وجوده على نفس اللائحة مع رجل الناسيونال : اولا لانه كان يحصل من جراء ذلك على شهادة جمهورية ، ولانه كان يكسب عددا اضافيا مهما من الاصوات . في بعض المقاطعات كان يتواجد على نفس اللائحة المفوض الذي ارسله ليدرو رولان واناس اخرون لم يطلبوا ، منذ بضعة اسابيع ، اكثر من القاء ما يسمى بالمفوض الى النهر .

انه لمن الصعب في هذه الظروف ان نعطي صورة سياسية

واضحــة عن الجمعية الجديدة . كانت هذه تضم تسعمائة نائب . نال الجمهوريــون المعتدلون حوالي خمسمائة مقعد ، لكن واكرر هنـا القول بان هؤلاء « الجمهوريين » لم يبدوا ابدا اي تماسك . لم ينل الجمهوريون المتقدمون سوى ثمانين مقعدا . اما الاورليانيون الملتزمون تقريبا ، « جمهور الغد » فقد كان عددهم ٢٠٠ والشرعيون ١٠٠ . يمكن التنبؤ بالذهول الذي اصاب ميكـانيكي لاشابيـل . في السين ـ ٣٤ مقعدا فاز اعضاء الحكومة المؤقتـة الـ ١١ دون صعوبات . نال لامارتين ٢٦٠،٠٠٠ صوتا دوبون دي لور ٢٤٥،٠٠٠، فرانسوا آراغو : ٢٤٣،٠٠٠ ، غارنييه باجي : ٢٤١،٠٠٠ ، آرماند ماراست ٢٣٠،٠٠٠ ، ماري ٢٢٥،٠٠٠ ، كريميو ٢١٠،٠٠٠، **البير** ١٣٣،٠٠٠ ، ليدرو رولان : ١٣١،٠٠٠ ، فلوكـون : ١٢١،٠٠٠ ، لويس بلان : ١٢٠،٠٠٠ . لقد سبق جماعة الناسيونال جماعةالاصلاح باكثر من مئة الف صوت وكان الفشل النسبي للويس بلان ،الاخير بيـن اعضاء الحكومة ، ذا دلالة . نال الجنرال دوفيفيه الذي كان قائد الحرس الوطني ، ١٨٢،٠٠٠ صوتا . اما كوربون ، التاسع عشر بين المنتخبين ، فنال ١٣٥،٠٠٠ صوتا وجاء قبل كوسيدير الـذي نـال ١٣٣،٠٠٠ وكان العشريـن . كان كوسيدير وكوربون يمثلان اتجاهي ١٨٤٨ : كوربون يمثل الاتجاه الدينـي المخفف ، المتحمس المتزلف قليلا ، اما كوسيدير فيمثل الاتجاه الصاخب ، الرومانسي ، الجبلي (كوسيدير هو احدى شخصيات الكسندر دوماس) . مما لا شك فيه ان بعض الناخبين قد اقترع لصالح كوربون وكوسيدير معـا لكـن مجمل الـ ١٣٠ الف صوت التي نالهـا الرجـلان صادرة عن فئات اجتماعية وعائلات روحية مختلفة تمامـا . كان لامارتيـن باصواته الـ ٢٦٠،٠٠٠ المنتخب الاول في السين بينما كان لاميناي Lamennais الاخير اذ نال ١٠٥،٠٠٠ . من جهة اخرى تجدر الاشارة الى ان زعماء المدارس والمصلحين الاجتماعيين في السين قد سجلوا فشلا ذريعـا . لم يحصل راسباي الا على ٥٢،٠٠٠ ، بيير ليرو ٤٧،٠٠٠ ، فيكتور كونسيدران (١) ٢٩،٠٠٠ ، فيـــدال ٢٥،٠٠٠ ، كابي ٢١،٠٠٠ .

---

(١) انتخب كونسيدران في اللواري.

كان ليدرو رولان قد دعا مفوضيه الى ايجاد ترشيحات لرجال من الشعب . وفي نفس الاتجاه وجّه كارنو ، وزير التعليم العام ، مذكرة الى المدرسين كلّفته حقيبته الوزارية : طلب الى المدرسين ان يشرحوا للمواطنيـن الجدد ان الثروة والثقافة ليستا ضروريتين للوصول الى الجمعية التأسيسية . كان كارنو قـد استعمل كلمة ثقافة (تربية) بشكل ارعن : كان الوزير يقصـد الاشكال التقليدية للثقافة والتهذيب المرهف الى حد مـا كـان يعتبر أن فلاحا ذا عقل سليم او عاملا فطنا الى حد مـا يمكنهمـا ان يقدمـا نفس الفائدة التي يقدمها صناعيون او محامون او اطباء في مجلس النواب . لقد اثارت مذكرة كارنو انفعالا كبيرا فـي معسكر المعتدليـن والمحافظين . اصيب الناس بالذهول ازاء وزير مكلّف بالتربية الوطنية كان همه الاول ان يدعو الشعب الـى ان ينتخب ممثلين عنه ، رجالا فظين ، خشني الطباع ، جهلـة ومدعين . ربمـا اتبع المدرسون نصائح وزيرهم لكن مواطنيهـم لم يستمعوا اليهم قط . في الواقع كانت الجمعية التأسيسية ، باكثريتهـا الساحقة ، مؤلفـة من هؤلاء الوجهاء الذين تصدّى لهم كارنـو وليدرو رولان . لم تكـن تحتوي سوى على ٣٤ ممثلا من اصل شعبـي : لم يكتب احد مـن المؤرخين حتى الان فصل « النواب العماليين في الثامن والاربعين » . ان هذا الفصـل سيكون مليئا بالمفاجآت : لم يكن الشعور الطبقي عنيفا جدا عند هؤلاء العمال الذيـن اصبحوا ممثلي الشعب . كانوا باردين بالقرب من المعتدليـن ،ويسعون حتى الى كسب عطف النواب الرجعيين . ان العامل ذاته الذي كـان يصطنع في الشارع هيئة مقطبـة متعجرفـة ـ انه لا يقوم بعمل حسن اذا مشى مشية الاسـد الشعبي ـ كان يختال زهوا في قصر البوربون : كان الاسد الشعبي يفهم جيدا ان التقدم لا يمكـن ان يتم الا على مراحل وان المنصب الرسمي له متطلباته الخ .. وباختصار فان الممثل العمالي كان يبدي قساوة كبيرة تجاه لويس بلان وقد انضم الى رجالات اليمين ليحط من قيمـة عمل الحكومة المؤقتة كمـا استمر في تحويـل الجنرال كافينياك الى ديكتاتور . كان مجلس النواب قد شكـل من بيـن اعضائه عدة هيئات (نقول اليوم لجان) . **ترأس كوربون لجنة العمل** . وفي الحال اتخذ موقفا معاديا للويس بلان ولمندوبي

لجنة اللوكمسبورغ . نائب اخر عن السين ، هو العامل الساعاتي بوبين Peupin ، كان ايضا اكثر عنفا تجاه لويس بلان . كان بوبين طليق اللسان ، رجلا بارعا . في ١٠ مايو هاجم لويس بلان في خطاب بارع ومخادع . لقد افحم لويس بلان ، الذي كان يرئس لجنة حكومية من اجل العمال ، على يد عامل اصيل . كان اليمين يرقص من شدة الفرح. ان عامل النسيج جوزيف بنوا ، Benoit الذي كان عام ١٨٤٨ و١٨٤٩ نائبا اشتراكيا وديمقراطيا عن الرون Rhone يهاجم كوربون بعنف في مذكراته الرائعة والتي لم تنشر بعد . كتب بنوا : « كان هذا (كوربون) في جسمه وروحه مع الرجعية الملكية في المجلس وكانت اكثرية العمال كذلك » . ان سلوك كوربون المنحاز داخل لجنة العمل قد صدم حتى محافظين امثال فوغي Vogué . اكرر القول بان كثيرا من النواب العمال قد وافقوا ايام يونيه على ان يصبح كافينياك حاكما مطلقا : في ذلك اليوم دفنوا الجمهورية دون حزن .

ليس من السهل اعطاء حكم على الجمعية التأسيسية . لقد كانت عملا دون الوسط . ومع ذلك فانها لم تكن مؤلفة من رجال دون الوسط . ان مشاهير البلاد — فيكتور هيجو ، مونتالمبير Montalembert لامينيه ، برودون ، لاكوردير — كانوا اعضاء فيها . كان تيير يقول عنها في اواخر ايامه ، انها المجلس الذي كان (هو) كخطيب يتمتع فيه بلذة قصوى، هذا المديح الصادر عن رجل دولة ذي خبرة برلمانية غنية ليس امرا دون اهمية . لكن الجمعية كانت دون تربية سياسية . انها لم تكن تخلو من طيبة النفس . لقد اعتقدت في وقت من الاوقات انها ستصنع سعادة البلاد دون عناء كبير . وفيما بعد ، وعندما تكاثرت المصاعب وزمجر الشارع وعبّر عن فورات غضب عنيفة ، اصاب الهلع الجمعية فبثت احقادا دنيئة وآل الامر بها الى ان تصبح متوحشة . كان التأثير عليها سهلا : فقد كانت تتراجع عن رأيها بسرعة تحت تأثير خطاب ما .

الجمعيـــة فـــي العمـــل .

باشرت الجمعية اعمالها في ٤ مارس ١٨٤٨ . كان النـــواب يميزون انفسهم بزر احمر مذهّب غرز في العروة . وكانـــت الحكومة المؤقتة قد قررت أن يرتدي النواب بذلـة تشبه تلـك التي كـان يرتديهـا الاسلاف العظام في الكونفونسيـون(جمعية تأسيسيـة) Convention . لكن التعلميـات الحكوميـة بقيت حبرا على ورق . كان كوسيدير وحده قد عمل بذلك فكان يأتـي الى قصر البوربون لابسا صورة بيضاء طويلـة مـن الخلف وكـان يبدو وكأنه جبلي متقمّص . طالب احـد المناضلين القدامى فـي الجمعيـات السرية ، ديموستين اوليفيه ،بأن يقسم كل عضـو من اعضاء الجمعية التأسيسية منفردا بانـه سيبقى مخلصـا للجمهورية . عارض كريميو الاقتراح بشكل ودي ، وذكّر بأن كثيرا من الايمـان قد أقسمت في تاريخنا السياسي ثم نكثت وان على النظام الجديد الا يتقيد بشكليـة ترتبط بكثير من الذكريـات المخيبة للامـال . . . كان كريميو مقتنعا بمـا يقوله سيّمـا وانه قـد أبدى في ٢٤ فبراير ، حماسا بنفس القدر تجاه الملكيـة والجمهوريـة . بعدمـا سمعت الجمعية كريميو وقفت هاتفـة : « تحيـا الجمهوريـة ! » كررت هذا الهتاف ١٧ مرة . كانـت الساعة الرابعة . دخل الجنرال دي كورتاي الى قـاعة الجلسات وقال :« ان المواطنين النواب سوف يتجمعون تحت باحـة قصر البوربون ذات الاعمـدة ، مقابل الكونكـورد وسوف يعلنـون الجمهوريـة بحضور الشعب » . سيلبي المواطنون النواب بالطبع هذه الدعوة وسيكون الموكب مهيبا وفرحا في نفس الوقت . شاعت الصدفة أن يكـون كوسيدير الى جانب لاكوردير . كانت صدرة الجبلي البيضاء وثوب الدومينيكي الابيض يرسمـان نفس البقعة

الواضحة . كان الرجلان يتضاحكان وقد مدّا ذراعيهما الواحد للاخر بشكل أخوي .

كان الشعب يتدفق لمدة طويلة مهتاجا متحمسا امام اعضاء الجمعية ، وكان الهواء الربيعي الفاتر ، يجعل اعلام الجيش والحرس الوطني ترفرف . « بلل الدمع كل العيون ، تكتب دانيال سترن ، وكانت الايدي تبحث عن نفسها وتتشابك دون ان تعرف بعضها البعض في انفعال لا يوصف من الفرح والاطمئنان » .

هذا المشهد هو مشهد مميز من مشاهد الوهم الفنائي الذي ساد هذه المرحلة . وعندما نريد ان نستعيد تاريخ ذلك الامل الكبير الذي شكله عام ٤٨ ، في تمامه ، ترتسم ثلاث صور على شاشة ذهننا : دار البلدية في ٢٤ فبراير ، قوس النصر في ٢٠ ابريل وقصر البوربون في ٤ مايو .

جنود اليأس

رأيت جنودا يمرون
وجوه الجميع تتألق
اوه ! كم كان النظر اليهم جميلا !
كان هذا ، يا اصدقائي
جيش جنود اليأس !
غوستاف لوروي Gustave Leroy

وداعا ايها الشهداء ! الريح تصفر والزوارق تتماوج
فيكتور هيجو

ان تشكيل مكتب الجمعية ذاته مفيد لمن اراد ان يفهم فكر وفشل الـ ٤٨ في آن معا . ان الدكاترة بوشي Buchey وريكور Recurt — احدهم رئيس والثاني نائب للرئيس — هما متآمران قديمان ، مناضلان مجربان في الجمعيات الجمهورية . والقول بان حماسهما وحميّتهما قد اختفيا يعني توجيه اساءة لهما . لم يكونا متشككين ولا ضجرين مثل ماراست . لكن النجاح السياسي الظاهري لعام ٤٨ قد حجب عنهما المسألة الاجتماعية . والامر يصبح اكثر اثارة للدهشة سيما وانهما قد ساهما كثيرا في توضيح

المسائل الاجتماعية لانهما لم يكونا من اتباع الحكومة ،وقد كانت لهما اتصالات مباشرة مع الشعب : اهتم ريكور بتفان لا يفتر بفقراء ضاحية سانَ انطوان اما بوشيه فقد شكل جمعية عمال الجواهر . اننا نقول ازاء بوشيه وريكور ، بان الرجال يشيخون بسرعة في الحياة السياسية وانهم يصلون في وقت متأخر الى الحكم . في الـ ٤٨ اصبح بوشيه وريكور خائفين :لان الاقتراع العام قد اعلن ، وهما يفكران بان الانصياع لقانون الانتخاب يعني بالضرورة خدمة الجمهورية ، لذلك فانهما سوف يتقربان بشكل خاص الى الملكيين والرجعيين لاطلاق الرصاص دون كبير حياء على العمال الباريسيين . يحتل بوشيه مكانا هاما في تاريخ الافكار الاجتماعية . انه يُعد في العشرينات مؤسس جمعية الفحامين ، بعد ذلك اصبح من انصار سان سيمون ثم تحوّل اخيرا الى الكثلكة ، الا ان ذلك لم يمنعه من ان يبقى مدافعا نشيطا عن الكونفونسيون انه واحد من اولئك الذين يقترحون اتخاذ المسيح قدوة . لقد الّف مع رو لافيرن Roux - Lavergne الذي اصبح راهبا ، كتابا ضخما في اربعين مجلدا عن **التاريخ البرلماني للثورة الفرنسية** . ومع ان هذا الكتاب قد هوجم كثيرا ، فان عدة اجيال من المؤرخين – جيل ميشليه وجيلنا – قد اعتمدت عليه بكثرة دون ان تعترف بذلك كثيرا . انتخبت الجمعية ٦ نواب للرئيس . لقد تحدثنا لتونا عن ريكور . اما كوربون فاننا نعرف القليل عنه : كان عامل الزخرفة كوربون يدير جريدة **الاتوالييه** طوال الاربعينات ، ولقد كان عامل طباعة ايضا وتقلّب في عشرين مهنة ليس لانه بوهيميا بل لان صحته كانت ضعيفة . كان كوربون في ذلك الوقت كاثوليكيا ومن انصار بوشيه : كانت اصوات اليمين ،التي لم يكن يأنفها هي التي حملته الى الجمعية التأسيسية . من هنا ، دون شك بعض مجاملاته لاولئك الرجال الذين كانوا يشكلون حزبا كبيرا للنظام في شارع بواتييه ... كنت قد ذكرت الى اي حد كان عامل النسيج المنتخب عند الرون ، جوزيف بنوا ، يستاء من المرونة الزائدة التي كان يبديها كوربون . ومع ذلك فان كوربون لم يتحوّل مثل بوبين نحو اليمين . كان يتقرب اكثر فاكثر الى الجمهوريين « الشكليين » ، كما كانوا يسمون في ٤٨ – ١٨٤٩

تمييزا لهم عن « الاشتراكيين الديمقراطيين » . ابتعد كوربون عن الكثلكة وانضم الى الماسونية وساهم في ظل الامبراطورية الثانية في الجريدة الفولتارية **اوسييكل (العصر)** . واثناء حصار باريس هزم كوربون هيغو في مركز عمدة باريس . كنا تعرّفنا الى النائب الثالث للرئيس ، المحامي سينار ، ممثل السين السفلى ورأيناه يترأس احتفالا اصلاحيا في روان عام ١٨٤٧ . كان سينار حينذاك احد المتعصبين لاوديلون بارو وكان يحارب في صفوف المعارضة الملكية .

بعد احداث فبراير اكتسى بطلاء جمهوري خفيف وتبنى اتجاه **الناسيونال** . وكما رأينا فقد قمع بشدة ، بصفته نائبا عاما في محكمة روان ، الانتفاضة التي كانت تهدر بين عمال العاصمة النورماندية في نهاية ابريل . كانت الجمعية التأسيسية تتجه اكثر فأكثر نحو اليمين وسوف يلعب سينار دورا مهما في اواخر يونيه . نائب الرئيس الرابع هو الجنرال اوجين كافينياك . النائب الخامس ، غينار ، هو محارب قديم في جمعية « حقوق الانسان » ومتآمر مثل ريكور . كان غينار قد رضع في طفولته حليب الجمهورية : كان والده في عهد حكومة الادارة في عداد الخمسمائة Les Cinq cents . السادس هو الفيكونت دي كورمينان المعروف اكثر باسمه المستعار تيمون . اكتسب تيمون شهرة ايام الملكية البرجوازية عندما هاجم لويس فيليب شخصيا في مقالاته النقدية . كانت ايديولوجية تيمون الجمهورية مطعّمة بالبونابرتية . غير انه اذا كان يحب الامبراطور فانه لم يظهر عنه شجاعة كشجاعة بطله . لقد ابدى جبنا فريدا اثناء انتفاضة يونيه . فهو لم يستطع ان يقول كلمتين في المحكمة الا انه لعب دورا هاما في لجنة الدستور .

اللجنـة التنفيذيـــة

بعد ان اجرت الجمعية تنظيمها الداخلي ، اخضعت كـل فـرد من اعضائها لنوع من الامتحان : كل واحد يعرض بقليل او كثير من النجاح كيف كان يدير الشؤون العامة . كان لامارتيـن ، وهو يقدم كشفا لحسابه النهائي ، لا يضاهى بالطبع . قدّمـت الجمعية بطيبة خاطر ابراء ذمة الى الحكومة المؤقتة ثم عادت عنه بسرعة . كان ينبغي ايضا تنظيم سلطـة تنفيذية تكون هي ذاتها مؤقتة وذلك قبل اعداد الدستور ونشره . وسواء أكان ذلـك ناتجا عن خوف مبدئي من رئيس يتسلّم سلطة كبيرة ، او كـان ذلك نتيجـة ميكيافيلية ـ لم تكـن الجمعية تريد ان تعهد الـى لامارتيـن بسلطـة مهمـة فعـلا ـ فان الجمعيـة تبنّت حلا مشابها لذلك الذي كانت حكومة المديرين قد تبنته . وكما كان في عام ١٧٩٥ خمسة مديرين ، سيكون في مايو ١٨٤٨ خمسةاعضاء يشكلون اللجنـة التنفيذيـة . من هنا اسم « البنتارك » الـذي اطلق بوقاحـة على اعضاء اللجنة .

سجل تشكيل **البنتارشيه** (حكم الخمسة) اول فشـل للامارتيـن . هذا الاخير كان قد سعى ، دون مهارة ولكن باصرار، الى ان يجمع فئات واسعـة من السكان حول جمهورية تقدميـة جدا مسالمة جدا ، شديدة الحرص على ان تعمل مع الجماهيـر لمصلحتهـا . مما لا شك فيه ان السياسة التي نادى بها لامارتين قد لاقت نجاحا كبيرا بيـن الناخبين : كان الشاعر المنتصر الاكبر في ٢٣ ابريل وقد انتخب في عشر محافظات . لكـن مجمل اعضاء الجمعية التاسيسية كانوا يمينيين اكثر بكثير من لامارتين . كانوا يحبون في لامارتيـن الرجل الذي كان قد ابعد العلم الاحمر والذي

لقنّ درســا قاسيا للعمــال المهتاجين في ١٧ مارس و١٦ ابريل. كانوا يقبلون بلامارتيــن كامرأة فاتنة جديرة بان تخدّر كاليبان(١): انهم لا يريدون ان تثار المرأة الفاتنة ذاتها بواسطة ذلك الذيكانت مهمتها ان تجعله وديعــا طيعا . كانوا يريدون لامارتين محاطــا بمعتدليــن ، برجال نظام وبرجال جديين : لم يكــن لامارتين الذي يمدّ يده الى ليدرو رولان مستساغا كثيرا . كان لامارتين يصر على سياســة توازن بيــن الوسط واقصى اليسار حتى امــام هذه الجمعيــة التي تتجه بصفاقــة نحو اليمين . انه لم ينس الخدمات التي قدّمها ليدرو رولان الى الحكومة المؤقتة في ١٦ أبريل : كان يقول في نفسه بان النظام لم ينقذ في ٤ فبراير و١٦ ابريل الا بفضل ليدرو رولان . ولكونه من السادة الكبار ، فان لامارتيــن كــان في شهــر ايار يريــد ان يحكم مع ليدرو رولان الــذي لم يكــن هو ذاته يطلب سوى التخلص من اعباء الحكم . وبكثيــر من الفصاحــة دعا لامارتيــن الجمعية الى ان لا تدمّر اتحادا اعطى كثيرا من القوة للحكومة المؤقتة وأمّن استمرار الوطن . لنقل ان صيغة فبراير قد ماتت على كل حال في مايو ، وان من المؤكــد ان البير ولويس بلان لن يكونا في عداد اعضاء الحكومة الجديدة. كــان لامارتين يحافظ على الصلة بليدرو رولان الذي كان على تخوم الراديكالية والاشتراكية لكــن القطيعة مع لويس بلان كانت دون جدوى . كان لويس بلان قد طالب عبثا امــام جمعيةمعادية بانشاء وزارة للعمل والتقدم . كان البيــر ولويس بلان قد تخليا للتو عن مهامهما كرئيس ونائب للرئيس في لجنــة اللوكمسبورغ — تم ذلك بمرارة وبغضب شديد ايضا وبشكل شبه سري — لكن خطوتهمــا هذه كانت لهــا اصداء مؤلمــة في عدد من المصانــع الباريسية . كان لامارتيــن اذن يستعمل كل نفوذه من اجل ان تفسح الجمعيــة المجال امــام ليدرو رولان للدخول الى اللجنــة التنفيذيــة . كان لــه ما أراد الا ان عددا من النواب اغتاظــوا من

---

(١) كاليبان هو شخصية خرافية في ((العاصفة)) لشكسبيــر وهــو عفريت هائل يمثل القوة المجبرة على اطاعــة قوة علوية (يرمز اليها : ارييل Ariel ولكن القوة الاولى هي ثورة دائمة على الثانية . والمقصود هنــا بكاليبان : الشعب العامــل . (المترجم) .

نوع هذا الانذار الذي اطلقه : لم يقترعوا لا لليدرو رولان ولا لـه وهكذا انتخب معتدلو الناسيونال الثلاثة في الاقتـراع السري باكثريـات كبيرة جدا : فرانسوا آرغو : ٧٢٥ صوتا ، غارنيه باجي: ٧٠٥ ، ماري : ٧٠٢ . بالمقابل لم ينل لامارتين سوى ٦٤٥ صوتـا وليدرو رولان ٤٥٨ صوتا ، انهمـا مـن قبل فـي وضع مزيف قليـلا داخل اللجنة التنفيذية وفي مواجهة الجمعية التأسيسية. كـان الناشر بانيير ، خصم ليدرو رولان واحد اعضاء جماعـة غارنيه باجي ، يمارس مهام سكرتير اللجنة التنفيذية. قررت هذه الاخيرة ، بشكل اخرق ، ان تجتمع في اللوكسمبورغ لقداغضبت بعملهـا هذا البرجوازييـن الصغار والناس الجديين الذين كانـوا يرون في البنتارك ورثة هؤلاء المديرين الذين كانوا قبل خمسيـن عامـا يعيشون حياة محدثي النعمة الفاسدين والباذخين ، اولئك الذيـن بددوا اموال الدولة . من جهة اخرى اثار البنتاركاستياء العمال : فهم باتخاذهم اللوكمسبورغ مقرا لهم على انقاض برلمان الشغيلـة قد بدوا وكأنهم يشيرون الى ان رجال النظام يأخـذون ثأرهم الاول من البروليتاريا الباريسية .

الحكـــومة الجديـــــدة

كان رجال البنتارك هم الذيـن شكلوا الحكومة الجديدة . تولّى ريكور الداخليـة ، والحق به ليدرو رولان وكيلـي وزارة: كارتيري Carteret الذي لعب دورا متواضعا ، جـول فافر الذي كان يتمتع بشهرة كبيرة لانه دافع كمحام ، وفـي ظروف دراماتيكية جدا ، عن ثوار ليون . كان ليدرو رولان يعتقد انجول فافر يمكن أن يمنع ريكور من الافراط فـي الطيبة والليونـة . لكن جول فافر برهن عـن غدر عظيم . (كان يدعى فـي اروقـة الجمعية **قصعة الحليب المسموم**) .ولانه كان احد الاباء الروحيين للجمهوريـة الثالثة ، فانه لا يزال ، وفي ايامنا ايضا ، يتمتـــع بسمعة جمهورية نزيهة كانت قد أثّرت ايجابيـا في ليدرو رولان. على كل حال كان الرجـل يخفي انسانا مراوغا دون استقامةوراء مظهره المهيب الصارم . لقد خدمت فصاحته ونفـوذه فـي ٤٨ الحقد الذي كان الرجعيون يكنونه للويس بلان والبير وكوسيديير . كانت عمليـات النفي التي وجهت ضد الجمهوريين من صنع ذلك الذي وزّعت صورته بكثرة في مدارس الجمهوريـة الثالثـة .

حل الدكتور اوليس تريلا Olysse Trélat محل ماري فـي وزارة الاشغال العامة . كانت شهرة تريلا ، وهو طبيب ومتآمر مثل بوشيه وريكور ، قد بدأت في الحزب الجمهوري بعد ثورة يوليو . لقد كان سلفـا لراسباي في رئاسـة « جمعية اصدقـاء الشعب » . انه لم يكـن قد تخلّى عن نزعته التآمرية وعندمـا آن الاوان اخذ يتآمر ، كما سنرى ، ضد فكر فبراير فقط بالتعاون مع انصار **حرب الشوارع** ومع رجال النظام في شارع بواتييه اكثر مما كان يتآمر لصالح الجمهورية الاجتماعية . زيادة على ذلك لم

تكـن لـه صفات رجل الحكم بايـة حال من الاحوال (١) . كـان فلوكون ، الذي حل محل بتمونت في وزارة التجارة ، يقوم بدور مهم الى جانب تريلا . على ان فلوكون ذاته كان رجـلا تافهـا ؛ لقد كان احد زعماء « الاصلاح » لكنه عندمـا اصبح عضوا فـي الحكومة المؤقتة أخذ يتقرّب الى جماعة الناسيونال شيئا فشيئا الى حد أثار قلق كوسيدير . أعرف جيدا ان كوسيدير ذاته كـان قد اصبح مشبوها بنظـر البير . كنا نجـد الى جانبه اما اكثر الناس رجعية واما اكثرهم ثورية . لكن فلوكون لم يكـن يبـدو على درجة كبيرة من الاستقامة مع رفاقه القدامى في « الاصلاح » وفي يونيه ١٨٤٨ توسط لدى الزاويـة الحرة لكي تنشر بشكل بارز اكثر الثرثرات بلاهة . انتقل المحامـي بتمـونت مـن وزارة التجارة الى وزارة الاوقاف وحل دوكليرك Duclerc محـل غارنييه باجي في وزارة الماليـة . كان دوكليرك ينتمي الى جماعة الناسيونال لكنه كان يحتفظ بديناميته ولم تكن له مرونة غارنييـه باجي القانعـة . وزيادة على ذلك فقد كانت له افكار رزينـة متماسكـة وجريئة حول اعادة تنظيم الماليـة لكنه للاسف لم يتح له الوقت ولم تكن لديه الوسائل لكي يطبقها . أعطي جول باستيد، وهو تاجر خشب قديم « **وفحام** » قديم تحوّل مثل بوشيه الـى الكثلكـة ، وزارة الخارجية . وباستيد هذا هو رجـل خجول ، متصلب وقور وهو غالبا ما يبعث على السخرية . تساءل النـاس كيف امكـن لرجال البنتارك ان يختاروا مثل هذا الرجل المغمور، الاخرق ، الذي تنقصه المهارة ويعوزه الادب واللياقة ، ليتعهـد علاقاتنا مع الدول في لحظة كانت تجتاز فيها فرنسا واوروبـا ازمة خطيرة للغايـة . كان جول باستيد يملـك من القوة والصلابة اكثر ممـا تصور النـاس : لقـد سخـر المؤرخون منه دون ان يعرفوه . ان الدراسـات التي نشرهـا في **المجلة الوطنيـة** ، لم تكن دون فائدة . لقد ابدى برودون دائمـا تعاطفا كبيرا معه . كان تعيينه في وزارة الخارجيـة من صنع لامارتين : هذا التعيين

---

(١) لنقل مع ذلك ان برودون قد تحدث عن تريـلا بلهجة اعجاب ومـودة. وبالعكس فان لويس بلان كان يعتبره عديم الاهليـة ، وتبدو حججه مقنعـة فـي هـذا المجـال .

يفهم بسهولة اذا علمنا ان باستيد كان احد الرجال القلائل في الحزب الجمهوري ممن كانوا يريدون السلام . كان باستيد مقتنعا بانه لم يكن ينبغي ان نجعل من انفسنا رسل الجمهورية المسلحين في اوروبا . كان يريد ان يكون تبشيرنا سلميا خاصة وانه كان مقتنعا بان فرنسا تلهث من جراء حملات الثورة والامبراطورية وانه سيكون من الجنون بدء الملحمة من جديد ! وبما ان باستيد كان جمهوريا لا مجال للطعن فيه ، وبما انه كان يحتفظ بصلات كثيرة مع الشعب ومع الطبقة العاملة ، فان لامارتين اعتبر ان سكان باريس يمكن ان ينصاعوا عن طريقه ، بقليل او كثير من الرضى ، الى السلام . احتفظ كارنو بحقيبة التعليم العام لكن علاقاته بالجمعية كانت سيئة : اذ ان مشروعه لاعادة تنظيم التعليم لم يناقش ابدا ، بشكل جدي. ومهما كان كارنو معتدلا الا ان اعيان الجمعية معادون له لان المذكرة المزعجة التي كان قد حث الشعب فيها على انتخاب « ممثلين بلا تربية » لا تزال مسجلة في تاريخه ! احتفظ كريميو بوزارة العدل وتسلّم الاميرال كازي وزارة البحرية وكافينياك وزارة الحربية . كان كافينياك لا يزال في الجزائر اثناء تعيينه فتسلّم المقدّم شارا Charras وزارة الحربية بالنيابة . بقي ارماند ماراست حاكما لباريس بالرغم من الجهود التي بذلها ليدرو رولان لينتزع منه هذا المنصب الهام . الا ان ليدرو رولان ربح جولة ضد ماراست عندما احتفظ لكوسيدير بمديرية الشرطة .

كانت انتخابات ٢٣ ابريل قد اذهلت القسم المتقدم من العمال الباريسيين . لقد كان مندوبو لجنة اللوكسمبورغ قد اعدّوا بعناية لائحة من الديمقراطيين والاشتراكيين توقعوا نجاحا كبيرا: لم يكن لديهم شك في ان هذه اللائحة ستنال اكثر من مئتي الف صوت . والحال فان اكليركيين مثل كوربون وبوبين قد انتصروا على مرشحيهم دون صعوبة . ان لويس بلان والبير لم ينتخبا كاشتراكيين وانما لان هالة الحكومة المؤقتة كانت تحيط بهما . بل ان البير نال عددا كبيرا من اصوات المعتدلين : في الواقع كان كثير من الناخبين يعتقد بانه ينتمي الى جماعة الاتولييه مثل كوربون وكان آخرون يرون فيه عضوا قديما في

رابطـة العمال ورفيقـا لبرديفييه Perdiguier . كان النجّار اغريكول برديفييه المنتخب التاسع عشر في السين ، كان يدعى « افينيوني لافرتو » Avignonnais La vertu وكان شخصية شعبية وجمهوريا صلبا جدا لكنه عاقل للغايـة ومحافـظ اجتماعيـا . ولكونه وديعا ، امرءا طيبا يؤلف الاغاني احيانا ويحب الكيف فـان برديفييه **الم يكن يتصف بصفة خفافيش الليل التي كانت لالابير** . كان استياء المتطرفين من النقاشات الاولـــى للجمعية الجديدة يتصاعد . هكذا كان بوبين يسخر من لويس بلان وكان البنتارك يرقدون في اللوكسمبورغ ويدفنون المطالب العماليـة في القصر ذاته الذي كانت تسمع فيه قبل قليل : كـــل هذا كان يضيّق الخناق على صاحبنا ميكانيكي لاشابيل .

كان الغضب يتصاعد في اندية راسباي، باربيس وبلانكي ساعـة فساعة . ان كثيرا من العمال كان يتذكّر **نشرة الجمهورية** التـي ظهرت عشية ١٦ ابريل والمقال الذي توقعت فيـه جورج صاند انتخابات مزورة ، انتخابات تزيّفها السيطرة الكلية لاحدى الطبقات ، ذلك المقال الذي تصوّرت فيـه ايضا العقاب الشعبي الذي يلغي هذه الانتخابات فجأة . غير ان اعضاء الانديـــة اي انصار بلانكي وباربيس كانوا يتمتعون بما يكفي من الحس السياسي لكي يدركـوا انهم ليسوا سوى اقليـة وانهم لا يستطيعون مهاجمة الجمعية مباشرة استنادا الى اخفاقهم الخاص والى التربيةالناقصة للشعب . سوف يجري التفتيش عن حجة اخرى للتظاهر امـام الجمعية وحلها اذا امكن : لقـد ظـن اعضاء الاندية ان المسألـة البولونية يمكن ان تكون الفرصة المنتظرة ، اذ ان الشعبالباريسي يحلم دائمـا وبحماس لا يفتر ابدا ببعث هذه الامة التعيسة .

١٥ مايـــو

كان النجاح الكبير الذي لاقاه عيد الاخاء في٢٠ ابريل قـد شجع كل اولئك الذيـن يحبون الافراح الشعبية ، فقد فكـرت الحكومة باقامة عيد ثان حدد تاريخه نهار الاحد في ١٤ مايو . سلمت الحكومة اعلاما الى الحراس الوطنيين الباريسيين في ٢٠ ابريل . وقد اتفق على ان تسلم اعلامـا اخـرى الى الحراس الوطنيين في المقاطعات في ١٤ مايو . أبلـغ مندوبو اللوكسمبورغ انهم لن يحضروا الاحتفال ، نتيجة للحالة النفسية التي كانـوا يعيشونهـا ، فتأجل الاحتفال بسبب ذلك . كانت متاعبالحكومة كبيرة ، خاصة وأن عددا كبيرا من مندوبـي المقاطعـات ، مـن حراس وطنيين واطفائيين وموسيقيين ، قد وصل الى باريس في ١٢ مايو . وعندمـا علموا ان سفرهم كان دون جدوى اغتاظـوا ورفضوا العودة الى بيوتهم دون حضور العيد الموعود كما حاصروا الوزارات . كان فلوكون قد فكر بالتخلص منهم وذلك باعطائهـم بطاقات تسمح لهم مجانا بحضور عرض يقدمه الاوديون ، المسرح التاريخي او فودفيل ، لكنهم وجدوا ان التعويض الـذي يقدمـه فلوكون هزيل . كان ريكور اكثر كرمـا فأعطاهم ضعف بطـاقـات المسرح التي قدمها لهم فلوكون . لكـن هؤلاء القرويين ظلـوا يهيمون على وجوههم على البولفارات ولم يفكروا ابدا في انيسلكوا طريق العودة : وفي النهايـة اثرت نبرتا بلانكي وراسبايالحادتين فيهم اكثر من هزل موسّيه Musset اللبق او في ظرافةراشيل Rachel الشرقية . هناك افراط في الكلام المصطنع عند موسيه وفي حب الاشياء الغريبة عند راشيل كما كان يتصور وبشكـل مبهم اطفائي مونتارجي Montargis ، هذا الاخيـر كـان اكثر استساغة لاسلوب بلانكي ومأساويته : ان بلانكي ثوري اجتماعيـا

ومحافظ جماليا ، انه يكره الاشكال الادبية الجديدة كما انه يكره الرومانسية . لم يكن اطفائي مونتارجـي أو فيكليـد (آلـة موسيقية ، لكـن الكلمة هنـا تعين العازف على الآلـة) مانـز او الحارس الوطني في اميان هم الذين يذرعون وجدهم ، ودون عمل ، جادة غان Gand وجادة المادلين في الخمسة عشر يوما الاول من أيار . كان هناك متنزهون اخرون اكثر اثارة للشفقة ، انهـم المندوبون البولونيون . كان فلوكون وريكور قـد استقبلوا اطفائي مونتارجي على مضض وكان لامارتيـن قد استقبل مندوبي بوزن Posen ولمبـرغ Lemberg بشكل اسوأ . وهكذا تشابكت فورات الغضب . كتب كوسيدير :« كان يقال ، سـوف يترك الوطنيون البولونيون والايطاليون للذبح كما جرى عام ١٨٣٠ . هذه الروايـات بالاضافة الى قصف روان بالمدفعية جعلت الناس يثورون ضد الحكـم » .

ولما لم يحصل البولونيون على شيء من لامارتين ، توجهوا الى الجمعيـة التأسيسية ، حيث كان لهم ليس فقط اصدقاء ، وانما كان هناك احد مواطنيهم . انـه ولوفسكـي ، اقتصادي ليبرالي واستاذ في معهد الفنون والمهن ـ كنا تعرّفنا اليه علـى مقاعد لجنـة اللوكسمبورغ ـ وهو من اصل بولوني . (كان قد انتخب عن السين في ٢٣ ابريل بتفوق) أودع ولوفسكي في ١٠ مايو الى مكتب الجمعية التأسيسية عريضة مقدمة مـن لجـان ، بوزنانيا ، كراكوفيا وغاليسيا الثلاث . قررت الجمعيـة مناقشة شؤون بولونيا نهار الاثنين في ١٥ مايو . اما الاندية فقـد اعدت مظاهرة لهذا اليوم ذاته . سوف نشهد إذن يوما جديدا ، اعادة ليومي ١٧ مارس و١٦ ابريـل .

لم يكن راسباي ، المعتدل نسبيا ، يقترح الا بمظاهرة واسعة تأييدا لبولونيا .

اما بلانكي فانه لم يكن يريد اكثر من التخلص من هذه الجمعية التي كان يكرهها ، غير انه كان يعتبر ، وبحق نوعا مـا ، ان المسألة قد بدأت خطأ : فبدلا من القيام بالتحريض ، كان يـدعو الاعضـاء الاكثر هياجا في جمعيته الى الهدوء . اما باربيس فقد كان مقطبا: نحـن نعرف حقده العنيف على بلانكي . انه يسير بحسرة وراء

مظاهرة يحركها البلانكيون . ومهما كانت المقاصد الخفية والهواجس الكئيبة والتحفظات المتراكمة في ذهن القادة فان الشعب كان يصر على مظاهرته ويصر على التعبير عن حبه لبولونيا وللشعوب المضطهدة . كان رائعا ذلك الموكب التي تألق في ١٥ مايو في الباستيل لكي يسير الى الجادات الكبرى والكونكورد . كتبت دانيال سترند :« موكب من الحشريين الذين يعرضون الواحد منهم للاخر عقاب بولونيا وقيثار ايرلندا وعلم ايطاليا ذو الالوان الثلاثة » . كان كورتاي متفائلا :سوف تقبل الجمعية تشكيل وفد يقدم اليها عريضة ثم يتفرق الشعب كما حصل في ٤ مايو امام قصر البوربون . بيد ان هذه الصورة الملطفة التي رسمها الجنرال كورتاي بتعاطف ، امام الجمهور لم يكن ممكنا مقارنتها مع الوضع . لقد اثار هذا الحشد الهائل رعب الجمعية ، ومن جهة ثانية كان يضم بعض العناصر التي كانت تنزعج لرؤية الهيجان يتصاعد . كان لدى الطرفين توتر عصبي اكثر مما كان يتصور كورتاي الذي كان يرى انه كل ايام الـ ٤٨ كان لها طابع الغزل . اما بلانكي الذي فوجيء بحجم المتظاهرين وتماسكهم فقد تساءل ما اذا كانت ساعة **العصيان المسلح** قد دقت هذه المرة . انه يصيح بصوت جاد : « الى الامام » !. لقد تم اغتصاب قصر البوربون ..

كان ولوفسكي يعتلي المنبر حينئذ . انه ينفخ صوته ويضطر للقيام بكثير من الحركات : كان واضحا ان الدور الذي يضطلع به يتجاوزه : ... كلا ، لم تكن بولونيا ميتة ، كانت تغفو فقط ..

« تحيا بولونيا ! » ضجيج هائل اوقف كلام ولوفسكي الهزيل تماما . اصبح الشعب في القاعة . كان لامارتين غاضبا نتيجة مشادة عنيفة وقعت بينه وبين بعض المتظاهرين على مدخل القصر . ومع ذلك فانه سيحافظ على رباطة جأشه ويهتم مع ليدرو رولان بجمع افواج الحرس الوطني الموالية للبنتارشيه (حكم الخمسة) . بالمقابل ، لم يكن الدكتور بوشيه ، على كرسي الرئاسة ، يظهر اية شجاعة . انه تارة منهار لا يجرؤ على

التفوه بكلمة واحدة او القيام باية حركة وطورا يبدو انه يقبل اقتراحات اعضاء الاندية ويتصرف كأنه ولد صغير . أنّب الرجعيون بوشيه بشدة ، لانه بناء على اوامر الثوار وقع مذكرة يأمر فيها بعدم استدعاء الجنود . مع ذلك قرأ راسباي العريضة : كان صوته كئيبا جدا ومنخفضا جدا . ولئن كان اختار هذه اللهجة في الالقاء فهو ، كما يبدو ، كان يريد بذلك تهدئة المظاهرة . وفيما بعد سوف يقول مدافعا عن نفسه امام قضاة المحكمة العليا :«كنت ارى حولي اناسا قد اصابهم « **دوار الغنم** » وكنت اريد بكلامي الرتيب ان اخفف من هياجهم » . تكلم باربيس بعصبية اكبر من راسباي . لقد قال ،في ١٥ مايو وفي هذا الجو المضطرب،عبارة كان لها صدى مهم : « يجب ان نفرض ضريبة مليار على الاغنياء ، يجب ان نعطي مليارا للشعب » . انهى باربيس مداخلته القصيرة بالدعوة الى الهدوء لكن دون جدوى . هاهو صوت بلانكي يرتفع قاسيا مدويا . ان بلانكي ، الذي يفتن الجمهور ، هو الوحيد الذي يستطيع في هذه الساعة الحصول على الهدوء .

« ان على الجمعية الوطنية ، قال بلانكي ، ان تقرر ان فرنسا لن تغمد السيف الا عندما يعاد تأسيس بولونيا القديمة كاملة ». ثم تابع طالبا العدالة في مذابح روان . واخيرا بحث مطولا في اسباب البؤس وفي تنظيم العمل ». قاطعه صوت ، انه صوت سوبرييه :

— كلا ، ليس هذا هو المقصود . بولونيا . حدثنا عن بولونيا .

انها مقاطعة ذات دلالة : في ١٥ مايو ، هذا ، لم يكن ميكانيكي لاشابيل ولا ابنوسي ضاحية سان انطوان يفكران في المشاكل التي تمسهما مباشرة . ان الميكانيكي لا يملك الا اجرا بائسا والأبنوسي يبيع بصعوبة بعض المفروشات التي يعرضها في الشارع بشكل سري وخجول. ولكن ، ليس الحلم بوضع افضل هو الذي يهدهدهما اليوم . انهما يريدان الا يبقى في اوروبا ملوك ظالمون وشعوب مضطهدة . انهما يريدان ايرلندا حرة ، ايطاليا حرة وبولونيا حرة. « بولونيا ، يابلانكي ، حدثنا عن بولونيا ». ان لامارتين ، بتعيينه باستيد وزيرا للخارجية ، لم يجعل المصنع الباريسي مسالما أكثر. في هذه الجلسة المضطربة ، في ١٥ مايو ، كان باستيد يعتلي

المنبر وكان بصوته الكئيب يستعيد الحجج التي تدعم سياسة معتدلة جدا . لكن كم كانت هذه الحجج قليلة الوزن امام احلام العامل المشبوبة : « كل هؤلاء البروسيين ، كل هؤلاء النمساويين ، كل هؤلاء الروس ، ينبغي تربيتهم بقوة السلاح : ربما يكفون عن قتل البولونيين عندما نمتشق سلاحنا » . وفي الحلم ، كانت صورة نابليون الكبيرة تعود . .

بالطبع وقعت في ١٥ مايو مشاهد عنيفة الى حد ما : هكذا ضايق مبعوث ليدرو رولان السابق الى فالنسيا ، نابوليون شانسيل ــ تحدثت عنه مصائبه في فصل سابق ــ ضايق النائب فروسار الذي خلّ محله في الدروم Drome . مع ذلك لم يكن موقف المتظاهرين بشكل عام حقودا مثل موقف بلانكي : انهم بالاحرى صبية يلهون ويتسكعون اكثر منهم ثوارا يحبون الحرب . هناك شهود عديدون ، بالاخص سفير بريطانيا العظمى في باريس اللورد نورمانبي ، الذي لا يمكن اتهامه بمحاباة الجمهورية الثانية ، هؤلاء الشهود ركزوا على كون المتظاهرين اناسا طيبين . (الكتاب الذي خصصه نورمانبي للثامن والاربعين هو مرافعة ضد لويس بلان وضد الاشتراكية) . دهش اللورد نورمانبي للياقة التي ابداها مجتاحو قصر البوربون : « تنبّه احدهم الى ان الحربة التي كان يتسلح بها تخيف النساء فوضعها بسرعة تحت احد المقاعد . طلب متظاهر اخر بكل تهذيب ان يتيحوا له رؤية لامارتين ، لويس بلان الخ . . واحد اخر كان قد قرأ على مقعد احد النواب اسم جورج لافاييت فقال : « اذن انت ابن الجنرال لافاييت ؟ » ولما اجاب النائب بالايجاب قال : « آه ! أية خسارة حلّت بوفاة والدك المسكين ياسيدي ! لكم كان سيكون مسرورا لو كان هنا » . انهما صاحبانا الاطفائي وعامل الجلود هيوبر Huber ولكي يرى مشهدا ممتعا ، تسلّق اطفائي مونتارجي بطريقة ما الى قاعة الصحفيين حيث اهان فيليبير اوديبران وهو مخبر صحافي مكروه وباريسي متشكك . . كان الاطفائي قد سقط اخيرا خارج القاعة ، لكن بما انه تعود مهنيا على الاوضاع الخطرة وعلى الصعود في الفراغ ، فانه تمكن من التعلق مجددا بقاعة احدى الواجهات ووصل بكثير من العناء الى قاعة الاجتماعات في المجلس . وهناك كان العرق يتصبب منه

وهو محمّر الوجه يقوم باشارات كثيرة وقـــد اضحك غافروش ببذلته الجديدة وذهوله . صفق الجمهور تصفيقا حادا للاطفائي . بعد قليل برز شخص اخر ،اهيف ، أشقـــر ، ميلودرامي اسمـــه بالوزيوس هيوبر (١) . لايزال الكلام كثيرا حول اخلاص هيوبر ونشاطه الحقيقي . كان برودون ، بشكل يدعـــو الى الدهشة ، يبدي تعاطفه معه . واذا كان برودون كلاسيكيا حتى الهوس فان هيوبر بالمقابل مغال في رومانسيته . (الّف كتابـــا اسمه أرق سجيـــن سياسي باسلوب كتابي ضعيف وتقليد لـ لاميني . هذا الكتاب بالرغم مـــن الحشو لا تنقصه الاهمية) . اعلن هيوبر ، الـــذي صدم بلانكي ، بطريقة هزلية وجدية في آن معـــا ان الجمعيـــة قد حلّت . ان هيوبر وهو يأمر الجمعية بالزوال يذكرنا بجيراردين وهو يدعو لويس فيليب الى التنازل عن العرش . صفّق الشعب لهيوبر واخـــذ يستعد ، حسب تقليد قديم ، للذهاب الى دار البلدية لتشكيـــل حكومة مؤقتة . كان باربيس وبلانكي يكرران بنفس الحدة والتشاؤم ما كان لامارتيـــن وليدرو رولان قد فعلاه في ٢٤ فبراير .. وفيما بعد أتهم هيوبر ، وبحق ، بانه جاسوس . ان اتصالاته مع الشرطة امر مؤكـــد . كان هناك تساؤل حول ما اذا كان هيوبر قد تصرف في ١٥ مايو كشخص محرّض وحول ما اذا كان قـــد دعّم بشكـــل واع مخططات ضرب النظام . كانت مغامرة ١٥ مايـــو التعيسة تحرج لويس بلان اكثر فاكثر ، وتختم اتجاه الفئات الهادئة نحو اليمين . ان كون ١٥ مايـــو قد خدم الرجعيين هـــو امر لا يحتـــاج الـــى نقاش . لكننا لا نستطيع ان نثبت أن هيوبر كان مجرد العوبة في أيديهـــم .

ان المشاهد التي كانت تجري في دار البلدية هي اكثر اثـــارة للضحك من تلـــك التي كانت تجري في قصر البوربون . كـــان الكولونيل راي Rey الذي حل محـــل لاغـــرانج يحرس القصر البلدي . راي هذا هو صديق قديـــــم لباربيس . وعندما رأى

---

(١) كان هذا يدعى بول سغري Paul segré وهو رسام ماهر في مونتارجي . ومثله مثل راسباي وبلانكي ، مثل عام ١٨٤٩ امام المحكمة العليا في بورج Bourges حيث قال كلاما مثيرا وساذجـــا.

المتظاهرين يقتربون من دار البلدية ابتسم ولم يبد اية رغبة في اصدار الاوامر لجنوده باطلاق النار . كانت المغامرة التي تورط فيها باربيس تبدو له مضحكة اكثر منها مأساوية :

ـ سأدعك تمر ، قال لباربيس . انك على كل حال تحذو حذو دوبون دي لور ولامارتين في ٢٤ فبراير . واذا كنت ترغب في تشكيل حكومة فافعل ، لكن هذه فكرة غير مألوفة .

كانت الطريق اذن سالكة امام باربيس واعضاء الاندية . عندما وصلوا الى الساحة صعدوا الدرج الكبير باقصى سرعة وانعطفوا نحو اليمين في الطابق الاول .. ولسوف تعيش البلدية لمدة ساعتين حياة مزدوجة : في جزء من البناء ، الجزء الذي يغطس في السين يستمر ماراست ، حاكم المدينة ومساعده ادمون آدم في تصريف الشؤون العادية والحياة تستمر في الشرعية ، في القسم الثاني من البناء، الذي يطل على الجزء الشمالي الشرقي من ساحة الاضراب Place de Grève يجري صنع ثورة بناء على قواعد شائعة . احاط الشعب بالساحة . كان باربيس وبلانكي والبير يقومون بحركات كثيرة من فتحة النوافذ . طرحت اسماء على الجمهور وتشكلت الحكومة الثائرة بسرعة : تم الاتفاق على هذه اللائحة : البير ، لويس بلان ، ليدرو رولان ، هيوبر ، توري Thoré راسباي ، كابيه ، بيير ليرو (مما لا شك فيه ان اسم توري وحده ليس معروفا لدى قرائنا . تيوفيل كان يدير جريدة متقدمة ، **الجمهورية الحقة** La vraie Republique لم يكن توري يهتم بالسياسة وحدها بل بالنقد الفني ايضا . ان « مجالسه » التي نشرت تحت اسم مستعار هو بورجيه Burger لا تعوزها الموهبة وقد كان بودلير يكن لها تقديرا كبيرا . توري هذا هو الذي ساعد كوسيدير على كتابة **المذكرات** التي طالما استشهدت بها) . ماراست ، الذي لم يجد في الوضع خطورة ، شأنه شأن راي ، طلب برفق من سكرتيره ان يتصل بباربيس : « ليضع باربيس حدا لهذه المهزلة في اقرب وقت ، سوف يعتقل بين لحظة واخرى » . لكن باربيس الذي كان يحب الالم ، لم يستمع لنصائح ماراست . اما بلانكي ، وهو اكثر حكمة ،

فقد ترك دار البلدية سرا ... آن الاوان : لقــد وصل الحرس الوطني ، ومرة اخرى ينقذ ابنوسي ضاحية سان دنيس الوضع. كان لامارتين وليدرو رولان علــى ظهري جواديهمــا يخطبان فــي الميليشيا المدنية التي بقيت مواليه . تم ايقاف البير وباربيس . وهكذا استعاد البنتارك السيطرة على الوضع .

الانفراج ذاته في قصر بوربون ان النواب ، الذيــن كانــوا مرتبكين قبل بضع ساعات قد اخذوا يتبجحون الان بعد ان عرفوا انه قد تم التغلب على المخربين .

واذا كان الشعب قد ابدى بعض الرقة منذقليل فانرجالات النظام لا يخفون الان ضراوتهم . عــاد لويس بلان،ثيابه مدعوكــة وشعره ملتصق على جبهته التي تتصبب عرقا . اقام عدد مــن النواب حاجزا من اجسامهم لكي يحموه لان عددا من اعضاءالحرس الوطني سدد بنادقه نحوه كما تعرض الجنرال كورتاي لحــادث من نفس النــوع . كان اعضاء الحرس الوطني قــد استاءوا لان الجنرال لم يحم الجمعية بشكل جدي : انهم مقتنعون بان الجنــرال كورتاي كان متواطئا مع الذين اجتاحوا الجمعية : انهم يصفعونــه وينزعون الشرائط عن كتفيه ويحطمون سيفه : سوف يلقى كورتاي في السجن ويمثل في السنة التالية ، مع من ظن" انهم شركاؤه في الجريمــة ، باربيس وراسباي ، امــام المحكمــة العليا فـــي بـــورج .

مهرجـان الكــونكورد

مع ذلك اقيم المهرجان الذي اجتذب الاطفائي في مونتارجي ـ مهرجان الكونكورد ـ في ٢١ مايو نهار الاحد . لقد اثار من السخرية اكثر مما اثار من الحماس :« سخر الناس من العربة الزراعية ، التي كان ينبغي ان تجرّها ثيران ذات قرون مذهّبة حسب برنامج الاحتفال ، والتي جرّت في الواقع بعشرين من جياد الحراثة ، كما سخروا من الفتيات الخمسمائة اللواتي يتبعن العربة والمكللين باوراق السنديان : لقد سخروا من تمثال الجمهورية ومن الاسوذ الاربعة الذين يربضون على قاعدته ، كما اصرّوا على الاّ يروا في عيد الكونكورد الا تقليدا سيئا لعيد الرب» (دانيال سترن) . كان هناك ملاحظات خبيثة ابداها في الغالب برجوازيون صغار وكبار . واذا كان النظام قد قاطع المهرجان الذي نظمه البنتارك ـ كان غياب الاكليروس ذا دلالة سيئة وان هؤلاء كانوا قد شاركوا علانية في احتفال ٢٠ نيسان ـ فان المقاطعة كانت اكبر في الاوساط الشعبية . يمكن ان نقرأ في جريدا **عامل الام دوشان** ذات المنحى الاشتراكي ، هذه السطور: « لم تذهب الام دوشان الى المهرجان .. ماذا ستفعل وسط الجراب وعربات النصر ، هل تذهب لرؤية متعددي الوظائف التسعمائة (المقصود هنا الـ ٩٠٠ نائب) المكتفين وهم يعرضون حذلقتهم وعجزهم ؟ أفلن تستاء فيما لورأت فتياتنا وهن ينثرن الزهور على هؤلاء ... الموظفين التجاريين ؟ يمكن ان يكون للاعياد سحرها بالنسبة لذوي الكروش المتخمة الذين ينفقون ٢٥ فرنكا يوميا على الاكل ، اما بالنسبة لاولئك الذين يعيشون في البؤس، اولئك الذين يبكون مصير بولونيا ،واخيرا بالنسبة لذوي الشجاعة ، فان ذلك اليوم هو يوم حداد » .

الرجعيـــة

بعد ١٥ مايو مباشرة احرزت الرجعية تفوقا . ترك كوسيدير وانصـــاره الجبليون ادارة الشرطة . وبكثير من اللياقةوالجسارة استقال كوسيدير ايضا من مهامه كنائب في البرلمان . حل محله في ادارة الشرطة تروفيه شوفل ، وهو صيرفي من مانز Mans كان قد بدأ حياته السياسية في كنف ليدرو رولان اما الان فانه يدور في فلـك ما راست . ولما كان الجنرال دي كورتاي معتقلا فانه كان ينبغي ايجاد خلف له : تسلّم كليمنت توما قيادة الحرس الوطني . « كان تومـا هذا معروفا في الحزب الجمهوري بانه احد زعمـاء مؤامرة لوينفيل كمـا يقول ماكسيم دي كامب . وبالاتفاق مع لجنـة جمعيـة حقوق الانسان التي كانت تنشط في باريس، ولكونه ضابط صف في سلاح الفرسان ،فقد حاول ان يجـر رفاقه الى التمرد وان يحرّض الفيلق الرابعوالتاسع والعاشر من سلاح المدرعات في ١٦ ابريل ١٨٣٤ » الا انه اصبح فيمايو١٨٤٨، مثله مثل ريكور وغينار ، متآمرا هادئا يهتم بحفظ الامن اكثر مـن اهتمامه بدفع عربة الجمهورية في الطريق الاشتراكي . لقد ابدى وحشية تجاه الثوار في يونيه : ذلك يفسر اعدامه في مونتمارتر بعـد ثلاثة وعشريـن عامـا في ١٨ مارس ١٨٧١ صبيحـــة الكومونة . وفي البرلمان تشكلت لجنة كان جول فافر مقررها ، للبت فيمـا اذا كان سيؤذن للقضاء بملاحقة لويس بلان . ومع ان جول فافر حصل على اكثرية داخل اللجنة الا انه نال اقليـة في الجمعية . كانت براءة لويس بلان واضحة وكان ماراست يؤكد انه رأى لويس بلان في دار البلدية مبرهنا بذلك عن غدر لا مثيل له . شهادة خطيرة تعني ان لويس بلان قد اتفـق مع باربيس . والحال فان لويس بلان لم يكـن قد غادر محيط قصر البوربون.

استدرك ما راست كلامه على نحو يثير الاحتقار ... ومع ذلك فان لويس بلان لم يحصل الا على تأجيل : بعد حوادث يونيه سيعاود جول فافر الهجوم لكن هذه المرة منتصرا . في رئاسة الجمعية حل سينار ، الذي اصبح احد وسطاء الوحي في القصر الوطني ، محل بوشيه الذي حكم عليه بانه عاجز . كانت قد جرت العادة ان يجتمع حوالي ٢٠٠ نائب من الوسط في القصر الوطني : كان العجوز دوبون دي لور يحضر هذه الاجتماعات. هذه المجموعة كانت ، منذ زمن ، تجد اللون السياسي للناسيونال نافرا جدا . انها لم تكن رجعية مسعورة بنفس الدرجة التي كانت فيها تلك المجموعة التي سوف تلتئم عما قريب في شارع بواتيه ، الا انها بدأت منذ قليل بتخريب سلطة اللجنة التنفيذية كما كانت تكيل الانتقادات لكل من ليدرو رولان ولامارتين . وفي لجنة العمل كان الكونت دي فالو يصر على تغيير المعامل الوطنية لا بل على ازالتها . استعاد اوليس تريلا ،وزير الاشغال العامة الجديد ، وبصحبة غارنيه باجي ، ميله نحو التآمر لمدة معينة وفي ظروف مضطربة ، فقد استدعى اميل توما مدير المعامل الوطنية وطلب منه الذهاب الى بوردو في الحال مضيفا انه في حال الرفض سوف يلقى في السجن . ذهل اميل توما لهذا الامر الاستبدادي الغريب . حل محله مهندس اخر يدعى لالان ، كان واضحا انه يجري التحضير في المجلس وفي الحكومة لعمل ما ضد المعامل الوطنية . ردت الجماهير على هذه الدسائس الخفية تقريبا بتحرك مرتبك : « كان الركود العام يتيح الفرصة امام العمال لينصرفوا الى الاحاديث السياسية ، كان البؤس عظيما في صفوف الشعب وقد قاده ذلك الى الذهاب كل مساء الى البولفارات والساحات العامة ، حيث كان يشكل ما سمي بحق **اندية اليأس** » . (كوسيدير) .

لــويس بونابــرت

في هذا الوقت دخلت الى المسرح شخصية كانت الجمعية قد اهملتها ، غير ان اسمها غالبا ما كان يتردد في اندية اليأس. جرت انتخابات جزئية (١) في السين وبعض المحافظات في ٤ و٥ يونيه . كانت نسبة المقترعين بشكل عام اضعف بكثير منها في ٢٣ ابريل . في السين ، كان كوسيدير ، الذي قام بحملة عظيمة وعرف كيف يدع اكثر المستمعين اريستوقراطية ينصتون اليه برضى ، الاول بين المنتخبين الجدد : ١٤٦،٠٠٠ صوت . كما فاز ايضا : الجنرال شانغارنييه ١٠٥،٠٠٠ ، تيير ٩٧،٠٠٠ ، بيير ليرو ٩١،٠٠٠ ، فيكتور هيجو ٨٧،٠٠٠ ، لاغرانج ٧٨،٠٠٠ ، برودون ٧٧،٠٠٠ صوت . غير انه مهما كانت هذه الاسماء بارزة فان ذلك لم يكن الحدث الفعلي : كان بين المنتخبين الامير لويس نابليون بونابرت ، ابن الملكة هورتنس وابن اخ الامبراطور الكبير ، نال ٨٥،٠٠٠ صوت وانتخب زيادة على ذلك في ثلاث محافظات . في ٨ يونيه كتب برودون في جريدة « ممثل الشعب » : « منذ قليل اعطى الشعب لنفسه كيفا جديرا بالملوك ، ليكن الاخير ان شاءالله ! منذ ثمانية ايام لم يكن المواطن بونابرت سوى نقطة سوداء في سماء ملتهبة ، منذ يومين لم يكن سوى بالون مليء بالدخان ، اما اليوم فهو سحابة تحمل في طياتها العاصفة والصاعقة » . عبرت عربة لويس نابليون بونابرت

(١) كان المواطن حينذاك يستطيع ان يكون مرشحا ومنتخبا في عدة محافظات. بعد ذلك كان يسعى الى ان يختار محافظة معينة . من هنا فراغ المراكز في المحافظات التي انتخبته ومن هنا ايضا تلك السلسلة المستمرة من الانتخابات اثناء الجمهورية الثانية .

على الهوّة التي تفصل بين الجمعية والشعب . فمن جهة ، الشعب يثور في وجه التسعمائة « المتعددي الوظائف » اكثر فاكثر ، ينتفض في وجه نواب اعلنوا الحرب على **الجمهورية الاجتماعية** ، ومن جهة اخرى لم يعد له زعماء اذ ان بلانكي وباربيس والبير وراسباي هم اما في السجن واما فارّون : لهذا السبب اتجه نحو لويس بونابرت . هناك حدثان لهما دلالتهما : ١ ــ قدّم عمال من فيليت Villette عريضة الى مكتب الجمعية يطالبون فيها باعلان لويس بونابرت رئيسا للجمهورية ، ٢ ــ كان هناك اقتراح في الفوج السابع (بانتيون ، سان فيكتور ، سان مارسيل) باعلان لويس نابليون بونابرت زعيما محل باريس. اثار انتخاب الامير لويس بعض الاضطرابات في الجمعية . كان لامارتين يعتقد بوضوح تام ، ان الخطر الاكثر تهديدا للجمهورية يكمن في الحنين النابليوني وكان يعتقد ان هالته وحدها تستطيع ان تنتصر على الهالة التي يتمتع بها الامير لويس . ان لامارتين كان بذلك يبسط المشكلة التي يريد حلّها لانه اذا كان نجم لويس بونابرت يرتفع عند الامة ، فان نجم الجنرال كافينياك كان بالمقابل يرتفع في الجمعية . وفي الوقت الذي كان لامارتين يجهد لوضع كل ثقله في ميزان القدر ضد الامير لويس ، لم يكن يشك في ان كافينياك قد عطل ذراع هذا الميزان . ان الورقة الرابحة التي سوف يلعبها لويس بونابرت هي بالتحديد هذا النزاع الخفي الذي يدور بين كافينياك ولامارتين والذي سوف ينهك الشاعر اولا ثم الجنرال من بعده .

في ١٢ يونيه هاجم لامارتين الامير لويس صراحة (طلب بوشيه عدم قبول الامير في الاجتماع) . كان خطاب لامارتين حقودا ومهتزا . انه خطاب احمق خاصة وان الخطيب كان يحس بان الجمعية لا تنصت اليه . القي الخطاب على دفعتين ، فقد طلب لامارتين تعليق الجلسة متذرعا بالتعب . اعتلى المنبر من جديد وكان يثير الحزن : « ايها المواطنون النواب ، اطلقت عدة عيارات نارية : الاولى على قائد الحرس الوطني في باريس، والثانية على ضابط في الجيش والثالثة على صدر ضابط من الحرس الوطني .. هذه العيارات كان يصاحبها هتاف : **يحيا الامبراطور!**

انهـا قطرة الدم الاولى التي لطخت ثورة ٢٤ فبراير التي كانت باستمرار نقيه ومجيدة » . ثم اقترح لامارتين المحافظة على قوانين النفي التي اتخذت بحق عائلـة بونابرت عام ١٨١٦ وعام ١٨٣٢ . كلام يثير الشفقة ، كل هذا الدم المهرق وكل هذه العبارات النارية التي اعتقد لامارتيـن انه بواسطتهـا يثير موجة من الاستياء ، لا تمت الى الحقيقة بصلـة . اعتقدت الجمعية بحق انه يراد خداعها فثارت لذلك . كان اليمين يفضل لويس بونابرت على لامارتين ، اما اليسار المتطرف فقد تبنى وجهة النظر هذه بدافع الحقد على الموقف الغامض الذي اتخذه لامارتين في الحكومة المؤقتة . اما بالنسبة للوسط ، لاولئك النواب الذين أتيت على ذكر عملهم فـي اجتماعات القصر الوطني ، فانهم ابتهجوا لهذا الائتلاف بين اليمين واليسار المتطرف والذي ادى الى تقويض اللجنة التنفيذيـــة، البنتارشية . رفضت الجمعية اقتراح لامارتين . استقال لويس بونابرت ، بكثير من الحذاقة ، متذرعـا بالصراعات التي اثارهـا وجوده . لقد كتب الى رئيس الجمعية رسالة متعجرفة تليت في ١٥ حزيران :« ان اسمي هو رمز النظام ، الوطنية والمجد وسوف يكون مؤلمـا جدا ان اراه يستخدم في زيادة الاضطرابـــات والتمزقات في الوطن . ولتحاشي هذه المصيبة فان من الافضل ان ابقى في المنفى . اني على استعداد للتضحية بكل شيء من اجل سعـادة فرنسا » .

حل المعامل الوطنيـــة

على ذلك عاد موضوع المعامل الوطنية ثانيـــة . كـــــان البرجوازيون ، صغارا وكبارا ، يتنافسون في شهــر يونيه علــى تراد : « يجب التخلص منها » . انها صيغة مبهمة : التخلص من التحرك الشعبي ، من التردد السياسي الذي يؤدي الى ركـــود الاعمال والى شـــل نشاط الامة . حتى ان امكانيـــة قيام انتفاضة لم تعـــد تثير فزع البرجوازي : انه يقول في نفسه بانه واثق من انه سيتغلب على الانتفاضة هذه المرة وانه في النهاية ، وطالمـا ان هناك حسابا قد فتح بينه وبيـــن العامل ، يجب تصفية هـــذا الحساب مهمـا كلف الامر وفي اقرب وقت . انه تحدي الطبقـة الحساب مهما كلف الامر وفي اقرب وقت . ان تحـدي الطبقـة العاملة في موضوع المعامل الوطنية معناه اختبار تجربة القوة التي سوف توضح الموقف . في ٢١ يونيه صدر القرار المشؤوم : سوف ينخرط العمال المسجلون في المعامل الوطنية . والـذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ و٢٠ في الجيش وسيذهب الاخرون الى المقاطعات، الى سولونيا Sologne او الى لاند ،كي يباشروا اعمالهم في استصلاح الاراضي . لم ينخدع وزير الداخلية ريكور : « ستقوم الثورة نهار غد » : . بالطبع وصل الغضب الى الضواحـي في الحـــــال . « لقد اصبح مفهوما ان الحكومة عازمة على القضاء على حياتنا » قال ابنوسي ضاحية سان انطوان في نفسه . « ان ما ينتظرنا هو الموت من الحمى في مستنقع او الموت على يد بدوي في الجزائر . لذلك يفضل ان يقتل الانسان على احد المتاريس » .

صباح ٢٢ تجمع ١٥٠٠ عامل في ساحة البانتيون وخطـب فيهم ملازم اول في المعامل الوطنية يدعى لويس بيجول . وفـــي اليوم التالي (١٥ يونيه كتب بنفس الصيغـة الكتابـة المرمـوزة والمعقدة التي استعملها هيوبر « نبوءة الايام الدامية » . (سوف يعيش بيجول حياته كمغامر لكنه لم يقم باي عمل سياسي ولن تكون

له مثل هيوبر اتصالات مع الشرطة . كما انه سوف يقاتل في صفوف الياتكيين (الاميركيين) اثناء حرب الانفصال ويموت غرقا عام ١٨٦٦) بعد ذلك ذهب بيجول وبعض من رفاقه الى اللوكمسبورغ وطلبوا مقابلة ماري . نحن نتذكر الديماغوجية التي كان ماري قد استعملها مع فرق العمال في المعامل الوطنية. كان يقول ، قبل شهرين ، في ٢٦ مارس : « آه ! انكم جديرون تماما بهذه الحرية التي نلتموها ، جديرون تماما بان تعيشوا في ظل هذه الجمهورية التي استمتوها ،هذه الجمهورية سوف لن ينتزعها احد منكم هذه المرة ! »

وفي ٢٢ يونيه يقول :

« الا تريدون الذهاب الى المقاطعات ؟ سوف نرغمكم على ذلك بالقوة ، هل تسمعون جيداً ، بالقوة .. »

ايـــام يـــونيـــه

اليـــوم الاول :

الجمعة في ٢٣ يونيه ، وفي الصباح ، بيجول من جديد في ساحة البانتيون . كان الناس يغنون ستتحسن الاحوال : « اوه! ستتحسن الاحوال ، ستتحسّن الاحوال ، سيذهب لامارتين الى المشنقة ، لامارتين سوف يُشنق »

Oh ! ça ira , ça ira , Lamartine à la lanterne
Lamartine on le prendra

تحرك الموكب باتجاه الباستيل حيث كان بيجول يتذكر بمنتصري ١٤ يوليو . كـــان الحشد يتعاظم من دقيقـــة الى اخرى ويهتف : « الحرية أو الموت » وعند الظهر ارتفع المتراس الاول قرب مدخل سان دنيس قاطعا بذلك شارع كليري cléry ، جادة بوندنوفـــل وشارع مازغران . انه يستحق التوقف عنده لانه يحتل مكانـــا هامـــا في التاريخ الادبي والتاريخ الاجتماعي معا . في أعلى المتراس ظهرت « امرأة شابة ، جميلة ، شعثاء الشعر ، فظيعة . هـــذه المرأة التي كانت مومسا ــ اني استشهد هنا بنص لفيكتور هيجـــو واترك لكاتبه تحمل مسؤولية هذا التأكيد الذي يبدو اعتباطيـــا ــ رفعت المرأة ثوبها حتى بطنها وصاحب بالحراس الوطنيين :« ايها الجبناء ، اطلقوا اذا كانت لكم الجرأة على بطن امرأة » . اطلقـــت احدى الفصائل النار على المسكينة فأردتها . سقطت وهي تصرخ عاليا . فجأة ظهرت امرأة ثانية . كانت هذه اصغر سنا واكثر جمالا ايضا ، كانت طفلة تقريبا ، عمرها ١٧ عامـــا على الاكثر . كانت هي الاخرى مومسا ! ومثل الاولى كشفت عن بطنها وصاحت: « اطلقوا ايها الاشرار !» . اطلقت النار . هوت وقد نخرها الرصاص

على جثة الاولى » (فيكتور هيجو ، مشاهــدات choses Vues)
من هم الرجال الذين هاجموا المتراس ؟ انهم رجال الفوج الاول والثاني من الحرس الوطني . اننا لنجد بينهم عدداً كبيراً من تجار الحي وخاصة صاحبنا النسائجي واحد زملائه وجيرانه بائــع الجوخ المسمى لوكليرك Leclerc . هذا الاخير « رأى ابنـــيه الاكبر يسقط بالقرب منه وقد جُرح جرحا قاتلا : نقله الى بيته بمساعدة بعض رفاقه ثم عاد في الحال ليأخذ مكانه في صفوف الفوج ، مصطحبا ابنه الثاني ليحل محل ذلــك الذي كــان قــد اصيب » . (بيير لاغورس) . لعب دو لوكليرك دور الرمــز فــي تاريخ الجمهورية الثانية . في ابريل ١٨٥٠، تجابه الديمقراطيون ــ الاشتراكيون مع انصار النظام في انتخابات جزئية كانت لهــا قيمة الرمز ايضا . قدم الديمقراطيون الاشتراكيون الروائــي اوجيــن ســو Eugène Sue مرشحا عنهم . بمن سيواجهـــه **الاتحاد الانتخابي** للمحافظين الذي كان يعقــد اجتماعاته في شارع بواتييــه ؟

رشح الاتحاد لوكليرك ، بطل النظام ، انه بطل متواضع وذو جدارة بارزة في آن معا . في الاقتراع تغلّب اوجين سو بسهولة على لوكليرك . لكن لنعد الى مدخل سان دنيس : في الوقت الذي سقطت فيه المــرأتان اللتـــان فتنت صورتاهما فيكتور هيجو ، برصاص الحرس الوطني ــ اقول ، مضيفا بعض التحديـــدات الاضافية بالنسبة لهمــا ، كانت كل منهمــا تغطي رأسها بمنديــل مخرّم وتحمل علمــا في اليد ــ في هذا الوقت ظهر في البولفار طابور قوي مؤلف من رجال الدرك، المشاة الخفيفــة ، الرمّاحيــن (القناصة) ومن سلاح المدفعية . كان لاموريسيير Lamoriciére قائد هذا الطابور . دلف هذا الاخير ، الذي كان يريد الانتصار بسرعة على الانتفاضة ، الى جادة سان مارتن وجعل مقر قيــادته في شارع بوندي بالقرب من شاتو دو (قصر الماء) . الا انه اضطر، بعد قليل ، الى التقهقر الى الوراء ونقل مقر قيادته الى مدخــل سان دنيس ، بعدمــا لاقى مقاومة رائعة .

منذ نهار الجمعة ، كان كل الجزء الشرقي من العاصمة في ايــدي

الثوار . ينبغي هنا ان نرسم خط المواجهة ـ هذا الرسم يبقى بالطبع بدائيا جدا ولا يقدم سوى تحديدات ذات طابع تقريبي ـ انه خط المواجهة الذي يعيّن الحدود بين باريس العامل وباريس البرجوازي . يمر هذا الخط بضاحية بواسو نيير ، بكنيسة سان فنسان دي بول ، التي كان بناؤها قد اكتمل للتو ، كما يمر بضواحي سان دنيس ، سان مارتن ، سان ـ انطوان ، وبجزيرة المدينة île de la Cité وشارع سان جاك . يجب ان نتذكر ان جادة ستراسبورغ وجادة ماجنتا وجادة سيباستول وجادة سان ميشال لم تعد كلها موجودة . ان الازقة القديمة لضاحية سان انطوان وحي سان مرّي تشكل العش التقليدي للثورة وهي تحمي الثوار بشكل فعال : منذ نهار الجمعة كان هناك ١٤ متراسا من دار البلدية الى الباستيل و٢٩ من ضاحية سان انطوان وحتى ساحة الترون Trone . هناك واقعة اساسية : لم يستطع الثوار ، رغم كل جهودهم ، السيطرة على دار البلدية حيث بقي ارماند ماراست ، تمكن بعض الجنود من التسلل عبر المتاريس والوصول الى القصر البلدي وحمايته بفعالية . واذا كان الثوار قد اخفقوا امام دار البلدية فانهم بالمقابل كانوا يملكون مواقع دفاعية ممتازة . كانت الحواجز الموجودة وراءهم ـ حواجز روشيشوار ، فرتو Vertus ، لافييت ، لاشوبينات الخ ... والتي تأتيهم منها الامدادات التي تقدمها القرى الواقعة بين حاجز الجمارك والاستحكامات ، هذه الحواجز كانت تشكل حصونا ونقاط اسناد صلبة .

من هي الفئات العمالية التي كانت تغذي الثورة ؟ في ضاحية بواسونيير نجد عددا من الميكانيكيين البعض منهم جاء من لاشابيل : هذه القرية كانت وقتها تضم ٥٠٠٠ عامل معظمهم اشتراكيون . البعض الاخر يعمل في شارع شابرول في مصانع جان فرانسوا كايل . بنى الميكانيكيون متاريس مجهزة بشكل فريد في بليفون بين شارع روشيشوار وشارع ضاحية بواسونيير . لقد تحصّنوا في ساحة مستشفى لاريبوازيير . (نجد هنا منظر الخمارة (اسوموار) ذاته . تبدأ رواية اميل زولا في الاشهر الاخيرة من الجمهورية الثانية . كانت بطلة القصة

جيرفيز تقيم في فندق في جادة لاشابيل بالقرب من حاجز بواسونيير ، وكانت كل صباح تتيه بتظرها الكئيب البائس على حمالات مستشفى لاريبوازيير) . كان سائقو العربات والفحامون وحمالو الميناء يحتلون ثكنة لافييت ، في حي بوانكور كانت المتاريس مبنية بمهارة وبشكل اثار اعجاب الجنرالات الذين سوف يقودون الهجوم انفسهم . دافع عن هذه المتاريس عمال يعملون في مصانع التعدين ، وفي هذا المجال ينبغي ان نشير الى الدور الهام الذي لعبه بعض العمال الفنيين خاصة عمال البرونز الذين كانوا يتواجدون بكثرة في حي "فيل دي كالفير Filles du Calvuir وفي ضاحية التامبل . ان بعض هؤلاء العمال في مصانع البرونز سوف يصبحون ، بعد ١٥ عاما ، رواد الاممية الاولى . وفي ضاحية سان انطوان حيث كانت تقاتل اخر تشكيلات الثورة ، كنا نجد في الغالب اصحابنا النجارين ، الابنوسيين . في المدينة كان عمال احواض السفن وعمال مستودعات الفحم والحطب في سكة حديد اورليان هم الذين يدافعون عن المتاريس . على الضفة اليسرى ، في الدائرة الثانية عشرة (البانتيون) كانت تقاتل عناصر صلبة جدا : انهم لمّامو الخرق في شارع موفيتار وعمال مقالع الحجارة الوافدون من جنتيلي وآركوي Arcueil . لقد دافع عمال المقالع ببسالة فائقة وحتى اخر لحظة عن حاجز « ايطاليا » .

اما كافينياك الذي كان ينبغي ان يفكر منذ مساء الاربعاء بمجابهة الثورة ، فقد اضاع كثيرا من الوقت ، وبالتحديد يوما ونصف ، اذ انه لم يبدأ العمل الا نهار الجمعة في الساعة العاشرة . لقد اعتبر الوزير ريكور والجنرال لامورسيير ان تراخي كافينياك خلال المرحلة التحضيرية للثورة كانت له عواقب وخيمة . كيف يُفسّر ذلك ؟ كان لدى كافينياك من الجنود اكثر بكثير مما كان لدى لويس فيليب . لقد ابدى الحرس الوطني كثيرا من الجرأة في يونيه . هذه الجرأة ذاتها كانت في الغالب مفرطة ، كاشفة بذلك عن عداوة اجتماعية تجد مصدرها في الاجزاء السفلى من النفس : لقد تحوّل المفاوض الى اسد عندما فكر ان امواله هي موضع رهان في الصراع . كذلك كنا نجد عن

جنود الدرك الشبان نفس الاندفاع الذي نجده عند افراد الحرس الوطني . حتى ان الجنرالات والنواب دهشوا لذلك العنف الذي ابداه صبيـة باريس هؤلاء . وحتى اللحظة الاخيرة كان يجري التساؤل حول الطرف الذي يمكن ان يستعمل هؤلاء سلاحهم لمصلحته . كان لاموريسيير يقول ضاحكا : « لقد وضعتهم في المعركة مباشرة واني الان واثق منهم » . كان الجيش النظامي هو الذي ابدى ضراوة اكثر تحفظا في يونيه : لقد اظهر جنود المشاة عن سلبية مطواعة اكثر مما اظهروا من اندفاع . ففي ساحة الفوسج جرّد العمال مفرزة هامة من الفيلق الثامن عشر من سلاحها دون مقاومة . وعلى اية حال كان في حوزة كافينياك قوى مهمة في وجه الثورة لكنه لم يعرف كيف يستخدمها بذكاء .

كان ينبغي ان يكون الحرس الوطني تحت السلاح منذ مساء الاربعاء وكان عليه ان يجوب الشوارع حيث تكمن الانتفاضة . كما كان يمكن لعمل وقائي ان يقلّص حجم هذه الحرب الاهلية الرهيبة . استطاعت ضاحية سان انطوان ان تنظم مقاومتها على مهل نهار الخميس ، دون ان يضايقها البتة حماة النظام . في الدائرة الثانية عشرة ارتكبت نفس الحماقة : كان الحاكم ومساعدوه مقتنعين بأن عرضا ارهابيا للحرس الوطني في الازقة حول البانتيون يمكن ان يثبط بسرعة همة اولئك الذين يبنون المتاريس : رفض كافينياك قبول الاقتراحات المقدمة من قبل سلطات الدائرة الثانية عشرة . ان كافينياك ، القليل الذكاء ، كان يستند باستمرار الى ذكرى فبراير . لم يكن يواجه المسألة في جملتها ، بمظهريها السياسي والاستراتيجي ، كانت اعتبارات الشرف العسكري وحدها هي التي توجه عمله . لم يكن يحتمل التفكير بان يشتت الجنود النظاميون . ويجرّدون من سلاحهم . كان دائما يتصور الوضع المحزن لطابور بيدو صباح ٢٤ فبراير . ان غرق العاصمة كلها في الدم والنار كان يبدو له امرا اقل خطورة من ان يفقد فيلق تماسكه وانضباطه . لهذا السبب لم يكن كافينياك يريد الهجوم الا بحشود عمل ضخمة مترابطة جيدا وملتزمة بمحاربة خصم ينبغي معرفة قواه ووسائله بدقة .

لقد اتاح ، بطريقته المتصلبة في التفكير ، الفرصة للثوار بان يربحوا الجولة الاولى ، وحوّل الانتفاضة الى حرب فعلية. انه كما قلنا ، لم يصمم على مباشرة العمل بشكل صريح الا في الساعات الاخيرة من صباح الجمعة . ما هو مخططه حينذاك ؟.

امر كافينياك بتشكيل ثلاثة طوابير ضخمة . يكون الاول ،وهو الاكثر اهمية – اذ انه يضم ٥٠٠٠ رجل – بقيادة لاموريسيير : انه الطابور الذي رأيناه يتدفق في بداية فترة ما بعد الظهر الى جادة بون نوفل . لقد عهد الى لاموريسيير بمهمة ضخمة : اخماد الانتفاضة من ضاحية بواسونيير وحتى ضاحية سان انطوان . اما الطابور الثاني – بيدو – فسوف يسعى جهده لتحرير دار البلدية. الطابور الثالث – الجنرال داميسم Damesme سوف يصعد نحو البانتيون ويمشط الدائرة الثانية عشرة .

اخذ طابور لاموريسيير على عاتقه عملا مثلثا : ١ – في ضاحية بواسونيير تسعى عدة فصائل ، ليس بدون مصاعب ، لنزع المتاريس التي بناها العمال الميكانيكيون في شارع لافاييت وشارع بيللفون : انها تتقدم قليلا قليلا دون ان تصل الى سور سان لازار ومستشفى لاريبوازيير . وسوف لن تدخل هذه الفصائل الى لاشابيل الا بعد غد ذلك اليوم وبعد معارك مستمرة . ٢ – كانت الفصائل التي يقودها الجنرال راباتيل تقاتل كذلك بصعوبة كبرى في ضاحية سان دنيس ، اما العمل الاكثر عنفا فقد قامت بهكتيبة من رجال الدرك حول كنيسة سان لوران . ٣ – كان لاموريسيير كما رأينا يحاول التقدم نحو ضاحية التامبل . لكننا نعرف انه اخفق عدة مرات في هذه المحاولة. أخطر عدد من ضباط اركان لاموريسيير كافينياك بالصعوبات التي يلاقيها قائدهم ، حينئذ ترك الوزير – كانت الساعة الرابعة – اوتيل دي بريزيدانس وتولى بنفسه قيادة بعض الكتائب . ولما وصل الى لاموريسيير قال له : « خذ ضاحية سان دنيس مهما كلف الامر وسأتولى انا امر التامبل » . دارت معارك عنيفة للغاية في شارع انغولام (الذي يحمل اليوم اسم عامل التعدين والنقابي تامبو الذي اعدمه الالمان : اصبح مركز نقابة عمال المعادن في شارع انغولام). يشكل شارع

انفولام وشارع ترواپورن Trois - Bornes عندما يتمفصلان على شارع سان مور ، نوعا من المفرق (ذو ثلاث شعب) ارتفع عليه متراس ضخم للغاية عام ١٨٤٨ . كان اعضاء نادي « جبليو بيللوفيل» « Montagnards de Belleville » يدافعون عنه .

وكان الثوار يدخلون اليه من شارع تروا كورون (التيجان الثلاثة) وهم يتناوبون ويتموّنون بسهولة . لقد كبدوا مهاجميهم خسائر فادحة وضعت جنراليـن وثلاثمائة رجل خارج المعركة . كان على كافينياك ان يبتعد عن المتراس وهو يتآكل غيظا ... انه يعود الى قصر بوربون ثم الى اوتيل دي بريزيدانس .

جرى مشهد عنيف بين كافينياك وليدرو رولان . كان هذا الاخير يمثل السلطة التنفيذية وحده في البريزيدانس . كان ماري الى جانب ليدرو رولان لكننا يمكن ان نتصور كم كان خائرا رجل مثل ماري في مثل هذا اليوم . (رافق لامارتين كافينياك الى التامبل ، كان اراغو في اللوكسمبورغ ، اما غارنيه باجي فكان يتجول في مركز العمد لكي يشجع المقاومة فيها . وبما ان غارنيه باجي لم يكن يذهب الا الى الاحياء التي كان النظام يسود فيها ، فان تجواله كان عبثا بقدر ما كان هادئا). كان ليدرو رولان اذن يتلقى وحده وباستمرار طلبات النجدة ، وكان الجنرال داميسم بشكل خاص يرسل ضباطا تلو ضباط لكي يطلبوا جنودا ، كتيبة واحدة اذا امكن .. تحمّل ليدرو رولان مسؤولياته بجرأة كبيرة : فقد اصدر امرا الى حكام سين ــ او رواز واللوري والسوم كي يوجهوا الى باريس كل اعضاء الحرس الوطني وكل افواج الاحتياط . كذلك طلب الى الاميرال كازي ارسال بحّارة بريست وشيربورغ الى باريس على جناح السرعة . الا ان ليدرو رولان يعرف كم كان مشبوها بالنسبة لرجال النظام . كان يقع في مأزق رهيب . ان يرسل جنودا الى داميسم دون رأي وزير الحربية ، دون رأي كافينياك ، معناه المخاطرة بتخريب المخطط الذي وضعه هذا الاخير . ومن جهة اخرى فان رفض طلبات النجدة كان معناه التواطؤ مع الثورة . ثم ان رجال الحرس الوطني الذين يدافعون عن النظام يرددون بدون كلل : « ان اللجنة التنفيذية تخوننا » . ونتيجة لذلك

فقد تسلّم وزير الحربية قيادة العمليات وكان على كافينياك ان يبقى في قصر البريزيدانس والا يلعب دورا خبيثا في شارع انفولام . ومع ذلك فان حجج ليدرو رولان لم تؤثر فيه لانه بعد هذا النقاش العنيف انطلق من جديد نحو دار البلدية . كان يريد ان يعرف ماذا حل بطابور بيدو . نحن نعرف رأي توكفيل ببيدو :« كان انسانيا وكأنه لم يخض حرب افريقيا » . لقد ذكرت من جهة اخرى كلاما لتوكفيل عن بيدو اكثر سخرية : « لم اعرف قط زعيما عسكريا بمثل هذا الولع بالخطابة » . كان لاموريسيير متحمسا وهائجا في يونيه ، انه يريد أن يثأر للفشل الذي كبده الشعب اياه في فبراير . كان بيدو كذلك قد اخفق اخفاقا ذريعا صباح ٢٤ فبراير في جادة بون نوفل الا ان نفسه كانت اقل حقدا من لاموريسيير . لقد حاول في ٢٨ يونيه ايضا ان يتفاوض مع الثوار فعقد اجتماعا مطولا في دار البلدية مع ماراست وغينار . كان حاكم باريس ونائب رئيس الجمعية يميلان الى اسلوب القوة اكثر من الجنرال ، فقد كان غينار يثق ثقة مطلقة بكافينياك ويعتقد انه يخدم الجمهورية بضربه للانتفاضة بعنف . واخيرا ، كان على بيدو أن يصدر الاوامر ببدء المعركة حوالي الساعة الخامسة . تتولى فصيلة يقودها ادمون آدم تخليص ساحة كنيسة نوتردام كما عليها ان تنتزع « الجسر ــ الصغير » في البناية التي كانت تضم دكان نوفوتيه عليه لافتة كتب عليها « Les deux Pierrots » . اما الفرقة الثانية وهي بامرة بيدو نفسه فستتولى تحرير ساحة سان ميشال ثم تصعد الى شارع « لاهارب » حيث توافي فرقة ادموند آدم . جرح بيدو في شارع سان جاك ، في زاوية شارع نوايبه Noyers (اي بالقرب من سوق الكرمليين الذي لا يزال موجودا في ايامنا) . كان هناك ٣٨ متراسا في شارع سان جاك . ان الاتصال مع دامييسم مستحيل وكذلك الوصول الى البانتيون . تراجع بيدو الى دار البلدية حيث وافاه كافينياك . كان بيدو قد جرح جرحا بليغا ، انه هائج ومحموم وهو يتكلم بدون توقف . قرر كافينياك استبدال دوقيفيه به وكان هذا قائد الدرك . عندئذ هب كافينياك الى قصر البريزيدانس حيث انطلق للمرة الثالثة حوالي منتصف الليل ليعاود الاتصال بطابور دامييسم .

ركّز دامييسم مقر قيادته في متحف كلوني وذهب للعشاء في

شارع لاهارب في مطعم صغير يرتجف ضوؤه في ليلة بيضاء واضحة جدا ، كانت مختلف الطوابير ،في معارك الشوارع هذه ، محاطة بالحواجز بشكل غريب وكانت هذه الحواجز التي تفصل بينها محكمة السدّ جدا ومتحركة . في شارع الماتوران ، شارع لاهارب ، متحف كونلي : نحن على اطراف شارع نوايبه ذاتهحيث كان بيدو قد وجد نفسه في مأزق قبل ست ساعات . وفيمنتصف الليل كان داميسم في الاماكن التي حاول بيدو عبثا ان يدركه فيها .طوال فترة ما بعد الظهر كان غالبا ما يقاتل في قطاعين : ١ — في شارع ماتوران بالضبط ، في متاهة الشوارع التي تصل الحي اللاتيني بالسين وفي شارع سان اندريه دي آر ومفترق بوسي. ٢ — في الشوارع التي تنحدر من جبل سانت جنفياف وبشكل خاص في شارع موفيتار حيث جرد الثوار سرية من سلاحها . قدّم داميسم اذن عند منتصف الليل صورة قاتمة عن الوضع . عُقد مجلس حربي في الهواء الطلق في زاوية شارع « لاهارب » وشارع مدرسة الطب قريبا جدا من مقهى سوفليه ومن « اوتيل الغرباء » . (اختفى مقهى السوفليه لكن اوتيل الغرباء المعروف بالنسبة لاجيال عديدة من الطلبة لا يزال قائما في جادة سان ميشال وقد عايش كل تحولات الحي) . « غدا سنطرد الثوار باي ثمن» قال كافينياك لداميسم ، حتى ولو نسفنا المكتبة والكنيسة » (اي مكتبة سانت جنفياف وكنيسة سان اتيان دي مون) وبشكل عام كانت ليلة السبت هادئة بالاحرى . كان الجانبان يجمعان قواهما استعدادا لمعارك اليوم التالي . غير ان المؤرخين يغالون في ابراز ذلك الهدوء . كان الوقت في نقطة تحول بين الصيف والشتاءوكان الليل قصيرا وصافيا . لم تهدأ حرب العصابات في عدد من الشوارع خاصة في اطراف دار البلدية . كتبت مدام شارلغارنييه الى ابنها صفحة تعطينا صورة دقيقة جدا عن تلك الليلة . (مدام غارنييه التي كانت حينذاك الانسة باري ، لم تكن قد تزوجت بعد من المهندس الذي بنى الاوبرا ايام الامبراطورية الثانية . كانت الانسة ماري بنتمي الى زمرة من الجامعيين وكانت تقيم في ثانوية شارلمان) « ليلة السبت في ٢٤ ، كان الحراس الوطنيون قد استولوا على متراسين ثم فقدوهما ثم استعادوهما في شارع تيكساندري الضيق المحاذي لدار البلدية . في هذا الشارع البشع

والصغيـر كان الثوار يسيطرون على كل المنازل ويطلقون النار على الحراس الوطنيين من كل الشبابيك والمنافذ . كان الرصاص قد حطم فوانيس الزيت التي كانت تضيء الشوارع الصغيرة حينذاك والتي كانت معلقة من وسطها بالحبال . لكن الظلام كان خفيفا في شهر يونيه حتى ان الضوء كان كافيا لكي يقاتل المرء . كان هناك ٥ قتلى و٢٦ جريحا في سرية ارتور . (المقصود ارتور باري شقيق الراوية . هذا الشاب المولع بالبلاغة والذي كان لهمن العمر ١٨ سنة اراد ان يحل محل والده المريض في الحرس الوطني .كان ارتور باري متعصبا للنظام بمقدار ما كان لوكلرك تاجر الجوخ في ضاحية سان دنيس) وبما انه لم يكن يفصل اعضاء الحرس الوطني عن الثوار الا ارتفاع المتاريس وسماكة الحجارة ، فان الثواركانوا يشتمون الحراس وهم يهيئون بنادقهم ، ولو كانت الاسلحة في ذلك الوقت اكثر دقة والرماة اكثر مهارة فانهم كانوا سيقتلون خالك ،الذي صوبوا البنادق نحوه قائلين له :« خذ ايها الفقير المعدم ذو الوجه الشاحب ،سوف ندعك تصبح اكثر شحوبا برصاصة واحدة » . كانوا يحقدون عليه لان غياب الزي العسكري جعله يبدو كمتطوع . كانوا يصيحون برفيقه الكسندر موجيري الذي كان يلبس نظارة :« سوف نفقأ عيونك الاربعة ! » وكانوا يقولون للسيد برجيه استاذ البلاغة الضخم البدين :« أنت لديك من الكنايات ما يحتاج لاربع رصاصات ! » والى السيد برون الذي كان كبيرا جدا وذو شعر ابيض :« سوف يجد العجوز نفسه متقلّصا » .

اليوم الثاني :

نصل اذن الى صباح السبت ٢٤ يونيه اليوم الثاني للثورة .. لننتقل الى قصر بوربون حيث بدأ النواب جلسة في الساعة الثامنة وحيث ستقع احداث خطيرة للغاية . نحن نتذكر ان مجلس النواب كان ساعة انفجار فبراير يناقش بهدوء تشريع بنك بوردو . وفي يونيه كانت الجمعية التأسيسية تناقش ، في غير اوانه ايضا ، نظام سكك الحديد فيحين كان ميكانيكي لاشابيل يستعد للقتال . وبالطبع لم تكن اولى زمجرات الانتفاضة كفيلة

بتعزيز سلطة النواب الذين كانوا يدافعون عن الدولة ، وهم نادرون على كل حال ، والذين كانوا يريدون ان تحل الدولة محل السرايا العسكرية . كانت الجمعية ، نهار الجمعة في ٢٣ ، قد اوقفت طبعا تطبيق المرسوم الصادر مساء اليوم الاسبق والقاضي بتسريح المعامل الوطنية . لكن فاللو طالب بضراوة ، وبنجاح ، بأن يعتبر مرسوم ٢١ يونيه ساري المفعول . دافع كوربون عن الجمعيات العمالية دون ان يعارض مباشرة شراسة فاللو تجاه المعامل الوطنية . لقد طالب بالترخيص لها وبتشجيعها حتى قبل ان تبت لجنة العمل في امرها . كان كوربون يعتقد ان بادرة ودية من قبل الجمعية تجاه الجمعيات العمالية يمكن ان تهدئ الثوار . ان مداخلته كانت دون جدوى . لم يكن ابنوسيسي سان انطوان ينصت ابدا الى ثرثاري الجمعية . ومن جهتها ، فان الجمعية لم تكن تتمنى ، باكثريتها الساحقة ، الا استمرار الحرب الاهلية : عندما تتحول ضاحية سان انطوان الى ركام من الجثث ، فان نجارينا وابنوسيينا ـ الناجين من المجزرة ـ ربما يشمئزون اخيرا من السياسة . كانت الحكومة قد بدت نهار الجمعة قليلة الذكاء . كان فلوكون قد هاجم على المنبر ، وبشكل مسرحي ، المطالبين بالعرش : بالنسبة له ، ان ذهب آل بونابرت وذهب آل بوربون قد استأجرا بناة المتاريس . غير ان تصريحات فلوكون لم تتوقف عند هذا الحد : لقد ابلغ وزير الاقتصاد ايضا عن **الذهب الاجنبي** . كان هذا يعني اتهام **بريطانيا الغادرة** بشكل غبي . في اليوم التالي قدم اللورد نورما نبي ملاحظات الى وزير الخارجية المسكين باستيد الذي اعلن من جهة اخرى وبشكل مفاجئ للسفير ان فلوكون لم يكن يقصد واقعة محددة : ولسوء الحظ فانه كان يفتش عن كلام كفيل بطمأنة النواب . كان كارتيريه ، وكيل وزارة الداخلية ، يقترح من جهته وبكل بساطة القاء زعماء الاحزاب الملكية والرجعية في السجن . ان مهاجمة مؤامرة يقوم بها الرجعيون كان امرا ساذجا امام الجمعية . كان باستطاعة كارتيريه بدون شك ان يتحدث في هذا الاتجاه في الباستيل او في البانتيون لكن ليس في قصر بوربون . وفضلا عن ذلك فان الجمعية لم تكن تصغي الى ما يقوله فلوكون او كارتيريه منذ يوم الجمعة هذا . كان كثير من النواب يسعى غالبا للتخلص من البنتارك . بدأت العملية بنشاط

صباح السبت ، واثناء افتتاحه للجلسة ، قدم الرئيس سينار صورة متشائمة عن الوضع :

– ان الكثير من المتاريس قد بني من جديد وعزز اثناء الليل ... انه لمن المستحيل ان تأمل في حل الا عبر صراع ضار جدا ...

ضوضاء . علقت الجلسة . في الساعة التاسعة اجرى سينار محادثة مطولة مع كافينياك : خفض الرجلان صوتهما عندما وصل غارنييه باجي وبانيير ، فالاول عضو في اللجنة التنفيذية والثاني سكرتير اللجنة . (لم يكن البنتارك يريدون الاستقالة بطيبة خاطر) . أعيد فتح الجلسة . حينئذ قلب ممثل اللاند ، باسكال دوبرا Pascal Duprat وبشكل مباشر حكم البنتارك . (كان دوبرا بالطبع يستطيع تبرير بادرته بخطورة الوضع . بيد ان موقفه يبقى مثيرا للدهشة لانه اذا لم يكن اشتراكيا ، فهو ينتمي الى الفئة الاكثر تقدما في الحزب الجمهوري ، ان دوبرا هذا ، الذي جعل من نفسه حفارا لقبر الجمهورية في ٢٤ يونيه ، سوف يحكم عليه بالنفي بعد انقلاب ٢ ديسمبر) . قدم دوبرا الى الرئاسة الاقتراح التالي : « تخضع باريس للاحكام العرفية وتتركز كل السلطات في يد الجنرال كافينياك » . ظهر بعض التردد في الجمعية . رفض توكفيل ، وهو ليبرالي متصلب ، ان يصوت مع الاحكام العرفية . (انه يؤنب نفسه في مذكراته لامانته الكبيرة لمبادئه) . ومع ذلك حل باستيد محل دوبرا على المنبر :

– باسم الوطن ارجوكم ان تنهوا مداولاتكم وان تقترعوا في اسرع وقت ممكن : ربما تسقط دار البلدية خلال ساعة .

يروي توكفيل بتأثر ان باستيد ، وهو يلفظ هذه العبارة ، كان يبدي سموا وبساطة انتصرا مباشرة على كل المماطلات ... اقرّت الجمعية اقتراح دوبرا . اقترح جول فافر ، المعروف بخبثه الدائم وحبه المستمر للانتقام ، مادة اضافية صيغت على النحو التالي : « تتوقف اللجنة التنفيذية فورا عن القيام بمهامها » .

تدخل دو لكليرك ضد التعديل :

ــ لقد صوّتنا على اجراء من اجل السلامـــــة العامة .
اطلب اليكم الا تثقروا حقداً .

كان البنتارك في حالة ذهول . بماذا قصّروا ؟ بماذا اعاقــوا عمل كافينياك ضد الثورة ؟ انهم يستقيلون دون ان يفهموا جيــدا المصيبة التي حلّت بهم . لم يكــن غيزو يريد سماع الهتافات التي اطلقها اعضاء الحرس الوطني ضده : « يسقط غيزو ! يحيـــا الاصلاح ! » ان اعضاء الحرس الوطني هؤلاء انفسهم يهتفون الان : « يسقط لامارتين ! تســقط اللجنة التنفيذية ! يحيا كافينياك » ! لم يكن لامارتيــن قد سمعهم ايضا . وبمــا انهم نسوا كافينياك بسرعة فانهم سيهتفــون قريبا :« يحيا نابليــون ! يحيا الامبراطور ! » كــان النواب يعتقدون ان ابنوسي ضاحية سان انطوان لا يُحكم بسهولة . كــان يمكن الرد عليهم بأن نسائجي ضاحية سان دنيس ، الــذي اسقط ، خلال الاربعينات ،ثلاثة انظمة سياسية لم يكــن كذلك من السهل ارضاؤه . اذا كانت اللجنة التنفيذية قد اختفت اثناء ثــورة يونيه فان الحكومة بالمقابل ظلّت تمارس اعمالها . لم يكــن كافينياك يريد حدوث ازمة وزاريــة في الوقت الذي كان المدفع يدوي في العاصمة . (سوف نرى انه ، ما ان هزمت الثورة حتى عدّل الوزارة باتجاه يلائم حزب النظام) لكن لنعد الى المتاريس .

تميّز اليوم الثاني للثورة بمعــارك دامية . لم يتخذ الجانبان اي قرار في هذا اليوم .

١ ــ **القطاع الشمالي** : لم يستطع الجنرال ليبرتون ، الــذي كــان علــى رأس اعضاء الحرس الوطني النفــاذ الى سور سان لازار ولا الى ساحات مستشفى لاريبوازيير . في ضاحية ســـان دنيس ، سجل لاموريسيير بعض النجاحات : فقــد ازال ، بعـــد عدة هجمات ، المتاريس التي بُنيت على محاذاة معامل كافيه ، غير انه لم يتمكــن من اخضاع ضاحية التامبل . ٢ ــ قطاع دارالبلدية: سعى دوفيفييه ، شأنه شأن بيدو ، الى التفاوض مع الثوار لكــن

اللقاء لم يعط ايـة نتيجة . احرز الثوار بعض التقدم : لقد استولوا على مقـر حاكم الدائرة الثامنة (قرب ساحة فوسج) وعلى مقـر الدائرة التاسعـة (بالقرب من كنيسة سان جرفي) . انهم اذن على بعد بضع خطوات من دار البلدية . من هنـا صيحة الانذار بالخطر التي اطلقهـا باستيد في الجمعية . كنت قبل قليل قد ذكرت انـه تم تجريد كتيبة تابعة للفيلق الثامن عشر من سلاحها في ساحـة الفوسج . ٣ ــ **قطاع الضفة اليسرى : وصل** داميسم الى ساحـة البانتيون ، كمـا تمكـن رجال الدرك من الاستيلاء على كلية الحقوق . انهم يقصفون البانتيون والسانت جنفياف . حتـى ان الكنيسـة قـد خدشتها بعض القنابل . وفي بدايـة فترة مـا بعد الظهـر سقط مقر حاكم الدائرة الثانيـة عشرة . انتقل داميسم في الحال الى شارع استربـاد القـديمة Vieille estrapade ، حيث اصيب بجرح قاتل . لقد اعلن الى النائب فاليت الذي جاء يصافحه فـي السرير الذي كان يحتضر فيه : « لقـد أديت واجبي ، قل ذلـك للجمعيـة » .

تسلّم الجنرال بريا Bréa قيادة طابور داميسم وفي آخر ساعة من المساء ، تم طرد الثوار الى حواجز الانفيـر Enfer وفونتانبلـو .

كان المساء كئيبا في الجمعية . كان نـواب اليسار واقصى اليسار ، الذيـن لـم يتركوا قصر بوربون ــ خشية اتهامهم بالتواطؤ مع الثورة ــ كانوا يقولون في انفسهم إن الجمهورية قد انتهت . اما في اوساط اليمين فكان هناك شك في مواهب كافينياك العسكرية . جمع تيير قرابة ۳۰۰ نائب ينتمون الى يمين الوسط واليمين . كان قد اقترح في ٢٤ فبراير على لويس فيليب ان يترك العاصمة ثـم يستعيدها على رأس ٦٠،٠٠٠ جندي ، نحن نتذكـر الرجفة التي اصابت دوفرجيه دي اوران وهو يسمع هذا الكلام . فـي ٢٤ ، اقترح كافينياك مشروعا من نفس الطراز وحث النواب على الانسحاب الى بورج . جاء كافينياك فجـأة :« اذا استمر تيير فـي ذلـك فسوف اعدمه رميـا بالرصاص » . بقي تيير موسوسا بفكـرة استعادة باريس : كان عليه ان ينتظـر حتى ربيع ۱۸۷۱ كي يحقق امنيتـه .

القطاع الشمالي : احتل ليبرتون اخيرا سور سان لازار ودخل لاشابيل . غير ان لاموريسيير لم يسجل سوى قليل من النجاح على ضفاف قنال سان مارتن : كانت المعارك غامضة مما جعل الجنرال غاضبا تماما . حتى انه ارسل مذكرة الى كافينياك تدل على انه فقد صوابه : بين اشياء كثيرة طالب بايقاف لالان مدير المعامل الوطنية . بعد الظهر توصل الى السيطرة على ضاحية التامبل وفي المساء احتل الاطراف الشمالية ــ الشرقية من الباستيل .

في قطاع دار البلدية بقيت المقاومة العمالية ضارية جدا . كانت حكومة ثورية صغيرة تعمل ، في مركز حاكم الدائرة الثامنة، تحت امرة لاكو للونج Lacollonge رئيس تحرير جريدة تنظيم العمل . من جهة اخرى ابدى الميكانيكي راكاري Racary ومتعهد البناء (نجار باطون) Desterat ديستيرا نشاطا ذكيا في ضاحية سان انطوان ... هل سينتصر الدرك وجنود دوفيفييه النظاميون على جنود لاكوللونج ، راكاري وديستيرا غير المدربين؟ شكل الجنرال فصيلين ينبغي ان يلتقيا في الباستيل : الاول بقيادة الكولونيل رينيو وعليه ان يمر في سان جرفي وشارع سان انطوان، والثاني بقيادة دوفيفييه نفسه وعليه ان يتبع ارصفة نهر السين وضفاف قنال مارتن . استولى رينيو بعد جهد على مقر حاكم الدائرة التاسعة (سان جرفي) ثم سقط صريعا في الحال على يد ثائر كان يستجوبه . حل الجنرال بيدو محل رينيو . اخيرا اصبح مقر الدائرة الثامنة تحت سلطة الجنود النظاميين في الثالثة من بعد الظهر . في الساعة الرابعة وصل الفصيل الى الاطراف الغربية للباستيل . اما دوفيفييه الذي كان على رأس الفصيل الثاني فقد اصيب اصابة قاتلة في ساحة غريف (الاضراب) Grève على محاذاة جسر لويس فيليب . برهن دوفيفييه اثناء احتضاره عند وضوح نبيل . كان يُردد : « يجب ان نؤمن عملا لهؤلاء العمال المساكين : ينبغي ان تفتح الامة يدها لهم . » . حل الجنرال نفرييه محل دوفيفييه : بعد معارك طويلة جرت على

رصيف اورم وعلى طول ثكنتي اف ماريا وسيلستان وصل نفرييه بدوره الـى اطراف الباستيل . « العلم الاحمر يرفرف على عمود يوليو (١) ؛ متراس ضخم يسد الساحة التي تمتد من بولفـار بوردون حتى شارع جان بوزير وتتصل بخط المتاريس الـذي يطوّق بولفار بومارشيه ، شارع روكيت ، شارت ضاحيـة سان انطوان وشارع شارنتون » (شارل شميدت) (٢) .

كان نفرييه ، الذي وصل الى الباستيل من الجنوب ،يسعى الى موافاة بيترو الذيكـان يتبع شارع سان انطوان ويدخل من الغرب . انهار نفرييه بدوره وسقط بيـن ذراعي الوزير تريـلا الذي كان يرافقه . لقـد قتله الجيش النظامي :

« لقد قتلني احد الجنود » قالها وهو يهوي علـى تريلا . اصابت الرصاصة التي ضربت نفرييه هدفين : لقد اصابت فـي الوقت نفسه النائب شادبونيل اصابة قاتلة . وعلـى هامش العمليات العسكرية وقعت حادثة دراماتيكية جدا نهار الاحد في ضاحيـة سان انطوان . سوف نتحدث عنهـا في فصلنا عـن المتاريس : ذهب مطران باريس المونسنيور آفر ، الذي لم يستطع احتمال هذا التذابح بيـن ابناء ابرشيته ، الى ساحة المعركة وقدم نفسه كوسيط بيـن الثوار والجنود . هوى برصاصة اصابته في خاصرته . وبالطبع فقد استُغِل موت المطران ضد الثوار : ومع ذلك فانه يبدو ان المطـران قد سقط ضحية احد رجال الدرك .

يمكن ان نفهم دون عناء ان المونسنيور آفر كان يدير وجهه الى الثوار اكثر منه الى جنـود النظام : كـان يتوسل الى الثوار ان يتوقفوا عن القتال . ان كونه قد أصيب من الخلف يثبت كمـا يبدو ان المونسنيور آفر كـان ، شأنه شأن نفرييه ، ضحية سوء

(١) عمود من البرونز يبلـغ ارتفاعه خمسين مترا في ساحـة الباستيل وهـو نصب تذكاري لثورة ١٨٣٠ . (المترجم)

(٢) ان كتاب شارل شميدت الصغير ، « ايام حزيران ١٨٤٨ » ، باريس ، هاشيت ١٩٢٦ هو كتاب موجز وحي وقد استعملته كثيرا (المؤلف)

تفاهم .

في القطاع الثالث ، على الضفة اليسرى ، يعوّل الجنرال بريا ، الذي يتصرف بالفي رجل ، على فصاحته اكثر من مدافعه من اجل اتمام عملية اعادة السلام الى الدائرة الثانية عشرة وكذلك من اجل احتلال جنتيلي وآركوي . ذهب كمفاوض الى الحواجز التي تحد الدائرة الثانية عشرة وهي حاجز انفير Enfer حاجز سان جاك وحاجز الصحة Santé . كان يقول كلاما مطمئنا فاستقبل الكلام استقبالا حسنا . ولما وصل الى حاجز « ايطاليا » تجاوز الحواجز المشبكة دون كثير من الحذر . « ادخل ، قال له العمال ، وسوف لن يمسك سوء » . ومع ذلك فانه ما ان اختلط بريا بالجماهير الشعبية التي كانت تهدر غضبا حتى شتم ، وجر في جنتيلي من حانة الصالون الكبير حتى المركز الكبير Grand poste هذا المركز الاخير هو نوع من محطة تقع على الطريق من باريس الى فونتا نبلو ، واخيرا اعدم رميا بالرصاص .

مساء الاحد ، كان الوضع لا يزال خطيرا بالنسبة لكافينياك ، غير انه كان واضحا ان الثوار لا يستطيعون كسب المعركة . كان اعضاء الحرس الوطني في المقاطعات ، الذين استدعاهم ليدرو رولان ، لا يزالون يتوافدون علي باريس . (لم يدخل العمل منهم الا الحرس الوطني في آميان Amiens الذي كان يقاتل في لافييت) . مما لا شك فيه ان عناصر عمالية حاولت جاهدة اعاقة وصول هذه التعزيزات . وهكذا فان خطوطا حديدية قد عطّلت وقطارات قد اوقفت في اسون وكورباي . الا ان الحكومة حافظت بشكل عام على الصلة مع الاقاليم : تم التنبؤ مثلا بأن المزارعين الضخمين النورمانديين لا يريدون سوى تلقين الثوار الباريسيين درسا قاسيا . كان بامكان ابنوسي ضاحية سان انطوان ، نهار الجمعة والسبت ، ان يأمل في ان تحذو المدن الكبرى حذو باريس ، وان تثور ضد جمهورية كاريكاتورية . لكن ليون بقيت هادئة ، وفي مرسيليا وحدها وقعت بعض الصدامات الخطيرة . لقد ابدى اميل اوليفييه في حينه كثرا من الصلابة الممزوجة بالنبل . مساء الاحد ، فقد صاحبنا الابنوسي ، المتحصن

في موقع الباستيل ، كل امل اذن . اقترب جيش النظام من الحواجز : وحدها الاحياء الموجودة بين الباستيل وساحة الترون هي التي تجابه الحكومة من الان فصاعدا . (كان بعض فلول الثورة يقاتل ايضا في لافييت ولاشابيل) . صباح الاثنين كان الوضع حرجا في الباستيل سيما وان الثوار لا يزالون مهددين من الشرق . كان امامهم من الجنوب حتى الان العناصر التي كان دوفيفييه قد قادها ، ثم نغرييه من بعده ، وفي الغرب طابور برو وفي الشمال طابور لاموريسيير . والان اصبح امامهم طابور ليبرتون الذي تدفق على ساحة الترون من فنسان ، مداهما اياهم من الخلف . كانت معارك الساعات الاولى من صباح الاحد مشتتة ومتفرقة اكثر بكثير من تلك التي وقعت في الليلة الماضية والليلة التي سبقتها . مما لا شك فيه ان الثوار قد قاتلوا حتى اخر رجل في بعض المتاريس . لكن كان يجري تفاوض في الغالب ، وينتصر العمال ، الذين يقترحون الاستسلام ووقف اطلاق النار ، على رفاقهم الباقين . كانت هناك مفاوضات معقدة ومستمرة بين الجنرال بيرو وبين محاسب التجهيزات في الفوج الثامن وهو رئيس تحرير سابق لجريدة الفجر المتصاعد Progressif de l'aube ويدعى ريمون دي مينار Raymond de Ménards . كذلك استقبل الرئيس سينار مبعوثين عن الثورة . ان كثيرا من النواب ، لارابي ، دوري ديفو Duret Desvaux ، غالي كازالي من بينهم ، الذين كانوا يريدون وقف اراقة الدم ، كانوا يجهدون لايجاد مجال للتفاهم ، كما كان كثير من الثوار قد سلّم اسلحته قبل ذلك في مقر حاكم الدائرة الثامنة . في الواقع ، ان الابالسة المساكين الذين كانوا يسعون الى الاستسلام في شروط مشرفة ، قد خدعوا . كان سينار بدون شك صادق النية وهو يتحدث عن العفو . لكن كافينياك — الديكتاتور الجديد — وحده كان يعرف المصير الذي يخبئه للمهزومين . ان كافينياك لم يكن يعوزه الميل الى الفصاحة ففي ٢٤ يونيه كان قد وجّه نداء عطوفا للثوار : « القوا اسلحتكم التي تقاتلون بها اخوتكم ... ان الحكومة تعرف انه يوجد بين صفوفكم اخوة مضللون » . في ٢٦ وجه نداء جديدا : « لتحل اللعنة علي اذا كنت ارى في باريس الا ضحايا وليس منتصرين ومهزومين » . ان كافينياك منافق ، فقد بدا في

اليوم ذاته دون رحمة تجاه الثوار المحاصرين في الباستيل :«اريد اذعانا كامـلا » ،هكذا كان يقول لـ لارابي الذي كان يحيط بـــه اربعــة مندوبيـــن عن ضاحيـــة سان انطوان . « سوف أعطي هدنة حتى العاشرة صباحا . (من جهة اخرى لم يقبل بموعد الساعـة العاشرة الا بمشقة كبيرة . كان في البدايــة قد اعلن ان النـــار ستفتح من جديد في الساعة الثامنة . غير ان المندوبين لم يكن لديهم الوقت ، عمليا ، لكي يخبروا رفاقهم بذلك) . اذا لم تسلموا انفسكم لنـا اذن في الساعــة العاشرة فان الجيش سيقتحـــم معسكركم بعنف » . دقت الساعة العاشرة . سادت المتاريس حيرة كئيبة . ولان بيرو ارق قلبا من كافينياك فقد تأخر في فتح النـــار واعطى مهلـــة عشرة دقائق للثوار . تقهقر هؤلاء بسرعة . وهكذا ازال الجنود الـ ٦٥ متراسا التي اقيمت بين الباستيل وساحـــة التـــرون .

في الحادية عشرة والثلث كان سينار يدخل مبهورا وعلـــى عجل الى غرفة الاجتماعات في قصر بوربون

ايها الحجّاب . اذهبوا وفتشوا عن كـل النواب ، دقـوا الطبول ، اذهبوا الى كل مكان . أوه ! كم انا سعيد ! اشكروا الله . اشكـروا اللــــه .

وعندما عرفت الجمعية باستسلام ضاحية سان انطـوان ، هتفت :

ــ تحيا الجمهوريــة !

قل ان تكون هناك صرخة أقل صدقا من هذه الصرخة . واذا كنا نريــد وضع قائمة بأولئك الذين أدّبوا البروليتاريا المتمردة في فرنسا في القــرن التاسع عشر ، فان كافينياك يعد بين الاوائل . انا لا اقول الاول لان تيير عرف كيف يبدو أكثر شراسة من كافينياك عام ١٨٧١ . لقد اطلق برودون على كافينياك اسم **شارل الجمهورية التاسع** . وكما يبدو فانه لم يقتل في المتــاريس سوى اربـع او خمسمائة ثائر ، لكن رجال الدرك والجيش النظامي قتلوا اكثر مـــن

ثلاثة الاف بعد المعركة ، كما تم اعتقال ١١٦٧١ رجلا .

كان هناك بعض الاحكام بالاعدام وبعض الاحكام بالاشغال الشاقة . لكن الاحكام التي صدرت كانت في اكثريتها احكاما بالنفي . اصبح الكثير من العمال مستعمرين (بكسر الميم) رغما عنهم . كتب برودون « آلاف العائلات ذهبت الى الجزائر كانت ترسل لتسمّد الارض الافريقية بأجسادها من اجل ملاك اخرين في المستقبل » . ينهي كوسيدير مذكراته بقصة ايام يونيه ، هذه الحكاية المتحفظة مع ذلك . انه يستعير الكلمات الاخيرة في كتابه من بيير بيرو . في يونيه ١٨٤٨ ، وامام كثير من الوحشية، قال بيير بيرو بكل بساطة :

انها اهواء ، اهواء ، دائما أهواء !

المنتصر الحقيقي في يونيه

تنتهي روايتنــا الخاصة بينما يسقط اواخر المــدافعين عن متاريس لافييت والباستيل وبينمــا يُحشر **جنود البأس** فــــي مازاس Mazas وفنسان قبل حجزهم في جوار قسنطينه . في الصفحات الاولى من هذا الكتاب دوت صيحة « يسقط غيزو !يحيا الاصلاح ! » التي اطلقها معا كل من نسائجي ضاحية سان دنيس وابنوسي ضاحية سان انطوان وميكانيكي لاشابيــل او شايـــو chaillot بعد اربعة اشهر يصرخ النسائجي :« تسقط اللجنة التنفيذية ! يسقط لامارتين ! يحيا كافينياك ! » اما الابنوســــي والميكانيكي فهمــا صامتان ، لقد هزمهما النسائجي . وعندمــــا صعــد باسكال دوبرا في ٢٤ يونيه الى منبر قصر بوربون ليرسم كافينياك ديكتاتورا ، كان بذلك يلعب دورا مشابها لذلك الــدور الذي لعبه اوديلون باروفــي ٢٢ فبراير عندما طالب بوضع غيزو موضع الاتهام . اوديلون بارو ، ملكــــي مخلص ، يدمر عرشا . باسكال دوبرا ، جمهوري متحمّس ، يقوض الجمهورية . وكمــا يقول برودون مستعملا استعارة مزدوجة ، تافهــة وجريئة ، فان سيف كافينياك ظهر على مسرح التاريخ في ٢٤ يونيه . وعندمــا هدد هذا السيف بالحرب اسدل الستار على ثورة فبراير . لكــن هل ينبغي ان يعتبر كافينياك ، الذي اصبح ديكتاتورا بفضــــل اصحاب الحوانيت ، نفسه منتصر الثامن والاربعيــن ؟ عندما تم قمع الثورة تنازل رسميا عن سلطاته امام جمعية اعادتها له فــي الحال : سوف تبقى الاحكام العرفية حتى ٢٩ اكتوبر . وفي الوقت الذي كان كافينياك يخدع الجمهوريين المتصلبين ، اتباع جــورج واشنطن الخمولين Les Washington sans ambitioz ،كان يرضي اليمين عندما عدّل الوزارة . حل سينار محل ريكور فــي وزارة

الداخليـة كمـا حل غودشو محل دوكليرك في وزارة الماليـة . اصبح لاموريسيير وزيرا للحربية ، ماري وزيرا للعدل ، آرماند ماراست رئيسا للجمعية وشانغرنيه قائدا للحرس الوطني . كان المهم الاول لماري ، كوزير للعدل ، ان يلاحق الزعماءالديمقراطيين والاشتراكيين ، وبعد جلسة صاخبة قررت الجمعية ملاحقة لويس بلان وكوسيدير اللذين ذهبا الى المنفى . ضرب ماري الصحافـة الفقيرة والصحافة الجمهورية وذلك باستئنافه العمل بقانـــون الكفالـة الصحفيـة .

في ٤ نوفمبر صدر الدستور الذي كانت الجمعية قد اعدته وناقشته خلال الصيف والخريف . كانت الجمعية قد قررت ان السيادة الوطنية تعبر عن نفسها بطريقتين : من جهة ، يختـــار الشعب « جمعية تشريعية » وحيدة . (لست بايـة حال مدافعـا عن مجلس الشيوخ . لكن ربمـا كـان يمكـن لجمعية اخرى عام ١٨٤٨ أن تؤمن بعض التوازن للحياة السياسية . كانت الجمعيـة التأسيسية مطلقة الصلاحيات ومعطّلة في الوقت نفسه . امـا الجمعية التشريعية التي انتخبت عام ١٨٤٩ فلم تعرف مطلقا كيف تتصرف تجاه السلطـة التنفيذيـة وتجاه رئيس الجمهورية .

تارة تبدي كبرياء احمق ، وطورا تبدي ذلا يثير الاشمئزاز . بعـد ٢٥ عامـا لم يكـن غامبتا قد نسي بعد الدرس التعيس الذي اعطاه هذا المجلس الاوحد : من هنا قبوله بمجلسين ، ومن هنـا جهوده التي بذلهـا لايجاد مجلس الشوخ الـذي سمّاه **مجلس العموم الكبير في فرنسا** Le grand Conseil de communes de Frace المجلس الذي تم انشاؤه كاداة للتربية الجمهورية) .من جهةاخرى يختار الشعب رئيس الجمهورية . الجمعيـة والرئيس يستمدان سلطتهمـا من الانتخاب العام، فكيف يمكن تسوية النزاعات التـي يمكـن ان تنشأ بينهمـا ؟

رشّح كافينياك نفسه لرئاسة الجمهورية . كانت السلطـة الاداريـة بيده : فهـو لم يجـد حرجا في انهاكها وتجاوزها ! كان يجهد نفسه في كسب الشعب وهو يقدم نفسه كجمهوري اصيل،

لقد اعطى لحكومته طابع **يسار الوسط** عندما عيّن دوفور في وزارة الداخلية وفيفيان في الاشغال العامة . (حل الاول محل سينار والثاني محل ريكور) . غير ان كل هذا النشاط كان دون جدوى . فقد انتصب لويس بونابرت في وجه كافينياك ، محاطا بهالة الامبراطور العملاقة . كان قد اعيد انتخاب لويس بونابرت الى الجمعية في شهر سبتمبر . وفي الحال اصبح في وضع برلماني قوي ، لانه اذا كان رجال النظام ، الذين فقدوا صوابهم ، قد مالوا نحو كافينياك في يونيه ، فانهم في خريف ١٨٤٨ قد انفصلوا عن الجنرال الذي بدا جمهوريا متطرفا بالنسبة لهم . اقترعت لجنة شارع بواتييه ، التي يرئسها تيير ، الى جانب لويس بونابرت ضد كافينياك . غير ان ابن اخ الامبراطور لم يكن بحاجة حتى الى اصوات الاورليانيين : كان يحوز على ثقة الشعب . في ١٠ ديسمبر كان قد انتخب بـ ٥،٥٠٠،٠٠٠ صوت . نال كافينياك ١،٥٠٠،٠٠٠ صوتا ، ليدرو رولان ٣٧٠،٠٠٠ ، راسباي ٣٧،٠٠٠ ، لامارتين ١٧،٠٠٠ .

لم يحصل كافينياك على الاكثرية الا في اربع محافظات — محافظات ملكية : اوفار ، بوش دي رون Bouches du Rhone موربيهان Morbihan فينيستير Fenistère ، بينما نال لويس بونابرت اكثريات في اربع محافظات اشتراكية : ساون ولوار Saône - ct -Loire لا كروز La creuse فيينا العليا La haute vienne ودروم Drôme . ومن اصل ١٩١،٠٠٠ صوت نالها لويس بونابرت في باريس والضواحي « اكثر من ٣٠،٠٠٠ ، يقول برودون ، جاءت من الاشتراكيين الذين تركوا راسباي وانتخبوا بونابرت لحقدهم على كافينياك » . كان هذا الاخير مرشح **الدكان** بشكل عام . في ضاحية سان دنيس انقسمت الاراء . اقترع صاحبنا النسائجي ، بعد كثير من الترددات ، الى جانب لويس نابليون بونابرت ، غير ان عددا من زملائه بقي مخلصا للجنرال . وفي قلم اقتراع في ضاحية سان انطوان وجدت بطاقة اقتراع تحمل « كافينياك امير الدم Prince du sang » : كان ذلك توقيع احد **جنود اليأس** الذي لم ينس ٢٦ يونيه ابدا .

ومع ذلك يجب الا ننهي حديثنا بهذه الشهادة الحاقدة

واليائسة . عندما عاد نجار سان انطوان او ميكانيكي لاشابيل الى عملهما في خريف ١٨٤٨ القاسي والمخيب للامال ، كان الواحد منهما يردد اغنية جديدة معزّية ألفّها بيير دوبون . انه يغنيها بصوت منخفض لانه كان يحترس من المراقبين والجواسيس :

الجمهورية باقية ايضا

رغم اخطائنا وجرائمنا

يشع اسمها على قممنا

كبريق الارجوان والذهب .

المتــاريس

كان المتراس داكنا عند الفجر .

لنقل ، دون ان نتلاعب بالالفاظ ، ان هذا البيت لفيكتـــور هيجو قد هدهد فجر الجمهورية الثالثة . انه بيت ذو رنة ثقيلـة وكئيبة : يصف هيجو المتراس الذي بني صباح ٣ ديسمبر عــام ١٨٥١ في شارع ضاحية سان انطوان ، عند تقاطع طـــرق كوتا Cotte وسانت مارغريت . أما اليوم فان شارع سانت مارغريت قد أصبح شارع تروسو ، وشارع لونوار ، القريب مــن شـــارع كوتا ، اصبح شارع آليغر Aligre . وزيادة على ذلك فان تمثال النائب بودين Boudin قد اقتلع من قاعدته . ومــع ذلـك فان السوق الصغير الواقع بين شارع كوتـا وشارع آليغر قــد حافظ على نسبه مــع الفــارق ، كما حــافظ على عــاداته وعلى نفس حياة العصر الذي نوّرخ له ، كما اننا يمكن ان نقرأ اسم لونوار على علم حديدي يشكل لافتة مصبغــة لغسل الثياب . في ساحة سوق لونوار (المسمّى ايضا سوق بوفو Beauvau) نحن فــي قلب سان انطوان ، في قلب باريس الثائرة . بعد انقلاب ٢ ديسمبر ، سعت حفنة من النواب بينهم هيجـــو ، شولشر schoelcher ، الدكتور بودين ، شارامول ، الى تثوير الضاحية الثورية القديمـة ضد لويس نابليون . غير ان سان انطوان لم تنس الرصاص الذي تلقته ، في يونيه ١٨٤٨ ، بموافقة هؤلاء النواب انفسهم الذيــــن يدعونهــا اليوم لحمل السلاح . الضاحية « جامدة » ، لكتب هيجــو بمرارة . مع ذلك بنى بعض العمــال متراسا بنتيجــة اعياء وليس نتيجــة قناعة . كان هذا المتراس عبارة عن طنبر وعربة قطــار وسيارتين صغيرتين وهو بالمقارنة مع المتاريس التي بنيت فينفس المنطقة عام ١٨٤٨ يبدو هزيلا ، انه رمزي اكثر منه ذو فعالية . كان

شولشر البديـن يخطب دون جدوى في العمال . والنائـــــب شارمول يلقي خطبة اخرى . هذا الاخير هو ملكي يمثل مقاطعةهيرو Hérault في الجمعية . لم يكن من انصار الجمهورية لكنه ضد الانقلاب والامبراطورية رجل مرح حتى ان اسمه مستساغ جدا عند محبي الالغاز والتوريات : هر ـ جرذ ـ يموء chat - rat - miaule انه يجهد نفسه ليهز الخمول الشعبي :« او لستم اذن ابناءباريس؟ او تريدون ان تعاملوا كألمان ، كنمساويين ؟» . لكن الشعب صامت دائمـا . انه يتذكـر انه ، منذ ثلاث سنوات خلت ، كان يتظاهـر بحماس وبراءة كي تتخلّص الحكومة من البروسيين والنمساويين الذيـن كان يعذبون بولونيـا بشدة ... لكـن بماذا كانوا يجيبونه حينذاك في قصر بوربون وفي دار البلدية ؟ كانلامارتين او ماراست يدعوانه بفظاظة الى الهدوء ! كان يُرجى اليه الا يعكّر صفو الملوك! والان فان هـذا الشعب الذي سخروا منـه وترصّدوه واطلقـوا الرصاص عليه ينبغي ان يُنقذ الشرعية البرجوازية وان يبعـــث دستورا لم يعط له حتى حق العمل ! انه يقاطع . في ٢٠ مايو ١٨٤٨ اثناء مهرجان الكونكورد ، كان قد قاطع النواب «**متعددي الوظائف**» ، « **ذوي الكروش المتخمة** » الذين ينفقون ٢٥ فرنكا في اليوم . وفي ٣ ديسمبر انطلقت سخريات ضد الـ ٢٥ فرنكا في شارع ســان انطـوان .

ـ أو تظنون اننا سنضحي بأرواحنا من اجل ان تحافظوا على فرنكاتكم الـ ٢٥ ؟ عندها تقدّم بودان الى المتراس وقال :

ـ امكث هنا لحظة اخرى يا صديقي وسوف ترى كيف نموت من اجل ٢٥ وفرنكـا .

انقّض طابور من الجنود ، آتيا من الباستيل ، على المتراس . قتل بودان واخترقت رصاصة ردنفوت شوشلر ...

لم يفطن احد تقريبا لموت بودان في ضوضاء ديسمبر الكئيبة. هذا مع العلم ان بودان ، الذي كـان قد ترأس « نادي المستقبل »، كان ذا شعبية في ضاحية بواسونييد وفي ضاحية . سان دنيس :

كان بائعو الكرتون وعمال الطباعة الحجرية ، الذين يسكنون في شارع القاهرة ، يحبون مؤتمراته واسلوبه كمرب شريف . حتى ان الفونس بودان كان قد اعتقل في ١٥ مايو ١٨٤٨ اثناء مظاهرة التأييد لبولونيا ... هل يعني ذلك ان بودان قد سقط دون جدوى في ٣ ديسمبر ١٨٥١ ؟ كلا . بعد ١٧ عاما ، وفي الدعوى المقامة على ديلسكلوز Delescluse ، اعاد غامبيتا الاعتبار الى بودان في مرافعة شهيرة وتهاوت الامبراطورية .

كان المتراس داكنـــا عند الفجر

كان محاربو ١٨٤٨ يتناقلون بيت فيكتور هيجو بينمـــا كـــان الرجال الاصفر سنا يتعلمونه . في ١٨٧١ ، برهن رواد «الاممية» و« الحركة النقابية » ومحاربو الكومونة ان فن بناء المتاريس لــــم يضع . وحتى في ايامنا ... ان المد الثوري في فرنسا يمكــن ان يهدأ في بعض الاحيان وان يختفي تقريبا ، ان اكثر المحيطات اثارة للخوف لهـــا سكناتها ، لكــن الركــود يبقى عابرا : المتراس اساس الموقف تقريبا من دار البلدية الى لافييت .

انه لامر مثير ، لقد انبعثت المتاريس فجأة في حي دار البلدية في ١٩ نوفمبر ١٨٢٧ في حين كانت قد اختفت عن المسرح الباريسي منذ قرنيــن تقريبا : انها في الواقــع لم تظهــر ابدا في مصورات **الثورة الكبرى** . ان اخر المتاريس التي بنيت في ظل العهد الملكــي هي التي تشير الى الحرب الاهليــة الصغيرة التي حملت اســـم **الفرونــد** الساخر Fronde (١) ، لقد ارتفعت في ٥ و٦ اغسطس ١٦٤٨ في ازقة العاصمة . ان الشعب ، الذي لم يكن يقلب السيارات بعد في الشارع ، كان يحصل بسهولة على براميل كبيرة لقطع السير والاحتمـــاء وراء حصون منيعـــة بمـــا فيه الكفايـــة ، مـــن هنـــا اسم المتراس : Barrique

وعندما عادت باريس ثانية الى المتاريس في نوفمبر ١٨٢٧ بعد

---

(١) اسم اطلق على الحرب الاهلية التي وقعت في عهد لويس ١٤ . ومصدرهذه التسمية هي لعبة كان يلعبهـا الصبية في باريس حينئذ . سبب هذه الحرب هو السياسةالمالية السيئة لمازارين،والفروندمرحلتان :١ ــ من سنة ١٦٤٨ــ١٦٤٩وبنيت خلالها المتاريس . والثانية من ١٦٤٩ ــ ١٦٥٣ (المترجم)

١٨٠ عامــا ، كانت تبدي بهجتها اكثر مما كانت تبدي غضبهــا ، انها تحيي سقوط فيلليل Vellèle

كان السيد فيلليل متمولا كبيرا الا انه اثار ضده كثيرا مــن البرجوازيين الصغار وكثيرا من صغار التجــار وقراء جريـــدة « الدستــوري » Constitutionnel ،الذيــن صو"رهم بلزاك بامانة . وزيادة على ذلك فان فيلليل ، كان يرمز ، خطأ او صوابا ، الـــى الرجعية باكثر ما فيها من تصلب وازعاج . لقد حل" البرلمان الذي كــان قد بدأ يثور ضده ، غير ان انتخابات ١٨٢٧ كانت فــوزا لليبراليين . انفصل شارل العاشر عن فيلليل واستدعى مارتيناك . من هنا ارتياح باريس وهو ارتياح تظلله العدوانية : وقعـــت اصطدامات بين المتظاهرين والجيش وتم اقتلاع بلاط بعض الشوارع بسرعة . على المتراس نجد احد ابطالنا المعروفين ، أوغست بلانكي . في ١٩ نوفمبر ١٨٢٧ خاض هذا المهووس بالاعمال العسكرية غمـار القتال الثوري لاول مرة حتى انــه جرح في الصدام . ان عام ١٨٢٧ يبدو وكأنه تكرار للمسرحيــة التي ستمثل عام ١٨٣٠ . اثناء ايـام يوليــو ١٨٣٠ ، **الايام الثلاثة المجيدة** ، كانت ضاحيتا سان انطوان وسان مارسيل المقرين العامين للثورة . تمكن جنود مار مونت مــن شق طريقهم عبر المتاريس من دار البلديــة حتى الباستيل ، الا ان المتاريس بنيت من جديد بعد مرور الجنود وتم انهاك الجيش سريعا . كان بلانكي وغينار وراسباي بيــن زعماء الشعب . جرح راسباي في الهجوم على الثكنــة الموجودة في شارع بابيلــون Babilone والى جانبه قتل البوليتكنيكي فانــو Vanau الذي سمي باسمه احد الشوارع والذي اقام فيه ماركس بعد ١٥ عاما . تولّى غينار قيادة طابور انطلق من البانتيون وهاجم قصر التويلري ، ان غينــار الذي سوف يصر في يونيه ١٨٤٨ ، في دار البلدية ، على مهاجمــة ضاحيــة سان انطوان بجرأة، كان اول من دخل الى التويلري فــي يوليــو ١٨٣٠ على رأس عمال ضاحية سان مارسيل . في ٥ و٦ يونيه ١٨٣٢ : لويس فيليب ، الذي اصبح ملكــا بفضل المتاريس، يصطدم بالمتاريس الاولــى التي بنيت في عهده .

خلال بضع ساعات اصبح ثلث باريس في ايدي الثوار . ان

ثورة يونيه ١٨٣٢ تستحق اهتماما خاصا لانهـا وثيقة الصلة بثورة يونيـه ١٨٤٨ . ومـا من شك في أنهـا لم ترتد نفس الطابـع المعزول والبروليتاري العنيف ، ومع ذلك فانها لم تكن برجوازية، في حيـن كان طابع المتراس في يوليو ١٨٣٠ وكذلك في فبرايـر ١٨٤٨ برجوازيا اكثر. في٥ يونيه ١٨٣٢ كان يمكن ان يتولى لافاييت العجوز ، الذي كان لا يزال معبود الباريسيين ، قيادة الثورة . غير انه خاف في الحال وتهرب ثم انزوى في بيته. اما اوديلون بـارو ولافييت وفرانسوا آراغـو فانهم كانوا يستنفدون انفسهم في الكلام، الا انهم لم يقاتلوا ابدا . من جهـة ثانية ، ان وضع المتاريس وجهاز الثورة العسكري يعطيـان الانطباع بانهمـا كان منظمين جيـدا ، انهما يبدوان ناتجين عن حركة سرية لمصانع الساعات . (الساعاتيون هم في يونيه ١٨٣٢ مناضلو جمعية « اصدقاء الشعب » ، وفي يونيه ١٨٤٨ كادرات المعامل الوطنية . اما مناسبـة الانتفاضة فقـد قدمها مأتم الجنرال لامارك في ٥ يونيه ١٨٣٢ . ان الجذور الاخلاقية للمظاهرة ، اذا صح التعبير ، هي ذاتهـا التي ادت الى مظاهرة ١٥ مايـو ١٨٤٨ التي كان موضوعها تحرير بولونيـا . كانت معاهدات ١٨١٥ ، كمـا يكتب فيكتور هيجو ، تثير لامارك وكأنهـا اهانـة شخصية . كان يكره ويللنغتون كرها مباشرا يرضي الجمهور ، ومنذ ١٧ عامـا كان ، مع اهتمامه بالكـاد بالاحداث الوسيطة ، يحتفـظ بحزن واترلو باجلال . واثناء احتضاره في الساعة الاخيرة ، كان لا يزال يربط في وسطه سيفـا كان ضباط « المائة يوم » قدمنحوه اياه . كان لامارك قد استجوب بانفعال المارشال سيباستياني، الذي كـان حينئذ وزيـر خارجيتنا ، حول مسألة الشؤون البولونيـة . وفي الوقت الذي كان لامارك يتباكى على بولونيا كان يثور ضـد بريطانيـا مستعيدا على المنبر حرب المئة يوم ، وقد انهى كلامه بأن سلام ١٨١٥ لم يكـن الا « استراحة في الوحل » . كان لامـارك يسكـن في مكـان غير بعيد عـن الكونكورد ، في جوار شـارع كاستيغلون Castiglione

كانت عربة الجنازة تصل الى ساحة المادلين في٥ يونيه ــ كان يومـا غائما وممطرا ــ (١) محاطة بجمهور ضخم ، ثم الى البولفارات

(١) روى ج . لوكاس دوبرتون احداث ٥ و٦ يونيه بشكل حذر : « الرعب الكبير عـام ١٨٣٢ » . باريس غاليمار ، ١٨٣٢ .

الكبرى وجسر أوسترليتز . (كثرت الحوادث اثنـاء المسيرة) . اخيرا توقف الموكب في ساحة فالوبير Valhubert حيث القيت الخطب . (نقلت عربة قطار جثة لامارك الى لاند). وبينمـا كان الخطباء يتحدثون ، كنا نرى اعلامـا ترفرف لاول مرة في بـاريس وهي اولا علم المانيـا الفتية ـ العلم الاسود والاحمر والاصفر الذي كـان علم ويمـار Weimar والذي طالمـا كان يحرك مشاعر ميشيلييه ـ وثانيا العلم الاحمر ... كـان يحمل هذا العلم فارس متخفـ ـ ذو وجه متشمّع وشاربين ضخمين معقوفين على الطريقة الاسبانية وبذلة سوداء ـ لقد اثار هذا الرجل الاسود الذي كـان يحمل العلم الاحمر كثيرا من النقاشات (١) .... اتسعت رقعـة الانفعال . وبسرعـة اصبحت احياء ماري وأرسيس والهال وضواحي سان دنيس وسان مارتن ، اصبحت مغطاة بالمتاريس ، كما استولى الجمهوريـون على مقـر حاكم الدائرة الثامنة . هناك تفصيل مضحك: كان تيير ، وزير الداخليـة الشاب ، يتعشى مع مينييه Mignet وبعض الاصدقاء في مطعم لو روشه دي كنكال Le rocher de cancale الشهير ، شارع مونتورغوي ، في الوقت الذي كان الناس يقتلعون بلاط الشوارع على بعد خمسين خطوة . لعب غينار ايضا دورا مهما في هذه الانتفاضة ، وفي مستودعات الفحم والحطب في شـارع مينيلمونتان ، بنى باستيد ، الذي عرفناه سابقا والذي كان يبيـع الخشب قبـل أن يصبح وزيرا للخارجية ، عددا من المتاريس .

تحتل ثورة ١٨٣٢ مكانا هاما في روايـة **البؤساء** لفيكتـور هيجو . يصف هيجـو مطولا متراسا بني في ضاحية سان دنيس. لقـد ظهر غافروش في نتاج هيجـو بمناسبة ايام يونيـه ١٨٣٢ بالضبط . وحسب قول ريمون غيـو الذي قام بابحـاث حـول هوية غافروش ، فان البطل الصغير الذي استوحاه هيجو كان في الواقع قد قاتل في متاريس ديسمبر ١٨٥١ ، وقد قتل فـي شارع تيكتون بالقرب من شارع مونتورغوي ، اثناء الصدام الذي اعقب انقلاب لويس نابليون . وفيما بعد ، وعندما كتب هيجو « البؤساء »

---

(١) انظر غبريال بيرو ، « مصادر العلم الاحمر في فرنسا » ، باريس ، المطبوعات الجامعيـة ، ١٩٣٠ .

في المنفى حوّر حياة غافروش وجعل بطله يموت في ايام يونيه ١٨٣٢ . وصف هيجو بدقة الطريقة التي يبنى فيها احد المتاريس :

« في بضع دقائق كانت عشرون عارضة من الحديد قد انتزعت من واجهة الكباريه المحاطة بسياج ، كما تم اقتلاع مسافة ستين قدما من بلاط الشوارع ، كان باهوريل وغافروش قد منعا المرور وقلبا عربة نقل لصاحب مصنع للكلس يدعى آنسو Anceau كانت هذه العربة تحتوي على ثلاثة براميل ملأى بالكلس ، الذي وضعاه تحت قفا البلاط ، كان انجولرا éngolras قد رفع باب حانة الارملة هوشيلور Huchelour ودعم ببراميل المشروبات الفارغة وبراميل الكلس ، اما فوييي Feuilly ، بأنامله التي تعودت على زخرفة واجهات العقود القوطية ، فقد دعم البراميل والعربة بركيزتين ضخمتين من حجارة الدبش . حجارة غير مصقولة مثل الانقاض ولا نعرف من اين جيء بها . تم انتزاع عدة دعائم من واجهة منزل مجاور ووضعت فوق براميل الشراب . وعندما عاد بوسييه Bossuet وكورفيراك Courfyrac ، كان وسط الشارع قد سد بمتراس اكثر ارتفاعا من قامة رجل . »

في الواقع ، نحن نجد في ضاحية سان دنيس وضاحية سان انطوان ، ايام يونيه ١٨٣٢ ، متاريس ذات ارتفاع يساوي تسعة اقدام (حوالى ٣ امتار) لكن لنعد الى نص هيغو .

« مرت مركبة يجرها حصانان ايضان في طرف الشارع . تجاوز بوسييل البلاط وركض فأوقف الحوذي وانزل الركاب ثم ساعد السيدات على النزول وصرف السائق وعاد جارا العربة والحصانين باللجام ... بعد برهة ترك الجوادان على هواهما في شارع مونديتور ، اما العربة التي قلبت على جانبها ، فقد اكملت سد الشارع . »

مساء ٥ يونيه كانت الحكومة قد استعادت السيطرة على الوضع ، وبالرغم من كل ذلك ، فانها بقيت متوترة اكثر من الملك الذي كان يتجول على جواده بشجاعة فائقة بين التويلري

والباستيل . (كان الاستقبال الذي لقيه لويس فيليب باردا بالطبع ، ومع ذلك فقد بدا الشعب متأثرا بالشجاعة التي ابداها الملك .)

ومع ذلك استمرت المعركة في الليل ايضا ، كانت تسمع عيارات نارية كثيرة وترى اضواء ارجوانية في السماء . كان راسباي ، المسجون في سانت بيلاجي ، يسمع صوت الرصاص ويرى ضوء السماء غير المألوف . لقد اصابته رجفة من الفرح :

الشعب هو المنتصر ، سوف ينال الشعب اخيرا حقه .

كانت متعة راسباي قصيرة لان المعركة التي ادت اصدقاؤها الى بلبلة مساجين سانت بيلاجي هي معركة يائسة . طوال ليل ٥ ـ ٦ يونيه وحتى اثناء النهار في ٦ ، كان اطلاق النار يدوي كثيفا ، داميا حول المتاريس التي بنيت في الليل في شارع اورس وشارع جان روبير وشارع بريسميش وشارع فيترري . ينبغي ان نتوقف لحظة عند شارع فيردي لاننا سوف نشهد حادثة سيكون لها صدى عميق في الوعي الشعبي . كان بضع مئات من الثوار يتحصنون في الموقع المربع المؤلف من شوارع سان مارتن ، فوق سان مري ، رينار وفيردي . هذا النظام من المتاريس الذي كان مركزه دير سان ميري ، كان مترابطا ومحصنا للغاية : لم يكن لدى اولئك الذين يدافعون عنه اية امكانية للنصر ، وهم يعرفون ذلك . لكن بما ان الحراس الوطنيين والجنود كانوا يضيقون الخناق عليهم شيئا فشيئا ، فانهم لم يتركوا مكانهم ابدا . كان زعيمهم شاب يدعى جان ـ شاب صغير جدا وجميل جدا ـ وسيتمكن في آخر لحظة من الهرب ، الا انه اعتقل بعد ذلك بقليل ... وفي شارع سان مارتن رقم ٣٠ وفي ملحمة في شارع سان ميري وقعت معارك بطولية سوف تبقى حديث الناس في الضاحية لامد طويل . عام ١٨٤٨ بقيت ذكرى مناضلي ديرسان متري حية للغاية . وفي الاجمال فان الحرس الوطني في ضاحية سان دنيس وضاحية سان مارتن قد ابدى شراسة ضد الثورة كما بدا مخلصا جدا للويس فيليب . في عام ١٨٣٢ عمل صاحبنا النسائجي في ضاحية سان دنيس ببسالة في خدمة النظام . وتمر السنين

ويتلاشى الاخلاص للعاهل البرجوازي ، لقد اقتنع النسائجي وهو يقرأ « الناسيونال » و « العصر » ان غيزو مجرم وان لويس فيليب قد خان مصالح الوطن . وهكذا فقد تقرب في فبراير ١٨٤٨ الى ابنوسيي ضاحية سان انطوان الـذي كان لستة عشر عامـا خلت يوجه ناره اليهم . غير انه وجد من جديد في يونيه ١٨٤٨ موقعه الحقيقي كمدافع عن الامن ، ومن جديد قاتل بشراسة ضد بناة المتاريس .

١٣ نيسان ١٨٣٤ : علمت باريس بثورة ليون ، ومن جديد تم بناء المتاريس في شارع بوبور Beauburg ، شارع غـوفروا لانجيفان ، شارع اوبري لوبوشيه ، شارع اوزورس Auxours شارع موبييه Maubuee وشارع ترانسنونان .

كنت فـي السابـق قد اتيـت علـى ذكر واقعـة شارع ترانسنونان . (سوف تنشب ايضا معارك في نفس الشارع في يونيه ١٨٤٨) . اطلقت النار من احد المنازل على الجنود ، هجم هؤلاء على البناية وقتلوا كل سكانها . كان بوجو قائـدا للجنود حينذاك ، وكان على باريس الا تغفر لبوجو ابدا .

الاحد ١٢ مايو ١٨٣٩ : انفجرت الثورة التي اعدتها جمعية « الفصول » بشكل ادهش الباريسيين . (كانت هناك ازمـة وزاريـة غير ان الوضع الاجتماعي والسياسي لم يكن شديـد التوتر) . كان جمهور المتنزهين يستعد للذهاب الى سباق الخيل . في هذه الاثناء سطت حفنة من الرجال على مخزن للاسلحة في شارع بورج لابي Bourg L'abbé . تم تشكيل طابورين مـن الثوار : الاول بقيادة باربيس ، توجه نحو قصر العـدل والتقى بالطابور الثاني في الشاتليه . استولى الثوار للحظـة على دار البلدية الا ان الجيش والحرس البلدي سرعان ما حاصرهم . القي القبض على باربيس غير ان بلانكي تمكن من الهرب . كان بـلانكي هو الذي وضع مخطط الثورة بالتفصيل . (كان بلانكي قد تابـع الاهتمام بالتفاصيل حتى انه حدد سماكة كل متراس) . ينقـل جورج ويل ، في كتابـه الجميل **تـاريخ الحزب الجمهوري في**

فرنسا ، احاديث عن ١٢ مايو ابلغه اياها لانفلوا احد اتباع برودون . اصيب بلانكي باغماء فعلي وكان يرتجف عندما وصل مع رفاقه الى مخزن الاسلحة في شارع بورج لابي . ومع ان النيران كانت اقل عنفا منها في عام ١٨٣٢، الا انها اندلعت بشدة خلال بضع ساعات في شارع سان مارتن . لكن بينما كانت صورة المتراس الدامية تشكل مرة اخرى اساس الموقف كانت تجري على صدر المسرح مشاهد هادئة ، سلمية ، فقد تابع عمال الحرف الصغيرة في الحياة الباريسية اعمالهم . كان هناك رجل عجوز ، ذو عاهة ، « يجر عربة يد مغطاة بقماش رث ذي ثلاثة الوان وتحتوي على اوان ملأى باحد السوائل ، كان هذا الرجل يروح ويجيء من المتراس الى الجيش ومن الجيش الى المتراس مقدما بشكل حيادي كؤوسا من السوس تارة الى الحكومة وطورا الى الفوضوية (رجال المتاريس) » (فيكتور هيجو) .

* * *

كنت قبل قليل قد تحدثت عن الطابع البرجوازي لثورة فبراير . لقد بني المتراس الاول ، الذي ظهر في ٢٢ فبراير في ساعات . ما بعد الظهر الاولى ، في زاوية شارع سان فلوزانتان وشارع ريفولي ، والمتراس الثاني في شارع دوفو Dupho ، اما الثالث ففي شارع سان اونوريه . اذن في احياء غير مألوفة عندما رأى كوسيدير والبيز هذه المتاريس اصابتهما حيرة شديدة. يقول كوسيدير ان البير لم يتعرف الى رجاله بين محركي الشوارع . (من هنا الحذر الذي ساد اوساط صحيفة «الاصلاح» تجاه هذه الثورة) . غير ان المتاريس وجدت من جديد احياءها المفضلة ، اذا صح القول ، مساء ٢٣ ـ ٢٤ ، بعد حادث بولفار الكبوشيين ، فقد ازدهرت في ضاحية سان دنيس وعلى بولفار بون نوفل . وفي الاجمال فان لويس فيليب قد سقط نتيجة هذا التحالف العابر بين « بناة المتاريس » البرجوازيين في شارع ريفولي وبين « بناة المتاريس » التقليديين في ضاحية سان دنيس.

ولئن اثبتت هذا الشعب عن خبرة كبيرة في المتاريس اثناء ثورة يونيه ١٨٤٨ فان ذلك لا يفاجئنا اليوم ابدا . وسواء أكان ميكانيكي لاشابيل وابنوسي ضاحية سان انطوان انفسهما ثوارا

ذوي ماض ، ام ان لديهما ميلا متوارثا ، فانهما يعرفان كيف ينزعان بلاط الشوارع ويقلبان سيارات نقل البريد . عندما زار توكفيل ، في ٢٣ يونيه ، الاحياء المجاورة لدار البلدية ، كان مذهولا بقدر ما كان معجبا بالهدوء والمعرفة التي كان يبديها بناة المتاريس. انه يكتب « ان الشعب قد قام بهذا العمل بمهارة المهندس ودقته ، فهو لم يقتلع من البلاط الا ما يلزم لكي يؤسس ، بواسطة حجارة مربعة كان يحصل عليها هكذا ، حائطا سميكا ، صلبا وحتى نظيفا بما فيه الكفاية ، وهو يحرص عادة على ان يترك فيه فتحة صغيرة على طول البيوت لكي يتمكن من التحرك » . انها وداعة ممزوجة بنشاط شبه الزامي . كان الشعب يطلب من المارة مساعدته في عمله . وهكذا فان فرانسوا دي كورسيل ، وهو نائب محافظ جدا الا انه لم يكن يرغب في ان تصيبه رصاصة احد العمال ، قد سارع بدوره الى اقتلاع بلاط قطعة صغيرة من الشارع . الا ان عدم مهارته جعلت العمال يهزون اكتافهم استهزاء ويصرفونه وهم يضحكون عاليا . لقد قمنا بجولة عبر الزمن من ١٨٢٧ وحتى ١٨٤٨ ، فلنتبه هذا الفصل بجولة في المكان . لننتقل ، في هذه الايام القاسية من يونيه ، من شمال باريس الى جنوبها ، من كنيسة سان فنسان دي بول الى البانتيون . نحن نعرف الوقائع الاساسية للمعركة ، الا انه يمكننا ان نجمع ايضا بعض المشاهدات الاضافية .

بنى ميكانيكيو لاشابيل حصنا هاما من براميل السقاية والالواح والبلاط في ساحة لافاييت بالقرب من كنيسة سان فنسان دي بول التي لم يكن بناؤها قد اكتمل بعد . كان هؤلاء الميكانيكيون بقيادة نقيب من الحرس الوطني يدعى ليجينيسيل Légenissel انتقلت كل سريته الى صف الثوار . وفي مدخل سان دنيس بني المتراس الضخم الذي سقطت فيه المرأتان الجميلتان اللتان خلّف هيغو لنا وصفهما ، بني المتراس بواسطة كومة من العربات المختلفة: كان هناك عدد من الـ « كوكو » هكذا كانت تدعى السيارات العمومية — ، بعض عربات السقائين وعربة ذات اربع عجلات . وعلى مدخل سان مارتن كان المتراس اكثر اهمية ايضا واكثر روعة من متراس مدخل سان دنيس . نحن نتذكر اوديلون بارو وهو

ينزه في سيارته في ٢٤ فبراير عددا من المتظاهرين الذين وجدوا دروعا قديمة وكانوا يبدون كممثلي المسرح الصامت . تزود العمال، الذين بنوا في ٢٣ يونيو المتراس الذي يسد بولفار سان مارتن ، من المسرح المجاور ، مسرح مدخل سان مارتن . كان على قمة المتراس خمس نساء ، واحدة منهن في ثوب الحداد وكن يلوحن ببلطات ذات مقبض طويل وبسيوف عجيبة . استولى العمال في شارع سان دنيس على قاطرة وعدة مراكن (دست) وعدد من الصفائح المعدنية من معامل كافيه . وفي شارع سان انطوان بنيت المتاريس الثمانية والستون بواسطة العربات الملأى بالبلاط وبواسطة جذوع الاشجار المقطوعة .

انتوقف لحظة في ضاحية سان انطوان . ما هي الكلمات التي تجمع بين الثوار ؟ كان Caen وكوسيديير ، الجمهورية وكوسيديير . (لنضف ان كوسيديير قد انخرط في الثورة مرغما . انه ، شأنه شأن اكثرية نواب اليسار المتطرف ، بقي حائرا في قصر بوربون . لقد عرض على النواب بكثير من الجرأة ان يذهب باسمهم الى المتاريس ويقول كلاما مهدئا . من المحتمل انه كان يعتقد ان الشعبية التي يتمتع بها يمكن ان يكون لها تأثير مناسب . غير ان الاكثرية الساحقة من زملائه نددت بهذا الاقتراح: اننا نقاتل كلابا مسعورين ولن نتفاوض معهم ابدا) . من هم الزعماء الذين كان صاحبنا الابنوسي يطلق النار تحت امرتهم ؟ نجد على سبيل المثال شخصا انيقا — كان يقاتل بجزمة ملمعة — حالما ، غامضا ، انه العامل الميكانيكي برتلمي . Barthelemy . بعد بضع سنوات ، وفي لندن ، قتل برتلمي ، اثناء نزاع ، ثوريا آخر هو كورني Cournet الذي سوف يلعب ابنه دورا هاما ايام الكومونه . انه نزاع غامض يرتبط دون شك بالخلافات السياسية : انه يبدو في الواقع فصلا من فصول الصراع ، حتى في المنفى ، بين انصار ليدرو رولان ولويس بلان . هناك شخص آخر رشيق ، متحمس ومتعال في نفس الوقت . انه بول دي فلوت Paul de Flotte ، ضابط بحرية ومنظر ثوري . سوف ينتخب دي فلوت عام ١٨٥٠ نائبا عن السين . وعندما نفي بعد الانقلاب ، خدم الى جانب غاريبالدي وقتل وهو يناضل من اجل تحرير

ايطاليا . لنذكر اخيرا عامل البرونز الذي كان صغير السن ، آبيل دافو : كان يقسم ان الوضع العمالي ينبغي ان يتغير وان معركة يونيه يجب ان الا تتجدد وانه يجب ايجاد حلول عملية لمشاكل العمل ، وسوف يصبح دافو خلال الستينات المدافع الناجح والذي لا يكل عن العمل التعاوني كما سوف يحرك بذكاء العديد من الجمعيات التعاونية .

لقد اشرت ، وربما بطريقة مغالية ، الى اهمية الدور الذي لعبه ابنوسيو سان انطوان في ثورة فبراير وانتفاضة يونيه (تقدر دانيال سترن عددهم بـ ١٨ الفا وهو امر يبدو لي مبالغا فيه) . كان الكثير من هؤلاء الابنوسيين المانا او من اصل الماني وقد انخرطوا تقريبا في « عصبة العادلين » Ligue des Justes التي ضمت اثناء ملكية تموز عددا من العمال الذين هربوا لاسباب سياسية من بروسيا او من الدويلات الالمانية . (نحن نعرف ان ماركس شارك في عصبة العادلين ونعلم ايضا ان هذه العصبة كانت على صلة وثيقة بجمعية « الفصول » السرية التي كان يرئسها بلانكي). وهكذا يتضح النشاط والاقدام اللذان ابداهما في المتاريس كل حرفيي النجارة الصغار هؤلاء . هناك ملاحظة ثانية بخصوص ابنوسيي ضاحية سان انطوان ذوي الاصل الجرماني ، لقد كانوا شديدي الحساسية تجاه الدعاية النابليونية . ان الموضوع الذي اطرقه هنا يقودنا الى ان نترك ، لفترة ، شارع سان انطوان وننتقل الى طرف الدائرة الثانية عشرة ، الى حاجز انفر Enfer والى حاجز « ايطاليا » ، اي الى العمال الذين كانوا يحاصرون الجنرال بريا بحقد . كان بين اشد الغاضبين بناء يدعى لاهر Lahr ، واسمه ذاته يكشف عن اصله الالماني . كان لاهر هذا ، الذي قطع رأسه كقاتل لبريا ، معروفا جيدا لمارتن نادو ، الذي كان هو الآخر بناء . (سوف يصبح مارتن نادو نائبا عن الكروز عام ١٨٤٩) . عمل لاهر في مشغل نادو ، والتقى الرجلان قبل ثورة يونيه ببضعة ايام . فوجيء نادو بتمجيد لاهر لنابليون ، كان لاهر يكثر من جلسات الشرب عند بائع الخمر وهو يصرخ :

نخب نابليون ؟؟ Ala santé Napoléon

في ضاحية سان انطوان وقعت مأساة لم اتحدث عنها الا

عرضا في فصل سابق ، عنيت مقتل مطران باريس المونسنيور آفر . لست ادري ما إذا كان المظهر النفسي الذي رسمته دانيال سترن للمونسنيور آفر دقيقا . كانت الكونتيسه داغو D. Agoult المعروفة بدانيال سترن ، مفكرة حرة بشكل بارز . في الواقع اننا في موقع الدفاع عندما نراها تنفذ بشكل جريء ودوغمائي معا الى نفس احد الكهنة . ومع هذه التحفظات فاننا مهتمون كثيرا ومقتنعون الى حد بعيد بقرب صورة المونسنيور من الواقع وذلك بمعزل عن سيرة القديسين التافهة والبائسة . كان المطران، حسب اقوال دانيال سترن ، رجلا قلقا ، دون طموح ، وكان يبدي انزعاجا فعليا تجاه الجمهور وتجاه صخب الشارع . في ٢٣ يونيه منح بركته للاطفال في سان اتيان دي مون ، وقد ابدى هلعا لا حدود له من الخطر الذي يحيط به عند رؤيته للمتاريس التي تنصب في ساحة البانتيون . لم يكن يريد الذهاب الى المطرانية ، التي كانت حينذاك بالقرب من نوتردام ، فامضى الليل في ثانوية هنري الرابع . نهار السبت في ٢٤ ، نفس المظهر الجبان . ومع انه كان معروفا ان ضواحي البانتيون اصبحت محررة ، فان المونسنيور لم يقتنع الا بصعوبة بأن بامكانه الوصول دون خطر الى القصر الاسقفي . صباح الاحد بدت هيئته وقد تغيرت وهو يتلو قداسه ، لقد صلى طوال الليل واستغفر الله كما قرر التدخل كوسيط في الحرب الاهلية . حاول بعض الاشخاص في محيطه ان يثنوه عن هذا المشروع الذي لا يمكن تقدير مخاطره بسهولة . لكن فريدريك اوزانام — الاستاذ الكاثوليكي النشيط والذي كان محرك جمعية سان فنسان دي بول — الح بالمقابل على ان يضع المطران مشروعه موضع التنفيذ . ولما كان المونسنيور آفر يكره الفخفخة ، فقد اقترح الذهاب الى الثورة مرتديا ، ببساطة ، جبته الصغيرة ، الا ان اوزانام طالب بأن يكون المسعى ذا طابع رسمي لكي يكون فعالا ، لذلك فان الاسقف سوف يرتدي ثوب الكهنوت البنفسجي ويضع على صدره صليب الرعية الخاص. بعد الظهر زار المونسنيور آفر الجنرال كافينياك وعاد الى المطرانية ، ثم انطلق في الحال تقريبا انما هذه المرة الى الباستيل ... لقد تمكن بصعوبة من الحصول على هدنة لان البلبلة كانت كبيرة في هذا الوقت : كان يجري نقل الجنرال نغربيه الذي قتل

قبل قليل والنائب شاربو نيل الذي كان يحتضر . كان طابور نفرييه ،الذي وصل الى الباستيل من الجنوب ، متوترا ، لقد بقي بعض الوقت دون قائد . اخيرا سوف يصبح بقيادة الجنرال بيرو Perrot الذي كان في مدخل سان انطوان والذي كان يتولى في السابق قيادة الطابور الغربي ... ومع هذا ، واكرر القول ، تمكن المونسنيور آفر بكثير من الصعوبة من الحصول على وقف اطلاق النار من الجانبين لمدة ساعة واحدة . دخل الى وسط الساحة وبصحبته خادمه القديم البير . حينذاك حصل بعض الانفراج .

حين نتفحص الوثائق والتحقيقات التي اجريت حول احداث يونيه ١٨٤٨ يظهر لنا ان فترة الانفراج هذه اكيدة . ومع ذلك ، وبينما يشير اليها بيير دي لاغورس اشارة خفيفة ، فان المؤرخين يهملونها بشكل عام . وبالعكس فأننا نريد ابرازها والتذكير في معرض هذا الكلام بان للرجال وجها مزدوجا . اننا نجد في الفرد ذاته رجل الشارع ، **الرجل العادي** ــ اكاد اقول الرجل الازلي ــ مع جوهر من الطيبة والارادة الحسنة ، ونجد من جهة اخرى **الانسان المتصلب في موقفه التاريخي** . ولاسباب مهنية تقريبا ، فان المؤرخ يهتم في الغالب بهذا المظهر الثاني للانسان ويمر مرورا سريعا بالمظهر الاول،ففي ساحة الباستيل ، مساء ٢٥ فبراير،خفقت القلوب ، بمعزل عن الاحقاد والاوامر ، للاسقف الذي ينادي بالسلام . نزل عدد كبير من العمال من المتراس واتجهوا بشكل ودي نحو المونسنيور آفر ، كما بدأت نفس الحركة في صفوف الجنود ، وخلال بضع لحظات تآخى الجنود والعمال . كان اعضاء الحرس الوطني اكثر الناس فظاظة وبزودا . تشجع المطران وتوغل في متاهة المعقل الذي بناه الثوار . لم تكن الهدنة طويلة . بعد قليل دوى اطلاق الرصاص من جديد ، كان ذلك ناتجا عن سوء تفاهم تعيس . ففي الوقت الذي كان المطران يفاوض فيه ، كان النائب بسلاي Beslay في قطاع مجاور يجهد نفسه للتوصل الى نوع من الهدنة . كان البريطاني بسلاي شخصية بارزة ونموذجية من شخصيات ١٨٤٨ . انه مهندس يمتلك بعض الثروة وقد نذر نفسه جسما وروحا من اجل الطبقة العاملة فقدم نصائحه

وماله دون حساب من اجل تعزيز جمعيات الانتاج العمالية . كان بسلاي ذا فكر برودوي وقد اصبح عام ١٨٧١ عميدا للكومونة . في ٢٥ يونيه ١٨٤٨ حاول التوصل الى مصالحة بين الحكومة والثوار استنادا الى ما كان له من حظوة في معامل شارع باسفوري وفي حي سان مارغريت . كانت الضجة تمنعه من الكلام فقام بحركة تدل على نفاد الصبر ، عندها اخذ احد العمال طبلة ونقر عليها بضع ضربات كي يسود الهدوء ويتمكن النائب من متابعة كلامه . اعتقد الناس في ساحة الباستيل ان الهدنة قد انتهت نتيجة لصوت الطبل . من هنا اطلاق الرصاص الذي سقط الاسقف خلاله . كنت قد ذكرت في فصل سابق انه يبدو أن المونسنيور آفر قد اصيب برصاص احد رجال الدرك . وهنا اذكر شهادة مهمة في هذا المجال .

« انا الموقع ادناه ، جاكومي Jaguemet ، النائب العام لمطران باريس ، الذي كان لي شرف مرافقته في مهمة السلام والمحبة التي تعهد بها ، أفيد ، بقدر ما كان ممكنا ان نحكم في مثل هذه الفوضى الكبيرة ، انه لم يقتل برصاص اولئك الذين كانوا يدافعون عن المتاريس — ٢٦ يونيه ١٨٤٨ . »

اضطرب الثوار عندما رأوا المونسنيور آفر وهو يسقط . وفي الحال صنعوا حمالة من البنادق المشبوكة ووضعوا الجريح عليها .

— لسنا نحن الذين أسأنا اليك يا حضرة المونسنيور ، انهم خونة ، انهم رجال الدرك . سوف نثأر لك ...

نقل الثوار المونسنيور الى منزل خوري كانز — فان Quinze - Vingts (ترتكب دانيال سترن خطأ طفيفا عندما تقول انه نقل الى بيت كاهن رعية سانت مرغريت) . في الساعة الرابعة صباحا وصل طبيبه المعتاد الدكتور كايول فأكد ان اصابته قاتلة كما اصر على ان ينقل المونسنيور آفر الى المطرانية . وهكذا تكون لحظاته الاخيرة هادئة . بكى العمال وطالبوا بان يترك بينهم .

« انه يجلب لنا السعادة . » غير انهم اطاعوا الدكتور وهيأوا حمالة ، كانوا يتشاجرون فيما بينهم لاكتساب شرف حمل المطران. كان الكثير منهم خاشعين اثناء نقل الاسقف . تسلم جنود من الفرقة ٢٨ الكاهن من ايدي الثوار . كل ذلك كان يجري بأدب مهيب ومؤثر . لفظ المونسنيور آخر انفاسه بعد ظهر الاثنين .

كان اوتيل ديو يقع بالقرب من المطرانية . لقد اشرنا بايجاز في القسم الاول من هذا الكتاب الى المعارك التي ادت ، مساء ٢٣ يونيه ، الى الاستيلاء على « الجسر الصغير » . قرر غينار تركيز بطارية مدفعية في اوتيل ديو كي يتمكن من الثوار الذين يسيطرون على الضفة اليسرى للسين ويمنعون جنود الجنرال بيدو من استرداد شارع سان جاك . وضعت المدافع بين اسرة المرضى واخذت القنابل تنهمر على المتراس الذي بني في اسفل شارع سان جاك . واذا كنت اركز على هذه المعركة المأساوية بوجه خاص ، فذلك لانها تبين بوضوح فظائع الحرب الاهلية . في الواقع كان المتراس ، الذي يتلقى القنابل المنطلقة من نوافذ اوتيل ديو ، بقيادة بعض ضباط الفوج الثاني عشر من الحرس الوطني الذين انتقلوا الى صفوف الثورة ، كان الضباط محاربين جمهوريين قدامى ومعروفين جيداً من قبل غينار لانهم كانوا رفاقه في السجن ايام الملكية . استمرت المعركة بعد السيطرة على « الجسر — الصغير » ، في مبنى اشرت اليه سابقا ، انه محل نوفوتيه كتب على واجهته « دو بييرو » Deux Pierrots (شنخصان انيقان يلبسان زي بييرو (١) ويذهبان الى حفلة راقصة) . كان الصدام وجها لوجه تحت المباسط التي تعرض عليها السلع وخلف بالات البضائع وكان رجال الدرك يطلقون النار على الثوار الذين احتلوا سطح المبنى . اجسام تهوي وتسحق على بلاط الشارع بينما كان رجال الدرك يقيمون منصات يعمل عليها نوع من مجلس الحرب في مكان قريب ، في شارع مارتوران : لقد صدرت احكام بالموت بوتيرة سريعة ونفذت في الحال ...

---

(١) — لباس ابيض يرتديه ممثلون في تمثيلية ايحائية صامتة — المترجم —

رجالات الحكومـة المؤقتة .

من هم رجال الحكومة المؤقتة ؟

انه لامر شاق ان نتفحص الافكار ، لا بل المقاصد الخفيـة لاولئك الذين تحملوا تبعة الحكم في فرنسا في وقت كانت فيه كل البنية السياسية لاوروبا موضع تساؤل . لقد اثرت قضايا نفسية بحتة وانا اروي احداث الـ ٤٨ ، وهكذا فان اعضاء الحكومـة المؤقتة الاحد عشر معروفون سابقا لدينا . انها معرفة نسبيـة تماما : فبينما كنت ارسم صورة ليدرو رولان او لامارتين بوسائلي الخاصة وتحقيقاتي ، كنت افكر في الحقيقة بأن هذا السؤال : من هم رجال الحكومة المؤقتة ؟ سيبقى مطروحا طيلة عدة اجيال . انه في الواقع سؤال يتداخل مع سلسلة من المشاكل التي لا حل لها تقريبا . ان قوة رجال السياسة تكمن في صفتهم التمثيلية . وفي الوقت نفسه فان هذه الصفة يمكن ان تكون هزيلة مؤقتة ، والبراعة هي ان نبني عمارة صلبة نسبيا على ارض متحركة . ان رجالات ٤٨ ليست لهم ، من وجهة نظر معينة ، صفة تمثيلية الا بشكل عرضي وهزيل تقريبا . كنت قـد اشرت اليهم بطريقـة التعميم مسميا اياهم رجال « الناسيونال » او رجال « الاصلاح » . لكن « الناسيونال » لم يكن لديها حتى ثلاثة آلاف مشترك فـي فبراير ١٨٤٨ ! كان العمال المتعلمون في باريس وليـون وروان وسان اتيان يقرأون جريدة « الاصلاح » ، غير انها هي ذاتها لـم يكن لديها سوى جمهور محـدود . كانت الطبقة العاملة الاميـة والفقيرة بعيدة كل البعد عن لويس بلان . اذن لن يصنع الجمهورية احد . ومع ذلك فانه لا يمكننا ان نضع لا لامارتين ولا كافينيـاك في معرض للتافهين . ان الرجل الوحيد الـذي لمع اسمه فـي السنوات التي ندرسها هنا ، الرجل الوحيد الذي فرض نفسه

بنجاح على التاريخ هو لويس نابليون بونابرت . والحال اذا كان الامير - الرئيس قد استفاد ببراعة من اسمه ومن امجاد الامبراطورية ، فانه ايضا نموذج لشخصية اخرى طوع قدرها ، غير انها عاجزة تماما عن ان تنسج اسطورتها بذاتها . فما ان يتعثر في تناقضات نظامه ، حتى ينزلق الى الكارثة دون ان يقاوم. فمن ١٨٣٠ وحتى ١٨٧٠ ، انتصرت الاشياء على الرجال . واذا كانت كلمة « شيء » تبدو هنا مجردة للغاية ، فلنقل ان مختلف الفئات الاجتماعية والجماهير هي التي انتصرت ، بمشاريعها المشوشة تقريبا ، على مشاريع شخصية موسومة بسمة هذه الفردية او تلك .

ان دوبون دي لور ، الذي ترأس الحكومة المؤقتة هو شخصية باهتة ودون كبير ذكاء ، غير ان شيخوخته - كان عمره ٨٠ عاما تقريبا عام ١٨٤٨ - هي التي صنعت اسطورته . انه يمثل الاستمرارية الجمهورية والنزاهة السياسية . ان دوبون يقدم حججا الى اولئك المتشائمين الذين يعتقدون ان الناس ، كمادة للرمز ، لا يحتاجون الى الشيء الكثير . مما لا شك فيه انه ، بالمعنى الواسع للكلمة ، شخص شريف ويحب الشعب . لقد ترأس « جمعية تعليم الشعب » (كان امين سرها) بكثير من التفاني طوال السنوات الاولى من الملكية البرجوازية . وبعدهذا، فان نزعة دوبون الجمهورية العنيفة قد عرفت احيانا كيف تحتجب بشكل انتهازي . لست ادري ما اذا كان جورج ويل قد استعمل بوعي اسلوب السخرية المموه ، لكنه يقول عن دو بون دي لور وفرانسوا آراغو ، بشكل عادل تماما ، « كان هذان الجمهوريان قد خدما الامبراطورية والملكية باخلاص » . عام ١٧٩٨ ، وفي ظل حكومة المديرين كان دوبون نائبا في « الخمسمائة » Cing - Cents . وفي عهد نابليون الاول ترأس المحكمة الامبراطورية في روان وانتخب في الهيئة التشريعية في يونيه ١٨١٥ ، بعد واترلو ، اكتسب شهرته لانه بصفته نائبا لرئيس المجلس النيابي ، وجه بيانا الى الشعب الفرنسي يعلن فيه ان البلاد لن تقبل الا حكومة تضمن الحريات الواردة في « اعلان حقوق الانسان والمواطن » . ابلغ دوبون وبعض زملائه هذا البيان الى الحلفاء الذين كانوا يدخلون فرنسا

ـ لكن ويللنغتون وبلوشيه Blucher اقتادا لويس الثامن عشر في عرباتهما دون ان يهتما ابدا بما كان البرلمانيون قد قرروه . بقي دوبون من ١٨١٧ ـ ١٨٣٨ نائبا في المجلس عن لور L. Eure ودون انقطاع . وخلال الاشهر الاولى من ملكية تموز تسلم وزارة العدل . غير انه بـدا للويس فيليب متقدما جـدا فاستقال في ديسمبر ١٨٣٠ . لقد ظهر بمظهر تافه في الحكومة المؤقتـة . وعندما الغي الحكم بالاعدام في القضايا السياسية كان يـذرف دموعا رقيقة : « كم انا سعيد ! لـن نرى المقصلة في ساحاتنـا العامة ، حتى عندما تكون المدينة هائجة . » ومع ذلك فان هـذه اللهجة الباكية والطيبة ينبغي الا تخدعنا . عندما حلت البنتارشيه محل الحكومة المؤقتة عمل دوبون ضد لامارتين . كان بين اولئك الذين قوضوا سلطة اللجنة التنفيذية في الاجتماعات التي عقدت في القصر الوطني . ومع ان دوبون دي لور كان جسديا غير قادر على رئاسة حكومة فبراير ، فانه ربما كان يتألم من سلطان لامارتين المطلق .

في الواقع كان هذا الاخير الرئيس الفعلي للحكومة . كان لامارتين يعتقد انه يحظى بالصفة التمثيلية وكان يريد لنفسه ذلك، وبدون شك فان البلاد لو تجاوبت مع النغم الذي عزفه الشاعر لاصبحت الجمهورية قابلة للحياة ، قوية . ولسوء حظ تماسك واستقرار النظام الذي انشيء في فبراير ، فان الاصوات التـي حملـت على لامارتين كانت ذات دلالات متعـددة . بعض هـذه الاصوات ، وهو الاقل عددا ، كان يدعو لامارتين الى السير قدما في اتجاه شبه اشتراكي ، الا ان الاكثرية كانت ترى في الشاعر منقذ النظام . كان لامارتين يدرك المعنى الرجعي الذي يحمله اسمه وشخصه في الغالب . وخلال المظاهرات والاحتفالات ، التـي اصبحت كثيرة بعد اعلان الجمهورية ، كان لامارتين يكرر امـام لويس بلان وكوسيدير مشيرا الى الجمهور : « كل هؤلاء الناس ، ومهما يقولون ، يريدون في الاساس النظام والملكية ، وهم يعتمدون علي في تأمين هذا وتلك . » لم يكن لامارتين مخطئا ، غير انـه كان مقيدا بشخصيته الرجعية . كان ذلك في الوقت الذي كان يريد ادخال ليدرو رولان الى جمهوريته . والحاصل ان لامارتين

لم يعرف كيف يركب العناصر التي كان يمثلها . لقد اظهر في الحكم عن مزيج مثير من الخجل والغرور . يروي الياس رينيو عن هذا الموضوع طرفة ممتعة . عرف لامارتين بنجاحه الكبير في انتخابات ٢٣ ابريل عن طريق آرماند ماراست (نذكر بأنه كان في مقدمة الفائزين وقد نال ٢٦٠/٠٠٠ صوت وانتخب في عشر محافظات ونال من الاصوات ما مجموعه مليونان) . انتصب لامارتين على مقعده ، رفع نظره الى السماء وبسط ذراعيه وصاح :

ــ ها أنذا اذن اعظم من الاسكندر ومن قيصر .

ثم بصوت خفيض :

ــ انهم يقولون ذلك على كل حال .

كان لامارتين يعتقد انه باصواته المليونين يقطع الطريق على بونابرت . لقد نسي ان الدكان لن يغفر له ليدرو رولان وانه لا يجده رجعيا بما فيه الكفاية . وفي الوقت الذي بدأ لامارتين المعركة ضد امبراطور المستقبل ، كان قد هزم من قبل على يد كافينياك . انه لامر مثير ، فبقدر ما كان يبدو متعجرفا وحقودا تجاه لويس نابليون ، بقدرما كان ضعيفا في دفاعه عن نفسه في وجه كافينياك . حتى انه مهّد الطريق تماما امام كافينياك في يونيه وهو امر تهنّئه عليه دانيال سترن . هذه الاخيرة رأت في ذلك شهادة على سمو الشاعر ونزاهته . انا لا اوافق على وجهة النظر هذه . كان لامارتين في يونيه يبدو وقد انهكته السلطة منذ زمن وهو ان تخلى عنها فانما يفعل ذلك بسبب التعب . يصوره هيجو « شاحبا ، مهزوما ، لحيته طويلة وثيابه لم تنظّف بالفرشاة وهي مغبّرة » .

هيجو : اين نحن يا لامارتين ؟

لامارتين : نحن ... !

غير ان هذا التقلب في الطباع وهذه التغيرات المؤسفة في المزاج تبقى بالاحرى خطايا غير مميتة على الصعيد السياسي . نحن نعرف ان عددا من رجالات الدولة قد نجحوا نجاحا كبيرا بفكر انهزامي وعن طريق التنبؤ المستمر بكوارث لم تكن تقع ابدا .

ارتكب لامارتيـــن في الحكومة اخطاء اكثر فداحة ، فقد احاط نفسه بأناس سيئيـــن في الوزارة اولا ، وأعطى ، ثانيا ، لنفسه صـــورة محببة ، ليّنة الجانب غيـــر انهـــا مزيّفة . ولانه كان يوحي بانـــه تنقصه الطبيعية ، فقد اثار كثيرا من الريبة . كان يمثل دور صديق كل الناس، الا انه في الساعات العصيبة لم يجد جماعـــة مخلصة قادرة على ان تقاتل من اجله . وخلافا لغارنييه باجي وليدرو رولان، فان لامارتيـــن لم تكـــن له جماعة . وفضـــلا عن ذلك فان جماعـــة غارنييه باجي كانت ، خلافا للمظاهر ، متماسكـــة اكثر بكثير مـــن جماعـــة ليدرو رولان واكثر منهـــا استعـــدادا للقتال . حافظ غارنييه باجي ، الذي كان وزيرا رديئا للماليـــة والذي قضى على نظام الحكم بضريبة الـ٤٥ سنتيمـــا الغبية والتي فرضها ، حـــافظ طويـــلا على وضع سياسي قوي للغاية .

كان لامارتيـــن جميلا . وبالمقابل فان وزير العدل كريميو كان يعرف بانه احد اقبح الرجال في فرنسا . ان مقـــارنة قسماتـــه بقسمات القرد لم تكـــن افتراء عليه . كان احد النواب ، ايام الملكية البرجوازية في يناير ، قد لقّبه في المجلس با « القملة الفصيحة » . كان لدى كريميو مكتبا ضخمـــا للمحاماة وقـــد علمته مهنة المحاماة كيف يُغرق في فيض من الكلام آراء متناقضة .

سوف نصنّف كريميو بين **جمهوريي الغد** . (هناك محامون، امثال ماري وبتمونت متقلّبون اساسا مثل كريميو غير انهمـــا كانا يتوتران اثناء الكلام وكانا يمثلان دور الاباء النبلاء . لكنهمـــا كانـــا اقل براعـــة من جول فافر الذي لم يكـــن ينازعـــــه احد في دور **الاب النبيل** . كان كريميو مرنا ومرنا بشكل صريح ، وكان ناخبـــوه في شينون يحبونه حتى العبادة ويكثرون من اقامة الحفلات علـــى شرفه) . في يونيه ١٨٤٨ بدا كريميو خائفا اكثر . يروي توكفيل حوارا طريفـــا بيـــن كورمينان وكريميو : اقنع الرجلان الواحـــــد منهما الاخر وبسهولة بالا يعرّضا شخصيهمـــا العزيزين للخطر في الاحياء التي يزغرد فيهـــا الرصاص . انهـــا لحظـــة ضعف . واذا كان كريميو لا يحب سماع ازيز الرصاص فانه على اي حال عرف في ٢٣ يونيه كيف يخطب بذكاء في الحرس الوطني . كتب توكفيل .

« لم نر كريميو متعبا مثل ذلك اليوم ، فهو مختل الهندام يتصبب عرقا ، ملوث بالغبار وقد لف نفسه بوشاح طويل عدة مرات وباتجاهات مختلفة حول جسمه الصغير ، غير انه كان يجد باستمرار افكارا جديدة او بالاخرى صياغات وكلمات جديدة يحرك تارة ما كان قد سرده قبل قليل ، وطورا يسرد ما كان قد حركه ، دائما فصيح ،دائما متحمس ، لا اعتقد انه يمكن ان نتصور رجلا اكثر قبحا ولا اكثر بلاغة » .

يروي موبا Maupas الذي كان احد المساعدين المقربين للويس بونابرت ، والذي لعب دورا رئيسيا في الانقلاب بعد تعيينه مديرا للشرطة في ديسمبر ١٨٥١ ، يروي حكاية ممتعة : صباح الثاني من ديسمبر استقبل امرأة محبوبة جدا ، كان زوجها محاميا شهيرا . قالت له الزائرة ما موجزه :

« بيتنا مليء بوجوه مشؤومة . اكوام من الناس من شذاذ الآفاق يحثون زوجي على الذهاب الى المتاريس وتنظيم المقاومة . وسوف يناله سوء كبير اذا لم يستجب لمطالبيه بذلك وهو أن فعل يعرض نفسه لخطر الموت بشكل سخيف . قدّم لي وله الخدمة واعتقله . وسيصبح بذلك في أمان » .

كان المقصود هنا زوجة كريميو .

كان وزير العدل في الحكومة المؤقتة يهوديا في جنوب فرنسا . (لقد لعب زيادة على ذلك دورا هاما في الجمعية اليهوديةالعالمية) . اما زميله غودشو وزير المالية فكان يهوديا من الالزاس . لم يكن برودون يتذمّر كثيرا امام غودشو وكريميو . كان يقول في فبراير وهو يتذكر السيطرة المطلقة لروتشيلد اثناء الملكية البرجوازية: « لم نفعل شيئا سوى اننا استبدلنا يهودا بيهود » لنضف أن برودون ،وهو يتكلم هكذا ، كان يمزج السخرية المرحة بالمزاج السيء . وهكذا فقد ضم خطأ الى كتيبة اللاساميين المحاربين ايام حكومة فيشي . في عام ١٨٥٢ كان برودون بين الاوائل الذين اقترحوا ترشيح غودشو للهيئة التشريعية . وقد أقام صلات ودية معه . واذا لم يكن كريميو قائدا ماهرا فان غودشو كان على النقيض

رجلا شجاعا . هذا الرجل الابيض تماما ، القصير والسمين ، لم يتخوف ابدا في ٢٣ يونيه من مجابهة المتاريس . « الان ، كان يقول بلهجته الالزاسية ، **اريد أن اذهب قليلا القتال** » . كتب توكفيل ، انه يقول ذلك « بلهجة عسكرية جدا وقليلة الانسجام مع شكله المسالم حتى انني لم اتمالك نفسي من الضحك » نحن نتذكر ان بنية الحكومة المؤقتة كانت كثيرة المراتب وانه اذا كان كريميو عضوا في الحكومة ، فان غودشو ، وزير المالية البسيط ، لم يكن بحصر المعنى من اعضاء الحكومة . ان غودشو ، الحازم تجاه متمردي يونيه ، كان وجلا امام روتشيلد . كان لامارتين وفرانسوا آراغو قد الحّا على غودشو كي يتسلم وزارة المالية ، كانا يعرفان مدى صلته بالبارون روتشيلد ، وكانا يتخوفان من ان يتصرف هذا الاخير كخصم حقود للنظام الجديد . كانت الجماهير قد احرقت قصر روتشيلد في بوتو Puteaux في اليوم التالي لايام فبراير وكان روتشيلد قد تعهد بتقديم قرض قيمته ٢٥٠ مليونا في عام١٨٤٧ . لقد فقد رجال الناسيونال صوابهم من احتمال قطيعة مع البنك الكبير . وخلافا للامارتين وغودشو وآراغو ، فان كوسيدير كان يعامله بالفة متجاوزة الحد حتى انه قدم له بعضا من رجاله الجبليين لحمايته . وكما قلت فان غودشو ترك الوزارة في ٥ مارس ثم دخلها بدعوة من كافينياك عندما برزت الرجعية التي اعقبت ايام يونيه .

ان لهجة واسلوب ليدرو رولان وزير الداخلية هما حاران وغنيان بالافكار .

يتحدث نادو في **مذكراته** التي كتبها في اواخر ايامه عن ليدرو رولان بكلمات تدل على عطفه عليه واعجابه به :« كان وقاره الجميل وقامته المديدة ووجهه المحبّب الفائق الجمال ، يجعل منه احد ابرز الرجال الذين يمكن ان نصادفهم » . ومع ذلك فاذا كان هذا الجمال العامي والخشن يلهب الجمهور ، الا انه كان يثير نوعا من السخرية عند البرجوازية والاريستوقراطية . لنورد بعد مذكرات البنّاء نادو ، **مذكرات** ماكسيم دي كامب . كيف رأى هذا الاخير ليدرو رولان ؟

« انه مدعي الجمال ، يرتب شعره على احدث زي ، يرفع رأسه ويلتفت نصف التفاتة ، ذو خدود ضخمة منتفخة واصفرار مفاجيء ينبيء عن فؤاد قليل الثقة بنفسه . كان فارغا وصاخبا وكانت خطبه الملأى بالاطناب تنم عن الفصاحة .. كان كصندوق كبير يبعث الموسيقى وهو يتفاصح ... كان رجلا من عامة الشعب ويبدو ان انتفاخ فكره قد امتد الى جسده » . كان ليدرو رولان يشبه المثل الرديء والمشعوذ وكانت الالسنة القارصة في ١٨٤٨ تردد بسرور ان وراء صعود ليدرو رولان مشعوذ مشهور يدعى كومو Commus وزيادة على ذلك كانوا يأخذون عليه مجونه . كان قد تزوج من امرأة غنية وكان يتمتع جهارا بالملذات التي توفرها له ثروته وكانت الافتراءات عليه تُصدق بسهولة . كثيرا ما روى الناس الانفعال الذي اصاب القرويين عندما علموا بالحياة الماجنة المليئة بالعربدة التي يعيشها وزير الداخلية . ونتيجة لتورية مزدوجة كان ليدرو رولان وكأنه بارا Barras (رجل سياسي فرنسي ١٧٥٥ ــ ١٨٢٩ عضو في الكونفوسيون ثم في حكومة الادارة ــ المترجم) . جديد يعيش وسط الحريم : « لا بأس ان تكون له امرأة »، كان الناس الطيبون يرددون، لكن الرجل عنده الكثير من النساء : « ماري ولا مارتين » (هنا استعمال لاسم لامارتين بشكل مجزأ اشارة الى علاقته بلامارتين وتمسك لامارتين به ــ المترجم) . ومع ان دانيال سترن جمهورية صميمة فقد حكمت على ليدرو رولان بقساوة : « ان حياته الخاصة التي لم يعرف كيف يجعلها تخضع لقاعدة صارمة بما يكفي ، ووطنيته الصادقة انما المغالية ، وطبعه المنفتح ، الكريم والذي يعوزه الثبات ، ومعارفه التي كانت سطحية اكثر منها راسخة ، وحتى استقامته الطبيعية التي طالما افسدتها رغبته الجامحة في الشهرة ، ان كل ذلك لم يجعله مؤهلا للقيادة » .

ان مثل هذا الحكم لا يبدو لي منصفا . ان احكام المؤرخين بشكل عام ، هي قاسية جدا على ليدرو رولان . لقد عرف الرجل كيف يأخذ على عاتقه مسؤوليات جساما . ان اوجيني سبولار ، مساعد غامبيتا ــ سبولار ذاته الذي اصبح وزيرا ورئيسا للوزراء ايام الجمهورية الثالثة والذي كتب مؤلفا مهما بعنوان **تاريخ ٤٨** ــ سبولار يوجه انتقادات ترتكز الى اساس اكثر من انتقادات

دانيال سترن . أحب ليدرو رولان الشهرة كثيرا . غير انه لم يحب السلطة ابدا . وفي الغالب فأن الجمهوريين التقدميين لم يتصوروا في الاعوام الاربعينات ، ان بامكانهم الوصول الى الحكم قريبا ، وبالنسبة لهم فان المسائل السياسية والاجتماعية كانت تطرح على صعيد التربية أكثر منها على صعيد الدولة . يعتبر سيولار انه كان هناك فساد سياسي في الحزب الجمهوري عام ١٨٤٨ . لقد اكتفى ليدرو رولان واصدقاؤه ببساطة بدورهم كزعماء للمعارضة ، وكانت النضالات الانيقة (السهلة) والحماسية على المنبر تروقهم اكثر من الممارسة الصعبة والمضنية للسلطة ... لقد قلت بان ليدرو رولان اصبح عضوا في اللجنة التنفيذية رغما عنه . وعندما ازيح عن السلطة بعد احداث يونيه ، جابه تكالب الرجعيين الذين ثاروا ضده ، ليس بشجاعة وحسب وانما بمهارة ايضا . لقد تفوّق في هذا الدور على لويس بلان بشكل لا يمكن مقارنته به . حتى انه انتقل في ٢٥ نوفمبر ١٨٤٨ ، الى الهجوم على كافينياك ، وذلك في جمعية مؤيدة للجنرال زيادة على ذلك . كان كلامه حادا ومترابطا جدا حتى ان عددا من النواب خجلوا من انفسهم وصفقوا رغما عنهم للخطيب . اثناء انتخابات رئاسة الجمهورية في ١٠ ديسمبر نال ٣٧٠،٠٠٠ صوتا . الا ان ليدرو رولان نال ما مجموعه مليونا صوت وانتخب في عدة محافظات بعد خمسة اشهر اي في ١٣ مايو ١٨٤٩ عندما دعي الشعب الى تسمية ممثليه في الهيئة التشريعية (نال عدد الاصوات التي نالها لامارتين في ٢٣ ابريل) . كان بامكان ليدرو رولان ان يلعب دورا في الدرجة الاولى في الجمعية التشريعية غير انه تورط في شؤون روما .

في ١٣ يونيه ١٨٤٩ دعا الشعب الى حمل السلاح ، كان يتذرع ، بحق ، بان الحملة التي وجهت ضد الجمهورية الرومانية هي انتهاك صارخ لدستور ٤ نوفمبر ١٨٤٨ . لم يستجب لهذا النداء لا ابنوسي ضاحية سان انطوان ولا ميكانيكي لاشابيل . لماذا يبدي كثيرا من الحماس تجاه الرومانيين في الوقت الذي تم التخلي عن البولونيين ؟ كانت الضواحي الصامتة تقيم احتفالا اليما لذكرى مرت عليها سنة . كان ليدرو رولان وغينار قد استقبلا باستياء عندما طلبا الى الشعب في يونيه ١٨٤٩ ان يهز عفرته

القاسية ، في حين كانا قبل سنة يساعدان كافينياك وفاللو ضد الثوار : في يونيه ١٨٤٨ كان ليدرو رولان يستدعي الحراس الوطنيين في روان وآمينين لكي يُخضعوا باريس بالقوة وكان غينار يركز المدافع في اوتيل ديو ويكنّس بالقنابل متاريس الضفة اليسرى . لنضف بأن الكوليرا اجتاحت باريس في ربيع ١٨٤٩ وان الوباء ضرب الاحياء الشعبية بشدة . ومع ذلك فان الجاذبية الثورية بقيت كافية لكي ترتسم بعض المتاريس في ضاحيتي سان دنيس وسان مارتن ، هذين العشين التقليديين للثورة . كان قيام هذه المتاريس، والحق يقال ، يعود الى قوة العادة اكثر منه الى شدة الحماس ، انها متاريس متواضعة لا نستطيع باي حال مقارنتها بالاعمال الجبّارة في يونيه ١٨٤٨ . غير ان حكومة ثورية برئاسة ليدرو رولان ، وبحماية بعض رجال الحرس الوطني الديمقراطيين — الاشتراكيين الذين جمعهم غينار ، كانت تمارس اعمالها ولمدة ساعتين في معهد الفنون والمهن . كان عدد رجال غينار ضئيلا جدا بالقياس الى رجال شانغارنيه ، ولم يكن صدام معهد الفنون والمهن الا مهزلة . لم يتمكن ليدرو رولان من الهرب من معهد الفنون الا بعناء كبير لان بدانته كانت تضايقه وقد فر من احدى النوافذ بعدما كسر زجاجها . ذهب الى لندن وقضى اكثر من عشرين سنة في المنفى . ان مسألة ١٣ يونيه التي صيغت وبوشر العمل بها بشكل سيء قد حطمت مسيرته . فبدلا من ان يحرك الشارع عبثا، كان باستطاعته وكان ينبغي عليه أن يعزز وضعه في الجمعية الوطنية . (ذلك كان رأي ماركس وبرودون وهي المرة الوحيدة التي يتفقان فيها) . مما لا شك فيه ان الديمقراطيين الاشتراكيين كانوا اقلية مقابل عدد ضخم من المحافظين ، غير ان هؤلاء كانوا منقسمين في حين ان المائة وثمانين نائبا اشتراكيا ديمقراطيا — ١٨٠ جبليا — بزعامة ليدرو رولان كانوا يستطيعون تشكيل اقلية متماسكة جدا وقوية بما فيه الكفاية . ان الضعف الاكبر لليدرو رولان عام ١٨٤٨ و١٨٤٩ يكمن اساسا في تقديره الخاطيء للوسائل التي كان يمتلكها في الشارع وفي المجالس النيابية . ففي عام ١٨٤٨ مال الى تقدير قوته اكثر مما كانت تستحق في الجمعية والى الحط من قيمة هذه القوة في الشارع . وبالعكس فانه عام ١٨٤٩ كان يقدر قيمة وسائله في البرلمان اقل مما هي وادعى لنفسه قوة في

الضواحي الباريسية لم يكـن يمتلكها ابدا .

ان في ليدرو رولان مركيز المسرح ، انه مركيز قام بدورممثل صغير من الريف ، انني ، في قولي هذا ، اكرر حرفيا تقريبا ما كان يكتبه محرر المقالات الشهير كسافييه دي مونتيبان في جيدتـــــه **لوكانار** (الجريدة ــ الصوت الصارخ) عدد ٣ ، ١٦ ــ ٢٣ ابريـــل ١٨٤٨) . ومع ذلك فان نعت المركيز قد تسبب اكثر بكثير الـــى ماراست اكثر منه الى ليدرو رولان . ان كـون ماراست طالب لذة، بل ان كونه قــد اراد ان يعطي لنفسه صورة الماكر والوصي ، امر مؤكــد . غير انه في الاجمال معلم مدرسة اكثر منه مركيز .

كان ماراست مدينا بشهرته للجنرال لامارك وكان يعلم البلاغة في معهد اورتز عندما استدعاه لامارك الى باريس . وقد اصبح في وقت من الاوقات مديرا للدراسات في معهد لوسي الكبير قبـــل ان يصبح صحفيا . في سنة ١٨٣١ اصبح موجه جريدة **التريبيـون** La tribunne ثم تسلم بعد موت كاريل ادارة جريدةالناسيونال . وعندمـــا حل بعد ايام يونيه محل سينار ، فاجأ كثيرا من النواب الذيـــن لم يروه قط في هذا الدور .

ــ سوف يفشل قريبا بصوته الحاذ ومظهره الهزيل .

ــ ابدا ، اجاب هيجو الــذي كان يتذكر بحق ان ماراست كان معلمـــا قديمـــا . لقد تعود ماراست على الطلاب . ان توجيـــه الطلاب وتوجيه الرجال امر واحــد .

وحسب اقوال هيجو فان ماراست كان رئيسا بارزا . من جهة اخرى اخذ الناس على ماراست تصرفاته « كمركيز الرعب الصغير » بصفته عمدة باريس وليس بصفته رئيسا للجمعية التأسيسية . وفي عدد من الصحف سواء منها الرجعية والاشتراكية ، قدمت حفلات الاستقبال التي كـــان ماراست يقيمها في دار البلدية على انهـــا حفلات قصف باذخـــة . . ان عددا من السيدات الشهيرات لم يكن يرفضن تلبيـــة دعوات ماراست ، وكان يمكن ايضا رؤية رجال الدرك وهم يدخنون ويلعبون بالورق في صالونات القصر البلدي ، فبعــد

ايام يونيه كان هؤلاء يعتبرون منقذي الحضارة . كانت النبيلات يسترقن النظر اليهم بعطف خاص . **كان توكفيل يبدي اشمئزازا** تجاه ماراست الذي كان يلتقي به عادة ، اذ ان الرجلين كانا يعملان جنبا الى جنب في لجنة الدستور . كان توكفيل كذلك يعرّف ماراست بأنه « مزيج من الخنوع والصفاقة » وزيادة على ذلك فان توكفيل ، المتحفظ والمعتدل في كلامه ، كان ينصت بانزعاج الى ماراست وهو يروي احاديث لا تنتهي عن ثروته . اذا كان ماراست طالب لذة ومراوغا ـ ذكرت افتراءاته على لويس بلان ـ فانه لم يكن يقبل الرشوة ، لقد فشل في انتخابات عام ١٨٤٩، ثم توارى في العزلة وتوفي فقيرا جدا عام ١٨٥٢ وكان له من العمر خمسون عاما تقريبا .

ان ترك ليدرو رولان وماراست لاقامة اتصال مع اقصى اليسار في الحكومة المؤقتة ، اي مع لويس بلان ، البير وفلوكون ، معناه ترك حزب طلاب اللذة والتوجه الى حزب الاسبرطيين Spartiates . يقول كوسيدير ان عشاء كل من لويس بلان والبير كان يكلف فرنكين ونصف . يؤكد لويس بلان في كتابه **« صفحات من تاريخ ثورة فبراير »** ، الرقم الذي قدمه كوسيدير : « كان غدائي وعشائي يكلفاني في الاجمال خمسة فرنكات » . الا ان هذا التصريح لم يجرد اعداءه من السلاح. « كنا نفضّل ، يجيبه اورلياني مثل كوفيليه فلوري ، ان نراك تتعشى بعشر فرنكات او بعشرين للوجبة الواحدة وان تكون رجل دولة اقل تحريضا واكثر هدوءا ورزانة ، رجل دولة لا يزرع اخطر الخرافات في ادمغة ابناء الشعب » . لم تكن الموهبة تعوز لويس بلان ، لا في كتاباته ولا في خطبه ، ان كتاباته تدل على ان صاحبها كاتب فعلي . ان **التنظيم العمل** هو عمل رائع موجز ولبق . غير ان عيوب لويس بلان كانت كثيرة . كان مصابا بمركب نقص يعود الى قامته الصغيرة ، كان صغيرا جدا بل انه اصغر من تيير. وعندما كان يتحدث على المنبر كان يضطر للوقوف على مقعد ، على بوفه Pouf (مقعد من الاسفنج اوغيره ـ المترجم). كان بيرانجيه يسميه دائما «بلان الصغير» وهو امر كان يثير غضبه . كانت صورة بلان جذابة ذكية غير انها شابة ، وهذا الوجه الشاب مع هذا الجسم الصغير كان يجعل

الاخطاء امرا عاديا ، ففي اللوكسمبورغ ظنه الحجّاب ، في الايام الاولى للثورة ،طالبا ثانويا يبحث عن معلميه ، كان انيقا في لباسه وكان يدّعي بسذاجة انه جذاب للنساء كما للجمهور . كانت مالفيدا فون ميزنبورغ ، صديقة فاغنر ورومان رولان ، تلتقي غالبا بلويس بلان عندما كان منفيا في لندن ، لقد دهشت لهذه الخيلاء في طريقة اللباس ولتلك الدونجوانية . لم يكن لويس بلان يشكو من قامته الصغيرة فقط وانما من الفقر ايضا . انه من اصل كورسيكي ، كان ابن عم بوزو دي بورغو ، وكان الدم الاريستوقراطي يسري في عروقه . وبما انه فقد اباه في وقت مبكر جدا ، فقد اضطر للعمل في وضع صعب كي يؤمن حاجات عائلته . ان تصرفه كمتسول في غرفة انتظار وزارية او في صالون في ضاحية سان جرمان كان بالنسبة له عذابا . ومن هنا هذا القسم الهنيبعلي Serment d'Annibal الذي يستعيده في حديث الى مندوبي اللوكسمبورغ :

« لقد قلت وانا ما زلت طفلا صغيرا : هذا النظام الاجتماعي جائر .. لن انسى ابدا انني كنت احد اطفال الشعب الاكثر تعاسة وان المجتمع كان يرهقني . ولقد عملت ضد هذا النظام الاجتماعي الذي يجعل عددا كبيرا من اخواننا في « قسم هنيبعل » تعساء » .

كان البرجوازيون الكبار يسخرون وهم يستمعون الى مثل هذه الاحاديث من لويس بلان : لويس بلان رجل من الشعب ؟ لكنه من رجالاتنا ! كان ابوه مفتشا في وزارة المال . لم تكن السخرية مبررة الا جزئيا ، ان البؤس قد جرد لويس بلان من وضعه الطبقي .

لم يكن لامارتين يكره مشهد الجماهير الصاخبة المتوعدة ،على الاقل في الاسبوع الاول من الثورة . ان يتكلم والبنادق مسددة اليه ، كان ذلك يبدو له المهمة الطبيعية ، العادية والرائعة للخطيب الشعبي . كان يعرف ان لديه ردود فعل السيد الكبير المتأصلة وكذلك كان يعرف ان لديه حيوية لا تنضب . لذلك كان يحتقر لويس بلان وكان يعتبره رجلا متأنقا يغمى عليه وهو يصلح للثرثرة في صالون صغير اكثر منه لتحركات الشارع . لقد اضطر

لامارتيـــن اكثر من مرة خلال ايام الثامـــن والاربعين ،ان يحمـــل لويس بلان ، وهو شاحب تمامـــا ، الى احدى النوافذ لكي يجعلـــه يتنشـــق الهواء . كان رئيس لجنة اللوكمسبورغ ذاتـــه يعتقـــد ان **حالات الاغماء لا تصنع شعبا** وهو يدافع عن نفسه بحـــدة والحـــاح مثيرين للسخرية تماما ،لانه أغمي عليه:في عام١٨٤٨ كان الكثيرون يقعـــون مغشيـــا عليهم سواء في دار البلدية او في مجلس النواب: ففي ١٥ مايـــو ، انفعل عدد من النواب لرؤيتهم الشعب يشتـــــرك بخشونة جذله في اعمالهم ووجدوا ان حالتهم سيئة فنقلوا الـــى اراض خضراء مجاورة لقصر بوربون . كان على لويس بلان ان يغفر لنفسه هذه الاغماءات ، الا انه لكـــي يبدي هذا التسامح تجاه نفسه ذاتهـــا ، كـــان يلزمه مزاج اقل قلقـــا واقل غيرة . ومع ذلك فـــان لويس بلان كان يعرف في الغالب كيف يكون مقدامـــا . لقـــد ابدى شجاعة فعلية في ١٥ مايو ، وكان يعاني من مزايدات اليسار المؤيد له بينمـــا كان ملاحقـــا بحقـــد اليمين الشرس ، ابدى شجاعـــــة عندمـــا قاوم دون ضعف ولم يترك قصر بوربون حيث كان في ذلك اليوم يتعرض لاسوأ المخاطر بغض النظر عن رأي ماراست في ذلك. لكن ، لا شجاعة لويس بلان ولا فصاحته اثمرتا كثيرا في الثـــامن والاربعين ، وهو امر مثير. ان لويس بلان ، الذي يمثل ثورة فبراير بشكل نموذجي ، لم يكـــن يعيش في عصره ، انه سابق لعصره . كان كلام لامارتيـــن المرن والسحري ، السحري جدا برأينا ، يهدهـــد معاصريه ويحول دون انطلاق المركبة الثورية . انه ـ اي كــــلام لامارتين ـ يصدمنا ، وهو يبدو في الغالب كريها واحمق . ومجمل القول ان لامارتين كان يغطي عري الثورة ، غير ان الرجـــال الذين يفضلون ضمانات مزيفـــة على تشخيصات واضحة كانوا يقدرون له كونه مخادعا . كان لامارتين يكره ما كان يسميه «الطراز المترجرج» للويس بـــلان . غيـــر ان هذا النمط المترجرج ، اللاهث ، هو نمط جذاب . وسوف اقول ، دون رغبة مني في ان اكـــون مفارقا ، ان لويس بلان ازيح حالا عن مسرح التاريخ لانه طرح مشاكـــــل عصره بدقة . لقد فضل معاصروه سماع انشودة اكثر شجوا ، وأقدم عهدا واشد كذبا . من جهة اخرى كان لويس بلان ،كـــونه عضوا فـــي الحكومة وكونه واقعيا ، يقدم هدفا سهلا لاولئك الذين ظلوا مجرد منظرين والذيـــن كانوا يعملون للثورة الاجتماعية في مكاتبهم بكـــل

بساطة . كان لويس بلان موضع هزء تام لبرودون . اكثر هذا الاخير من انتقاداته ضد رئيس لجنة اللوكمسبورغ ، تلك الانتقادات التي كانت لاذعة وخبيثة ومضحكة اكثر مما كانت ذكية . كان لويس بلان سهل الاصابة الغاية ، فهو كاشتراكي كان مشبوها بالنسبة لزملائه ، وهو مشبوه ايضا عند الاشتراكيين والشيوعيين لكونه عضوا في الحكومة . غير ان انهياره لا يعني ابدا ان افكاره كانت سخيفة او طوباوية . في احدى الجلسات الطويلة والمضنية – استمرت ١٤ ساعة – ناقشت الجمعية التأسيسية في ٢٥ اغسطس مسألة ما اذا كان ينبغي ان يحال لويس بلان وكوسيدير الى القضاء . يبدو ان لويس بلان قد تكلّم بفصاحة بثقة وحماس، كان هذا رأي اولئك الذين سمعوه . ومع ذلك فان مستمعيه الذين اصبحوا حكامه كانوا يشعرون ، سواء أكانوا يمينا او يسارا ، بأن لويس بلان يتكلم ، بمعنى ما ، في الفراغ ، فهو لا يصيب لا اصدقاءه ولا خصومه . والحق انه عندما نعتقد ان الناس عصيين على حججنا ، فان حظنا في التأثير بهم يصبح قليلا ، ولويس بلان لم يكن يعلل النفس باية اوهام حول الجمعية . فعندما كان يلقي كلمته ، رأى احد زملائه من جماعة اليمين وقد اتى الى قاعدة المنبر واخذ يفرك يديه بفرح وهو يتمتم :

هيا ، هيا ، تكلم بقدر ما تريد ، انك مج ...

مثل هذا الكلام لا يشجع خطيبا ابدا .

ومع ذلك فقد لوحظ في هذه الجلسة ان كوسيدير ، الذي كان مثل بلان موضع اتهام ، والذي لم يكن له لا موهبته ولا نفوذه، قد أثّر في الجمعية اكثر من بلان . كان عدد من النواب ، الذين صوتوا الى جانب ملاحقة لويس بلان، اكثر تسامحا تجاه كوسيدير . بيد ان مدير الشرطة السابق مثله مثل الرئيس السابق للجنة اللوكسمبورغ ، قد ادينا من قبل اكثرية الجمعية التأسيسية . لقد ذهبا في الحال الى لندن لكي يتخلصا من متاعب حكم ما يمكن ان يصدر بحقهما . في ٢٥ اغسطس انطلق قطار الابعاد الاول ، اذا صح القول . وفي ١٩ يونيه ١٨٤٩ انطلق القطار الثاني،

فطار ليدرو رولان . امـا القطار الثالث فقد انطلق فـي ديسمبر ١٨٥١ وكان الاكثر اهمية : كان يضم جنرالات امثال كافينياك وبيدو، واورليانيين مثل تيير ... لم يكن لويس بـلان يبدو مرتجا مصدوما على المنبر فقط . ففي اجتماعات الحكومة ذاتهـا ، كانت الدماثة تعوزه اذ ان الصعوبات السياسيـة سرعان ما تتحول عنده الـى خشونـة شخصية . كان لويس بلان يبـدو بغيضا بشكل خاص بالنسبة لفرانسوا آراغـو الذي كـان زيادة على ذلك يوبخـه باستمرار ويعتبره طفلا . لقـد تعوّد آراغـو ، الذي كان مشهورا والـذي كان في الستين من العمر ، ان ينحني الاخرون امامه . كان لويس بلان يعرف ان شعر عالم الفلك الفضي يتخذ طابعـا مقدسا في دار البلدية ، وكان في الاجمال مخنوقا من الاحترام الذي كان مرغمـا على ادائه . بعد الاحداث المأساوية التي وقعت في روان في ابريل ١٨٤٨ ، ابدى فرانسوا آراغـو اعجابا شديدا بالطريقة التي اعاد بهـا الجنرال جيرار النظام الى نصابه . كان لويس بلان يعتقد ان على الحكومة ان تحقق بشدة في عمل جيرار ،اذ ان القمع الذي كـان داميـا للغايـة لـم يكـن يتناسب مع التحـرك العمالي . انتصر لويس بـلان على آراغـو بعـد مشادة عنيفة ، انه انتصار قصير لا وزن له ، لقد ساعـد العمال الذي سقطوا برصاص الجنود في حي مارتن فيل ، على ترقيـة الجنرال جيرار الذي اصبح لواء في ١٩ يونيه ١٨٤٨ .

نأتي الان على ذكر فردينان فلوكون الذي نعرفه اقل من البير . ان المسألـة التي كنا قـد طرحناها في بدايـة هذا الفصـل ـ **الى اي حد كان رجال الحكومة المؤقتة ذوي صفـة تمثيليـة ؟** ـ تتوضح مع فلوكون . لقد اذاع المحافظون في ١٨٤٨ عـن هـذه الشخصية الرقيقة التي كانت تدير جريدة **الاصلاح** ، انها رائـدة خمّارة ومسوّدة غلايين . كان وجه فلوكون اليفا ، منتفخا قليلا وكان يمتاز بطابع شعبي طيب . كـان من السهل ان نصنع من هذا الوجه رأس غليون (شخصا une tête de pipe) : لقد تمتع رسّامو الكاريكاتور بذلك . استطاع فلوكون ان يتجاوز هذا العبء البسيط جدا . واثناء وجوده في الحكم لم تظهر عنده ايـة صفة رئيسية . لقد ارتكب عددا لا بأس به من الحماقات خاصة قصة الذهب الذي

ادعى انه يغذي ثورة يونيه ١٨٤٨ الا انه قـال ذلك بنظام ودون ان يصدقه كثيرا . كـان وزيرا غير بارز الا ان المهام التـي عهد بها اليـه لـم تتجاوزه كمـا كان الامر بالنسبة لتريـلا . لم تكـن الجماهير هي التي افرزته ، بحصر المعنى ، وانما كـان نتـاج الجمعيات السرية ، نتاج الماسونية . انه بهذا المعنى ذو صفـة تمثيلية ومعاصر بما فيه الكفاية . واذا كان دوشاتل ، البرجـوازي الكبير ، المالتوسي والغني لكنه دون اي ميل ، اذا كان نموذجا للوزير في ملكية يوليو ، فان فلوكون يعتبر نموذجـا للثامن والاربعين . لم يجهد نفسه بشكل مسعور في ٢٤ فبراير مثل راسباي او لاغرانج ، كان يتلقى الاوامر المعطاة ، ينفذ ويحمل الاخرين على تنفيذ تعليمات محـددة ، انـه يضع الرجال في اماكنهم . كان يعرف كيف يبـدو حازمـا وراء مرونة ظاهرة . لقـد تطور في الحكم وانزلـق ، اذا صح التعبير ، من جريدة الاصلاح الى الناسيونال . كافأه كافينياك على هذا الانزلاق ، فبعـد احداث يونيه اصبح فلوكون وزيرا فـي الحكومة التي شكلهـا الجنرال الديكتاتور .

يبدو عام ١٩٤٨ ذا مظهر مزدوج ، كاثوليكي وماسوني ، اننا نجـد كاثوليكيين في مكتب الجمعية : الرئيس بوشيه ونائب الرئيس كوربون . غيـر ان بوشيه حافظ على صلة وثيقـة مع محاربـي الجمعيـات السريـة القدامى ، اما كوربون فقد هجر الكنيسة فيمـا بعـد كـي ينضم الى الماسونية . كانت الحكومة ذاتها مؤلفة مـن الماسونيين : دوبون دي لور ، كريميو ، ليدرو رولان ، غارنييه باجي ، ماري ، لويس بلان ، هؤلاء جميعـا ماسونيون . ونضيف بان كافينياك ماسوني ايضا وهـو ما يفسر جزئيا انحياز رجال امثال دوبون دي لور الى جانبه ، كمـا ان ذلك يفسر السهولة التي حملـه بهـا جمهوريون الناسيونال الى الديكتاتورية .

ان اندريه لوباي André Lebey ، الذي يلعب هو ذاته فـي ايامنـا الحاضرة دورا هامـا في الماسونية الفرنسية ، والذي درس مرحلة الثامن والاربعين بشكل مناسب ، كان مقتنعا بان الماسونية كـانت قد شكلت الرابطـة الفعليـة للحكومة المؤقتة . واذا كانت جماعتا الناسيونال والاصلاح المتناقضتان بشدة قد تمكنتا من الالتقاء ومن اظهار تماسك نسبي ، فـان ذلك يعـود ، كمـا يعتقد اندريه لوباي ، الى العمل الخفي انمـا الحازم والمستمر للماسونية .

ايديولوجيات الثامن والاربعين

ان فشل ثورة فبراير والتفكك السريع للحكومة المؤقتة ، ثم ان الحماقات والثروات وعجز لامارتين او لويس بلان قد افقد الثقة بافكار الثامن والاربعين . انه فقدان ثقة مفهوم الا انه غير عادل ، وبدون شك فان الاسلوب المتباكي ، المثالي ، المنتشي والخاص بهذه المرحلة ، هو اليوم قديم ـ وزيادة على ذلك هو كريه اذا ما عرفنا تفاصيل الاحداث وسلوك الرجال . لقد رأينا، في الواقع ، خيانة ومكر جول فافر ، ارماند ماراست وماري. حتى ان اشخاصا بسطاء ظاهريا ومؤثرين امثال بوشيه ، باستيد او تريلا ، لعبوا دورا ميكيافيليا في الاوقات الصعبة ، وهو امر لم يجلب لهم الحظ مع ذلك . وهكذا تبدو مبررة اللعنات التي اطلقت في الستينات والسبعينات على عجائز الثامن والاربعين المتخلفين . ان عددا من الشبان الجمهوريين والشبان الاشتراكيين ورواد الاممية الاولى قد اغتاظوا بحق لدى رؤيتهم غارنييه باجي ، جول فافر وكريميو ، وهم يظهرون من جديد في مجالس الحكومة اثناء معركة ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ . في الستينات اصبح الاسلوب رزينا اكثر ، وضعينا اكثر وعلميا اكثر منه في الثامن والاربعين . وبالتأكيد فانه ينبغي علينا في هذا المجال ، ان نتفاهم جيدا حول الكلمات . ان الثامن والاربعين يريد لنفسه ان يكون علميا ، وكتاب رينان الشهير ، **مستقبل العلم** ، قد كتب في صخب ثورة فبراير ذاته . غير ان الحماس العلمي في الثامن والاربعين لم يكن من النوع ذاته في عام ١٨٦٠ ، كان وضعيو سنوات الستينات والسبعينات اكثر صوفية في تأكيداتهم العلموية مما كانوا يتصورون ، ان

عبادتهم للعلم يمكن ان تبدو اليوم صبيانية ومجتزأة . بيد انهم كانوا يسعون للتخلص من خرافات واوهام الثامن والاربعين . وفي الوقت نفسه فاني لا أريد ان يكون في ذهن قرائنا اي التباس حول كلمة « رزين » « grave » . ان ادبيات السياسة والاجتماع في السنوات الستينات ، هي اكثر وضوحا واقل تنميقا من ادبيات السنوات الاربعينات . لم يعد فيها ذلك الشذي التوراني والربيعي الذي كان لها لعشرين سنة خلت ، انها بهذا المعنى اكثر رزانة وبساطة . عام ١٨٦٠ ، كان في المجتمع ـ الشعب والبرجوازية على حد سواء ـ تهاون واهمال وابتذال اكثر مما كان عام ١٨٤٨ . ان رزانة الثامن والاربعين المفرطة ، المدهشة والمتقدة قد اخلت المكان لحالة ذهنية اكثر حموضة واكاد اقول اكثر « نتانة » . اذا كان العامل في ١٨٤٨ قد ظهر بمظهر التلميذ المجتهد ، فان عامل ١٨٧٠ كانت لديه ناحية مخادعة، وعندما عاد لويس بلان الى فرنسا عام ١٨٧٠ ، لم يتعرف الى باريس القديمة . وفي نفس الوقت كان جورج دوشان ، وهو عامل طباعة قديم كان قد انتدب عضوا في اللوكسمبورغ وساهم في جرائد برودون ، كان يقول ما موجزه :

« ايام شبابنا ـ اي اثناء السنوات الاربعينات ـ كانت النساء اللواتي كنا نستمع الى دروسهن هن مدام دي ستايل ، جورج صاند او حتى مدام دي سوسور التي كانت تكتب مؤلفات رائعة في التربية .

وفي ايامنا هذه ـ اي اثناء السنوات الستينات ـ يهتم الناس **بممثلات مسرح** رديئات ، انهم يهتمون بـ ريغولبوش Rigolboche وبـ كورا بيرل Cora pearl »

هناك ملاحظة اخرى هامة : ان نظرية الفن للفن تبدو مرتبطة ارتباطا وثيقا بفشل الثامن والاربعين . (انها فكرة عزيزة على جان كاسو). عندما كانت **بروق فبراير** تجوب السماء الباريسية، وهي بروق امتدحها بيار دوبون ، كان فلوبير وبودلير والكونت دي ليزل في الخامسة والعشرين من عمرهم تقريبا . وفي حَميًا

شبابهم (كانوا لا يزالون يرتدون رداء الرومانسية) كانوا يؤمنــون بتحول سريع ورائع للمجتمع . بعد ثلاثة اشهر كان الناس يطلقون النار في باريس الواحد منهم على الاخر ، وبعد اربعة اعوام ازالت فرنسا كلمة الجمهورية من شعارها . (اقر بيير دوبون ذاته بالذنب امام الامبراطورية) . كان البروليتاري يستقبح لامارتين بعــد ان دلله ، وكان يبدي اعجابا شديدا بلويس نابليون بونابرت ويصفق لرجال البوليس الذين يلقون بالجمهوريين في السجن . اما اصنام الثامن والاربعين ــ عصمة الجماهير ، الحس الشعبي السليم ، هدوء وعدالة الانتخابات العامة ــ فكانت تنهار . ومن المؤكد انه لم يكن على الفنان ان يعرض نفسه للشبهة مع البروليتاري الذي لم يكن جــديرا بالحرية وهكذا كان الفنان يعود الى برجه العاجي . وكما في الادب ، حيث استبدلت الروايات الانسانية : سبيريدون، طحان أنجيبو Le Meunierd, Angibault « خطيئة السيد انطوان»، « العامل الذي يجوب فرنسا » هذه الروايات التي كانت جــورج صاند قد كتبتها في الاربعينات ، هذه الروايات استبدلت بهــا روايات كانت تريد لنفسها ان تكون عامة الا انها كانت موحشة : ففي **التربية الشعورية** التي ظهرت عام ١٨٦٩ ، سجــل فلــوبير فشل الثامن والاربعين تحديدا ، وكما في الادب ، كذلك قــامت اشتراكية ماركس المسماة علمية على انقاض الاشتراكية الطوباوية وعلى انقاض السان سيمونيه والفوريالية والشيوعية الايكاروسية .

ان **البيان الشيوعي** الذي كتبه ماركس وانجلز فــي الايــام الاخيرة من عام ١٨٤٧ لم يكن له اي تأثير على ثورة فبراير . ولكن نظرا للاهميــة التي اتخذتها الماركسية في ايامنا هــذه ، فانه لا يخالجني شك بان عددا من التساؤلات يطرح نفسه في ذهن قرائنا حول العلاقة بين الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية الماركسية .

أن دراسة كاملة وصارمة لهذه العلاقة سوف تكون شاقــة وطويلة ، وليس هنا مكانها . الا ان بعض الملاحظات يمكن أن توضح المشكلة . برأينا ان اعادة الاعتبار للطوباويين ضد ماركس هــي مشروع لا فائــدة منه وتمليه فــي الغالب نوايــا سيئة للرجعيــة الاجتماعية . فكم من مرة صنف برودون وسان سيمون ضد ماركس

من قبل اقرب المدافعين عن الرأسمالية واوثقهم صلة بها واكثرهم انغلاقا ؟ ومن جهة اخرى فان انكار كل وضوح وموهبة على الطوباويين بتصلب ماركسي هو امر مشين بقدر ما هو مثير للسخرية . لقد كانت لبرودون او لسان سيمون تنبؤات اكثر صحة من تنبؤات ماركس . ان قوة ماركس هي في انه مفصل فكره بقوة ووضوح لم يكونا لسان سيمون ولا لفورييه ولا للويس بلان ولا لبيير ليرو ولا لبرودون . لقد قال عدد من المؤرخين او المصلحين الاجتماعيين في مطلع القرن التاسع عشر بان الوقائع الاقتصادية والوقائع الاخلاقية مترابطة ، ان غيزو ذاته قد اظهر كثيرا من الذكاء حول هذه النقطة . غير ان ماركس هو الذي علم اخيرا للناس ان تنظيم الاقتصاد وأواليات الانتاج وتوزيع الثروات ــ البنية التحتية l'uberbau ــ تحدد الحياة الاخلاقية والفكرية اي البنية الفوقية l'oberbau . حول خصائص هذه الصلة نستطيع وينبغي ان نناقش . اننا هنا نتصدى لمجال تتطلب فيه الابحاث كثيرا من المنهج ، من الفكر الصارم ومن الرصانة . يعترف ماركس بأن الايديولوجيات تحتفظ بقوة كبيرة في الوقت الذي تكون الشروط المادية اي البنية التحتية التي أدت الى ظهورها ونموها قد زالت . ان ماركس ، وهو يحلل احداث الثامن والاربعين ، قد فوجيء بان الناس ، بدلا من الأهتمام بحاجاتهم ، برغباتهم الطبيعية ، يغرقون في الماضي ويرتدون ثياب ثورية قديمة رثة ، أنهم يمثلون ميلودرامات تاريخية قديمة ، ان ذلك يتعبهم اقل من التفكير جديا بثورة ينبغي ان يقوموا بها . ان الانسان اسير بعض المفردات ، بعض المواقف ، بعض الحنين الى الماضي وهذه مجتمعة ترزح بثقلها على التطور الاقتصادي . عندما درست ، في فصل سابق ، ازمة الثامن والاربعين الاقتصادية بينت ان انعكاساتها السياسية كانت شبه معدومة في انكلترا مع ان هذه الازمة قد اصابت ما وراء المانش بنفس القوة التي اصابت بلادنا فيها ، لا بل بشكل أقسى . غير ان فيكتوريا كانت تسير على ارض اجتماعية صلبة ، ان نسائجيي لندن لم يكونوا سريعي التأثر مثل اولئك الذين كانوا في ضاحية سان دنيس ، واذا كانت ضاحية التامبل قد أنجبت غافروش فان العشب الاخضر الضعيف فيبيتنال غرين Bethnal green او الازقة الموحلة في وايتشابل ، كانا غير

قادرين تماما على انتاج هؤلاء الصبية الوقحين والبطوليين الذين يقلبون احدى الملكيات. اني اذهب الى ابعد من ذلك : ان ظهور الماركسية ذاته على مسرح التاريخ يعود الى احداث تندمج بشكل سيء مع تصور ماركس للتاريخ . تدفقت الموجة الماركسية الاولى عام ١٨٧١ بعد انتصار بروسيا على فرنسا . هذا الانتصار يظهر في الواقع التفوق الجرماني على اللاتيني . ان ماركس الذي يتحدر من هيغل ومن الاساتذة البروسيين الكبار ، كان يكتسب حينذاك نفوذا لم يكن له ابدا قبل ١٨٧٠ في مؤتمرات الاممية الاولى . اما الموجة الثانية فقد كانت بعد ثورة اوكتوبر الروسية سنة ١٩١٧، غير انه اذا كان نشاط لينين ورفاقه قد ادى الى انتصار الشيوعية في روسيا ، فان ذلك لم يكن حدثا ماركسيا بحتا ، اذ ان العملية الثورية بالنسبة لماركس هي مهمة البروليتاريا التي ترتبط بصناعة متطورة جدا .

هناك سببان حملاني على تقديم هذه الملاحظات العامة . اولا كنت اريد الاشارة الى مدى تعقيد العلاقة التي تنشأ بين الحياة الاقتصادية والحياة الاخلاقية للشعوب . لقد اوجد ماركس اداة رائعة الا انه ينبغي استعمالها بفطنة . وفي المحل الثاني سعيت الى عدم تصفية المسألةبكلمتين مع الطوباويين Vae victis ويل للمهزومين ! ان فشل الثامن والاربعين لا يعنيابدا انايدولوجيي هذه المرحلة كانوا حالمين ، منظرين تجريديين وخياليين . لقد ارتكبوا اخطاء غير انهم برأيي لم يفهموا **سرعة التاريخ** بشكل خاص . لقد اكتشفوا وحللوا بذكاء ووضوح رائعين ، التناقضات التي كانت الرأسمالية تتخبط فيها . ولما كانوا قد فتنوا باكتشافاتهم الخاصة فانهم ارتقبوا سقوطا سريعا لنظام كان يؤول الىمنافسة بهذه الحدة والشراسة . غير أن ماركس قد غذي ، في حاصل الكلام ، اوهاما من نفس النوع . ان الاحداث التي نشهدها اليوم تؤكد التكهنات التي قدمها لويس بلان في **تنظيم العمل** . واذا كان كتاب لويس بلان قد بلغ حدودا خرافية في الثامن والاربعين، فانه بالمقابل ، وبعد مائة عام ، يعزف نغما معاصرا .

في الثامن والاربعين نما انصار الايديولوجية Les idéologistes

بوفرة وكثافة غير عاديتين . ونستطيع ان نتحقق من ذلك عندما نقرأ في جريدة « الصحافة » خبرا لجول ماري . (كان كاتب المسلسات هذا مشهورا جدا وذا جمهور كبير) . يروي ماري حديثا طويلا اجراه مع عامل في المعامل الوطنية ، على البولفار الذي يحاذي منتزه مونسو . ان بدايات الحديث مترددة ، متعرجة وغامضة . « في هذا الوقت من الثورة ، يقول ماري ، كان ينبغي ان نجس نبض محدثنا ببراعة . نريد ان نعرف اذا كان شرعيا ، اورليانيا ، فورياليا ، انسانيا ، سان سيمونيا ، جمهوريا من مؤيدي عام ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، أو من جماعة ٩ ترميدور (١) ، من انصار الحكم المطلق ، من جماعة باربيس ، اذا كان اشتراكيا فدراليا ، شيوعيا ، يسوعيا او غاليكانيا » (٢) . (ان بقية الحكاية مضحكة جدا ويبدو فضلا عن ذلك وبغض النظر عن سخريات الكاتب الواضحة ، ان العامل الذي قدّم مواد الخبر هو من انصار اللاحكومة وفي النهاية من اتباع برودون) . اننا لا نستطيع ان نقدم جدولا ، ولوموجزا ، لكل النظريات التي نشأت واختمرت في عقل الفرنسيين خلال السنوات الاربعينات . اود فقط ان اعطي لقرائنا بعض الايضاحات التي من المحتمل إن تجعل ولوجهم للمتاهة اكثر سهولة .

ينبغي التمييز بين تيارين مختلفين تماما . من جهة ، بعض الرجال يبنون نظريات ويقترحون علاجات للعيوب التي كان المجتمع يشكو منها ، كما يرسمون بشكل مفصّل الى حد ما تصميما لعالم جديد سوف تكون الجماهير اكثر سعادة فيه . هكذا فعل سان سيمون ، بروسبير انفانتين ، كابي ، بيير ليرو ، ولويس بلان . من جهة اخرى ، تبلور لدى فئة هامة من المجتمع وعند العديد من البرجوازيين والعمال المتعلمين تقليد كانت تعرجاته واضحة الى حد ما ، الا انه يشكل كلا متماسكا نسبيا يمكن ايجازه كما يلي : ان تحرر الانسان قد بدأ عام ١٧٨٩ . غير ان حفنة من

(١) الترومیدور هو الشهر الحادي عشر من السنة الجمهورية ، والترومیدوريون هم مجموعة النواب الذين اتفقوا لاسقاط روبسبيير (المترجم) .

(٢) من اتباع الكنيسة الفاتيكانية ، وهؤلاء هم حركة دينية دعت الى استقلال الكنيسة الاداري .

المجرمين قد اعاقت النمو الطبيعي للثورة وذلك باغتيالها روبسبيير وجبليي التاسع من ترميدور . ان الحريـة السياسية التي منحها اعضاء الجمعية التأسيسية للبلاد تجد تكملتها الطبيعية في التحرر الاجتماعي . ينبغي الا يكون الناس احرارا بشكل نظري فقط ، وانما ينبغي ان تكون لديهم وسائل التمتع بهذه الحرية لهـذا يجب ان يتخلصوا من ذلالات البؤس . كان شعار « متطوعي » ١٧٩٢ الذين كانوا يحررون اوروبا هو : « حرب على القصور وسلم للاكواخ ! » ان الصيغـة لا تزال صالحة بعد خمسين عامـا لان القصور لا تزال شامخة . مما لا شك فيه ان اقطاعية الارض كانت قد تحطمت الى حد بعيد ، غير ان اقطاعية صناعية اكثر اثارة للخوف قامت علـى انقـاضها . في الواقع ان كثيرا مـن ملاك الارض وملاك الاحراج ، كانوا يشترون مصاهر للحديد كي يصرّفوا اخشابهم ، وقد تحولوا الى صناعيين في ظل عودة الملكية Restauration والملكيـة البرجوازية . (هكذا بنى آل رامبور ثروتهم في كوفتـري). ان الكابتن الفرنسي الكبيـر هو مـن اصل فلاحي . في عام ١٧٨٩ ، دفعت فورة غضب بالفلاحيـن Les Jacpues ضد اسيادهم . ان فورة غضب اخرى من نفس النوع ، اثناء الثلاثينات والاربعينات ، هي التي جعلت هؤلاء الفلاحين وقد اصبحوا حائكي نسيج ، عمالا في صهر الحديد او في المناجم ، يثورون ضد الرجال الذين يشكلون اخصاما لهم بالوراثة. لنستمع مثلاالى جوانيو اوكورنييه Cournier (في ظل الجمهوريـة الثانية اصبح الاول ممثلا عن ساحل الذهب والثاني عن الدروم) . كان كلاهمـا يحب ان يتحدث عن النضـال الذي شنه جاك بونوم (الفلاح الطيب) ، والذي يسمى ايضا بالاب ذو الحذاء الكبير ، ضد السيد جوزيف دي كوفر فـور (صاحب الامـوال) Coffre fort (اذكر بان جان ذا الحذاء الكبير هو شخصية عزيزه على بيير دوبون) . ان السيد دي كوفرفور عرف كيف يثرى اثناء الثورة ، من اسلاب الاديرة ، وقد اقام آلات في الاملاك والابنية التي حصل عليها ... انه ملاّك وصاحب مصنع . كان على جان ذا الحذاء الكبير ان يقتله ، انها مهمـة شاقـة . يعدّد جوانيو لـه كل اعداء الجمهورية :« الثري الكبير المرابي، سيد القصر ، خادم الاكابر ، المحامي ، قاضي الصلح ، الكاهن ، جابـي الضرائب ، الضابط المتقاعد ، مدير التأمينات » . ان بيير جوانيو

مهندس وينبغي على جاك بونوم او جان ذي الحذاء الكبير ان يقبل اقتراحه على الفور . كان عدد من المحامين مثل غارنييه باجي البكر، جولي الاب ، ميشال دي بور ، وعدد من الضباط مثل كارتل او كورتاي يعملون لتوعية وتحرير الشعب .

في ظل الملكية البرجوازية ، ظهر مجددا بابوف وروبسبيير في البانتيون الجمهوري كانصاف آلهة متآخين . يمكن ان نستغرب ذلك . ماذا يقول روبسبيير فعلا في الجمعية التأسيسية في ٢٤ ابريل ١٧٩٤ ؟ « ان المساواة في الثروات خرافة ، القانون الزراعي شبح اوجده النصابون كي يخيفوا الاغبياء» . يهتم روبسبيير «بجعل الفقر جديرا بالاحترام اكثر من اهتمامه بالغاء الثروة » اما بابوف فانه يعوّل من جهة على عدد من المتطرفين اليعاقبة ، ورثة التقليد الهبرتي (١) ، — اعدم هبرت على يد روبسبيير — ، ويعوّل من جهة اخرى على عدد من الترميدوريين الذين حطموا روبسبيير .

كان بابوف قد انضم الى تاليان وبوشيه كما شهّر باليعقوبيين ك « ارهابيين » . ومع ذلك فانه اجرى محادثات مع انصار قدامى لروبسبيد عندما دبّر المؤامرة الشهيرة من اجل المساواة في السنة الرابعة من التقويم الثوري . وزيادة على ذلك فان متآمرا عجوزا — بلغ الستين من عمره عام ١٨٣٠ — هو فيليب بيوناروتي ، عرف كيف يقدم تركيبا رائعا لروبسبيير وبابوف في كتاب صغير حول « مؤامرة المطالبين بالمساواة » . بسهولة انتصرت العاطفة على بعد النظر التاريخي عند اناس صمموا على قلب الحكومة . عندما حوكم الزعماء الجمهوريون ، في اعقاب اضطرابات ابريل ١٨٣٤ امام مجلس الاعيان ، كان بيوناروتي بين المدافعين عنهم . توفي عام ١٨٣٧ وقد اثر في بلانكي تأثيرا لا يمّحي . هكذا ولدت وتعاظمت شيوعية ذات ملامح بدائية غير انها بذلك ذاته صالحة لان تنفذ الى معامل التامبل ، معامل ضاحيةسان

---

(١) نسبة الى جاك هيبير الثوري اليعقوبي المتطرف (م) .

انطوان وضاحية سان مارستيل . انها تنحصر في صورة الجمهورية اليعقوبية ومرحلة الارهاب (١) ، وقد روّجتها الجمعيات السرية ، جمعية الفحامين (٢) ، جمعية « اصدقاء الشعب » وخاصة جمعية « حقوق الانسان » . هذه الجمعيات تختلف اختلافا عميقا ، وتكرر ذلك ، عند المذاهب التي بناها خلال التأمل الفلسفي المنعزل سان سيمون او فورييه . بيد ان الاتجاهين يتقاطعان ويختلطان بشكل حميم اكثر مما يقال عادة . ان سان سيمون على علاقة بمحفل « اصدقاء الحقيقة » . كما يعد بازار ، احد اكثر اتباعه نشاطا ، بين مؤسسي جمعية الفحامين ، كذلك هيبوليت كارنو ، وزير التعليم العام في حكومة فبراير ، الذي كان سان سيمونيا قديما . ناضل بيير ليرو في صفوف جمعية « حقوق الانسان » . انضم برودون الى الماسونية وكان المثال الاعلى الماسوني يتبدى غالبا في نتاجه . لويس بلان ، الذي تحدثت عن موهبته ، تعهّد بكتابة تاريخ الثورة ، فيكتور كونسيدران ، الذي اصبح بموت فورييه زعيم المدرسة الاشتراكية ، كان يوجه جريدة «الديمقراطية المسالمة » التي تحتل مكانها في الجوقة الجمهورية ، كما ساهم كونسيدران في حملة البنوك الاصلاحية . انتخب اوجين سو ، الذي نشر نظرية فورييه في رواياته خاصة في « مارتن او الطفل اللقيط » ، انتخب عام ١٨٥٠ نائبا ديمقراطيا عن السين . (بعد ذلك ببضع سنوات توفي في المنفى (. غير ان الحالة الاكثر اهمية، الاكثر دلالة في هذا المجال هي حالة كابي . يلعب اتيان كابي دورا في الدرجة الاولى في جمعية الفحامين ، انه عضو في الغابة العليا (المرتبة العليا Vente suprême (٣) . ثم انه زيادة على ذلك

---

(١) مرحلة امتدت منذ سقوط الجيرونديين (١٣ ايار ١٧٩٣) وحتى سقوط روبسبيير (٢٧ تموز ١٧٩٤) المترجم .

(٢) جمعية سرية شكلت في فرنسا (١٨٢٠) لمحاربة الردة الملكية . وسمي اعضاؤها بالفحامين لانهم كانوا يعقدون اجتماعاتهم السرية في الغابات.

(٣) كان اعضاء جمعية الفحامين يتجمعون في غابات (مراتب) . كانت كل غابة مؤلفة من عشرين عضوا . وفوق « الغابات الخاصة » كانت تعمل غابات مركزية، وغابة عليا ، كانت تضم في الغالب سبعة اعضاء وكانت توجه الجمعية باكملها.

امين سر جمعية تعليم الشعب . كيف كان يقضي اوقات فراغـــه بعـد ان نفي الى لندن خلال السنوات الاولى من ملكية يوليـو ؟ كان يكرس وقته هذا لكتابة **التاريخ الشعبي للثورة** . لقد ساهـــم كابي في تأليه روبسبيير . وبالمقابل فانه يظهر قساوة تجاه بابوف . لم يكن ذلك بسبب خلاف فكري مع بابوف وانمـا لان كابي كـان بالرغم منه ، وقد شاهد الابنوسي وصانع الاقفال في ضاحية سان دنيس او ضاحية سان مارتن يقرأون كالانجيل كتاب بيوناروتـي الصغير حول « المتساوين » Les égaux غيورا من بابوف .. انه لا يهاجم بابوف صراحة ولو فعل لكان ارتكب جريمة تجديف كان من الممكن ان تخرب شعبيته . الا انه لم يستطع منـع نفسه مـن خدش بابوف عندما يتاح له ذلك . كان كابي يتصور نفسه سقراطا جـديدا لا بل مسيحا جديدا . انه يحمل الى العالم انجيله بشكـل روايـة مقتبسة عـن ايلوييز الجـديدة La Nouvelle Héloïse لروسو . ظهر كتاب كابي « رحلـة الى ايكاريا » في عام ١٨٤٠ ، غير ان بضعـة نسخ من الكتاب كانت عام ١٨٣٩ تحمل عنـــوان « رحلة ومغامرات اللورد وليم كار يزدال في ايكاريا » . يشيـــر جول برودمّو ، المؤرخ الممتاز لنظريات كابي ، الى الشبه بين « رحلة الى ايكاريا » و « ايلوييز الجديدة » . « ان قصة حب دينايز ، فالمور واللورد وليم هي نقل حرفي لقصة جولي ، سان بـرو S T. - Preux وميلور ادوارد . ان كوريّلا ، شقيقه فالمـور هي صديقة حميمـة مخلصة بقدر ما كانت كلير دي اورب claire d'orbe كذلـك . » . وزيادة على ذلك فاننـا نجـد في « ايكاريا » ، حيث رسا اللـورد وليم ، نبرة « الهمجي الطيب » ، العزيز على روسو . الانسان طيب بطبعه لكن المؤسسات السيئة هي التي دنسته . « ألم يعترف جميع الفلاسفـة بوجود تعاونيـة طبيعية ، بدائية ، جماعية (كل شـيء للجميع) دامت قرونـا حتى الاقتسام الاول واقامة الملكية ؟ الـم

كان بوشيه ، بازار ، فلوتار ، مؤسسو جمعية الفحامين الفرنسية اعضاء في الغابة العليـا . ولد اتيان كابي في ديجون عام ١٧٨٨ . كان والده صانع براميل يتمتع بيسر بسيط . اتم كابي دراساته دون صعوبات واصبح قـاضيا ثم مدعيا عاما في الكـورس La corse ثم نائبا عن ساحل الذهب في ظل حكم لويس فيليب .

يعترفوا بأن اثر وقانون هذه التعاونية يستمران اليـوم ايضا في بعض العلاقات ، وان الاقتسام لم يكن ممكنا ان يتم الا بشرط ضمني وهو الا يحرم هذا التقسيم احدا من العيش ، وان في ما يسمونه حالات الضرورة ، لا يستطيع اي قانـون ان يمنع انسانا مـن ان يأخذ من ملكيــة الغيـر الخيرات الضرورية التي تحـــول دون موته ؟ » . كيف تمارس الجمعية التعاونية الايكارية مهامها ؟ « كــل الاراضي بمخزوناتها الجوفية وانشاءاتها الفوقانيــة لا تشكل سوى ملك واحد هو . . ملكنا الاجتماعي . كل منقولات الشركاء وكـــل منتوجات الارض والصناعة لا تشكل سوى رأسمال اجتماعي واحد . هذا الملك الاجتماعي وهذا **الرأسمال الاجتماعي** ينتميـان مشاعــا الى الشعب الذي يستثمرهما ويستغلهما جماعيا ويسيرهما بنفسه تسييرا ذاتيا او عبر مندوبيــــه ويتقاسم بالتالـي منتجاتهمـا بالتساوي » . لا استطيع هنــا ايجاز **رحلة الى ايكاريا** الذي لا يزال يقرأ باهتمــام . غير انــي حريص على التركيز على التفاؤل الدائم عند كابي . ان على الناس ، بمساعدة عقلهم السليم ان يحكمـــوا انفسهم بشكل صحيح . يعطي كابي في نظامه دورا راجحا للتربية . (لقد اثبت انه حرب ماهر وبارز) . ولانه قوي بالحقيقة التي يمتلك ، قـوي في اقناع انداده ، فـان كابي ، رغم انه يبني عالمـا يكـون المواطـن فيه موجّها جدا ومقيدا جدا ، يكره العنف . ان الشيوعي الايكاروسي لا يعتقـد بان المسألة الاجتماعية تسوّى بطلقـــات البندقية . ان لا عنف ثورة فبراير يعــود الفضل فيه الى حد كبير الى كابي . ومع ان كابي مصلح جدي ، فانه ما كاد يزيل بابوف حتى اشاد هو ذاته بروبسبيير . قرأ ابنوسي ضاحية سان انطوان كتاب « رحلــة الى ايكاريا » باعجاب وتعاطف . حتى ان اثنيــن او ثلاثة من جيرانه قد ذهبوا الى اميركا لتأسيس مجتمع ايكاروسي في نوفــو Nauvoo في مقاطعــة ايللينوي . لقد نشرت حول هذا الموضوع رسائل كتبهــا سنكري كان يسكــن في ضاحيــة ســان انطوان بالضبط . كان هذا العامل قد ذهب الى نوفو عام ١٨٤٩ وكانت حماسته ، وفيمــا بعد خيبته ، كبيرتيــن . ان صاحبنـــا الابنوسي لم يساوم اذن عام ١٨٤٨ على ثقته في الحكومة المؤقتة لانه كــان مقتنعــا بان لامارتيــن ماراست ، لويس بلان وماري ، سوف يبنــون ايكاريا باقصى سرعة . الا انــه عندما يرى رفاقه يدفعون ،

بلا مبالاة ، بعض العربات في حي شان ـ مارس ، يصحو من احلامه . انه يعتقد ، صوابا ، بوجود مؤامرات معادية ، سرية ، في داخل الحكومة ويقول في نفسه بأن اسلوب القوة سيكون بدون شك افضل من الاهمال الساذج الذي برهن عنه في فبراير . لقد اعاد قراءة المتطرف بيوناروتي . وهكذا تم التحضير ليونيه . اننا نعرف هزيمة كابي في انتخابات ابريل .

ومن بين جميع بناة المذاهب الاجتماعية الكبار ، كان كابي خلال المرحلة التي ندرسها ، الرجل الذي كان لنشاطه ، بلا منازع، اعمق الاثر في الطبقة العاملة . وحتى خلال الامبراطورية الثانية، كنا نجد في كل المراكز الكبرى تقريبا وخاصة في الجنوب الشرقي ، خلايا للعمال الايكاروسيين . ان تأثير سان سيمون وأنصاره هو من نوع اخر تماما . كان العمال قد نفروا ، لاسباب سوف نعرضها فيما بعد ، من مدرسة كانت الفاظها وتعابيرها ـ استغلال الانسان للانسان ، تنظيم العمل ـ متداولة بشكل خاص في ٤٨ . لن نستعيد تاريخ السان سيمونية الا بشكل موجز مع ان ذلك امر شيق . ان سان سيمون اقطاعي كبير مطعَّم بمغامر .

لقد حارب قبل الثورة الى جانب لافاييت في الحرب الاميركية . واثناء الثورة كان يضارب بالاسهم المالية ويتأمل . في عهد الامبراطورية رسم الخطوط الاولى لمذهبه الذي هو حلم باعادة تنظيم المجتمع وفقا لمخطط وضعي ، علمي ـ يمكن أن يعرّف سان سيمون بأنه مبدع علم الاجتماع اكثر من اوغست كونت ـ كان سان سيمون يحلم ايضا بولايات متحدة اوروبية : كان الاتحاد الاوروبي يبدو له النتيجة الطبيعية لحروب نابليون . في اواخر ايامه أخذ يتأمل ، وحيدا وساخطا ، في اخفاقاته وحاول ان ينتحر الا انه لم يسبب لنفسه الا جروحا اليمة . توفي عام ١٨٢٥ نصف مشوه . وسرعان ما اصطدم تلميذاه المباشران بازار وانفانتين . ان بازار ، احد زعماء جمعية الفحامين ، متقشف ، منظّر ، يتميز باخلاص انما دون اصالة . اما بروسبر انفانتان Prosper Enfantin فهو بوليتكنيكي قديم ، ذو جمال ساحر ، وقد جمع الى حس مرهف ، في مجال الاعمال ، صوفية لا تتزعزع . انه يعتقد ان

الحقيقة المطلقة هي في الزواج وكان يود لقاء الزوجـــة المخلصة Femme - Messie لقد اعتقد في احد الاوقات ان جورج صاند يمكن ان تقوم بهذا الدور ، الا ان مولّفة « طحان انجيبو » كانت ذات حس ريفي سليم أبعدها عـــن آلهـــة السان ــ سيمونية . وسوف يمثـــل انفانتان دون كلل ودون خوف من السخرية ، دور الحبر . وبعـــد نقاشات عنيفـــة وضعته في خصام مع بازار ،وقع هذا الاخيـــــر مصعوقا بسكتة دماغية . كان انفانتان يقول : « انني بالحاجـــة ، بالفطرة وبالشهوة تقريبا ، رجل سلطـــة اكثر مني رجل حرية » .
ان المجتمعات بالنسبة الى السان سيمونيين ، تسير بقليل او كثير من السرعة ، حسب درجة نضجها ، نحـــو **العصر الصناعي** وذلـــك بعـــد أن تكون قد مرّت بالدولة التيوقراطية تحت سيطرة الكهنة، ثم بالدولة الاريستوقراطية التي يحكمهـــا النبلاء والامراء والملوك .
ان سان سيمون يقدم رمزا شهيرا وجنائزيا . انه يتصوراصطدام قطارين . في الاول ، يموت الملك وولي العهد واعضاء العائلـــــة المالكة والجنرالات والكرادلة والاساقفة وكبارالموظفين . ان الاضرار الناجمة عـــن مثل هذا الاصطدام ليست كبيرة ، كل هؤلاءالاشخاص سوف يستبدل بهم آخرون يؤدون نفس المهـــام الروتينيـــة بنفس النجاح او بالاحرى بنفس عدم النجاح . في اصطدام القطار الثاني يموت المهندسون ، المخترعون ، كبار صانعي النسيج ، كبار اصحاب معامل صهر المعادن ، اصحاب المانيفاكتورات الاكثـــر نشاطا : ان فرنســا ، التي نزلت بهـــا هذه الفاجعة ، سوف لن تحتل ولمدةطويلة الا مكانا ثانويـــا في العالم . ان السان سيمونيين يمجدونالمنتجين ويشجبون من يعيشون حياة الفراغ . انهم دعاة الوفـــرة الذيــــن يحثون الناس على القيام بأعمال عظيمة كي يوفروا الرخاء العام .
ذهب انفانتان الى مصر واقترح حفر مضيق السويس وبدأ العمل ــ بأيـــة شجاعة ولقاء ايـــة تضحيات ــ الذي سوف يكملـــــــه فرديناند دي ليسبس في الستينات . يقول السان ــ سيمونيون: « المجـد للمنتجين » وليس « المجد للمالكين » . بالنسبة لهـــــم « الملكيـــة هي واقع اجتماعي يخضع مثل كل الوقائع الاجتماعيـــة الاخرى للايمـــان بالتقدم ، لذلك يمكن ان تفهم في مختلف العصور وتحدد وتنظم باشكال مختلفة » .

سُرّ الناس كثيرا للطابع الديني الذي اتخذته السان سيمونيه. اصبح معظم السان سيمونيين صناعيين كبارا يلعبون دورا اساسيا في الاقتصاد الوطني . ان شنايدر صاحب كروزو Creusot ، اسطفان موني مدير مناجم الفحم الحجري في كومانتري ،دوريان صاحب معاصر اونيو ، بولان تالاتو صاحب مناجب الكومب الكبرى Grand - Combe ، ميشال شوفالييه مفاوض معاهدة التجارة الفرنسية الانكليزية عام ١٨٦٠، كل هؤلاء كانوا سان سيمونيين. كان انفانتان ذاته يشغل مقعدا في مجلس ادارة شركة سكك الحديد بين باريس ــ ليون ــ البحر المتوسط P . L . M . واذا كانت كل هذه الشخصيات الهامة والميسورة قد غنّت اناشيد غريبة في دير مينيلمونتان Ménilmon tant ، واذا كانت قد ارتدت صدريات ذات لون خبازي وازرار من الخلف رمزا للاخاء والتضامن، فان كل هذا لم يؤد الا الى الضحك . لقد رأى بعضهم في الحماسة الدينية السان سيمونية مجرد هوس شباب ، حلما مضحكا ينكرونه عندما يعلو الشيب رؤوسهم. ليس الامر بهذه البساطة . ينبغي بناء المصانع بكثرة . واشعال مصاهر الحديد واستثمار المناجم وتعميم الوفرة. ليكن . الا ان السان ــ سيمونيين ، خلافا للاقتصاديين الليبراليين، لا يفكرون ابدا بانه توجد قوانين ثابتة للتوزيع المتوازن للثروات او ان الجمهور الاكبر من الناس ، سواء أكانوا ارباب عمل او عمالا ، ينزع الى التصرف كحيوانات في الغاب . الوفرة ، نعم لكن في الانسجام . لقد اهتم السان سيمونيون كثيرا ، كما سيفعل فوريه ايضا ، **بمسالة الميول** . انهم يعتقدون ان بعض الناس كرماء وانهم وهبوا حس تقدير المصائر الاجتماعية . الى هؤلاء ينبغي ان نعهد بتنظيم الانتاج . والحاصل ، انه يوجد ، فوق المنتج البسيط ، **المنتج الذي يمتلك خلق الكاهن** . ان هذه الطبقة الكهنوتية سوف تحول دون هلاك كثير من الناس في الساحات الجديدة لمعركة الاقتصاد . وفيما يتعلق بي ، فاني أجد في ذلك اشراقة عبقرية. نحن نعلم ان ارباب الاقتصاد اذا ما تركوا لاهوائهم لا يُراكمون الا الخراب . ان الحد من سلطتهم وتحويلها بفضل اولئك الذين يرون الامور من زاوية اوسع وروح انقى ، ليس بالضرورة فكرة مبتذلة او خرافية . من يدري ان الانسانية لن تسير يوما ما في اتجاه سان ــ سيموني ؟

الا ان ما قلته عن هذا المذهب كاف لكي يبرهن انه يبـدو ذا تنوءات تثير اشمئزاز العمـــال . ان المجتمع الذي كان السان سيمونيون يفكرون فيه هو مجتمع مراتبي (بيروقراطي) للغاية ،انه ليس ليبراليـا او سوائيا . ان الشعب الذي لا يزال يحن الى الايام الثورية ، والذي يرى في الثورة والامبراطورية المساواة الكبرى بين الجماهير ، قد احترس منذ اليوم الاول من اولئك الذين يسميهم « اليسوعيون الحمر » . وفي الضواحي كان صوت عمالي يـرد بخشونة على الخطباء السان سيمونيين :

« انهـم « مصنّفون » classeurs ، يريدون ظلما وعدوانا ، ان يزربونا كالقطعان في زريبة استعباد ينبغي الا نخرج منها ابدا » .

من قال ذلك ؟ وأحد يدعى فنسار يصنع ادوات للقياس فـي شارع قريب من الشاتوليه . لكـن ينبغي التفكير دائمـا بكـون الناس اكثر مرونة ممـا تدعنا اقوالهـم نفترض . ان فنسار هذا ذاته ، الذي كشف بدقة تامة نقاط ضعف السان ـ سيمونيـه، سرعان مـا وقع فريسة الاغراء . كان فنسار خلال الاربعينات يدير مجلة صغيرة ، « الخلية الشعبية »،التي تروج لعقيدة سان‌سيمون والتي كان جميع محرريهـا عمالا . لقد ذكرت في فصل آخر نصا من « الخلية الشعبية » كان جان بايتيست كوتان قد كتبه . هـذا الاخير عامل طباعة سوف يساهم في الستينات في جريدة « الرأي العام الوطني » التي يديرهـا بالتحديد سان سيموني قديم هـو ادولف غيـرو A . Guerault . ان المجموعة الصغيرة المتحلقة حول فنسار « والخلية الشعبية » لا يمكن اهمالها ابدا . واذكر بانه اذا كان العامل في باريس لا يندمج بشكل عام مع مدرسة ذات عقيدة اريستوقراطية ، معقدة ،فانه ليس لا مباليـا تجـاه بعض نغمـات التبشير السان سيموني . وعندمـا يستمع الى انصـار سان سيمون فان افكاره حول الصراع الطبقي ومساويء النظـام الرأسمالي تأخذمظهرا اكثر وضوحا . يُعلن ريمون بونور Bonheur الذي كان يبشر بالسان سيمونيه في حي آرشيف ، انه « اذا كان الكثير من العمال ما زالوا لا يشعرون بسير الامور .. » .الا انهـم يعيرون اذنـا صاغية لكلمة « المنافسة » . هذه الكلمة « فـي

« قبحها يعيهـا عدد من الرجال الذيـن يرون مؤسستهم تنهار .. ومن لا عمل لهم يتمرّنون عبر ألمهم على حياة اكثر اخلاقية » .

ان سان سيمون اقطاعي كبير ، وبالمقابل فان شارل فورييه مستخدم صغير في التجارة . كان هو ذاته ينعت نفسه بـ« محاسب دكان » . واذا وضعنـا موهبته الاصيلة والعميقة جانبا ، فـان لديه اساليب برودوم (١) وغوديسار (٢) . إن احلامه الشهوانية هي احلام وكيل متجول يضايق الخادمات بشكل شيطاني . كان يعيش عازبا حياة بليدة وبدون افق في شقة صغيرة جدا بالقرب من القصر الملكي . كانت حياته اليومية ، مثلها مثل التجمع الانتاجي الاشتراكي (الفالانستيير) الـذي بناه خياله ، منظمـة بشكل دقيق . كان كل يوم وفي ساعة معينة ، يدخل الى منزله وينتظر الرجل الغني والكريم الذي سوف يسمح له بتجربة نظامه . ومثله مثل سـان سيمون ، فقد اعتقـد في وقت من الاوقات ان نابليون الاول يمكن ان يكون المبادر او بالاحرى الذراع التي تحمي المجتمع الجديد والذي هو في طور المخاض . كان هناك نعتان كريهان جدا بالنسبة لفورييه ، كان يتألم من امكانيـة اعتباره اما رجـلا اخلاقيـا او رجـــلا جمهوريا . ومثل سان سيمون ، كان يهز كتفيه امـام الخرافـة السوائية . واذا كان قد بشر بشدة بالحرية الجنسية وحريـة الغرائز ، واذا كان قد طالب بتفتح كل ملكات الانسان ، فانه قليلا ما اهتم بالحرية السياسية . يبدو انه ينبغي علينـا ان نعطي الظل النابليوني الذي ارتسم جانبيا على فكر رائدي الاشتراكية ، كـل الاهتمـام الذي يستحقه . او لـم يحلم نابليون الثالث بان يكون سان سيمونـا ناجحا ؟ ومع ذلك فانه لا الامبراطور ولا الرأسمالي الذي لـم يحضرا الى منزل فورييه لكي يخلقا التجمع الانتاجي . الا ان فورييه كان سعيدا لكونه جمع بعض الانصار قبل ان يتوفى عام ١٨٥٧ . اهم هؤلاء مواطنه الفرنسي ـ الكونتي (نسبة الى مقاطعة Frach - comté الفرنسية) فيكتور كونسيدران البوليتكنيكي

---

(١) رمز الامتثالية البورجوازيـة .

(٢) بطل رواية بلزاك : الشهير . وهو نموذج للوكيل التجاري السطحـي والثرثـار .

القديم وضابط المدفعيةسابقا . الا انه مهما كانت المكانة التي احتلها الفورياليون في التاريخ الاجتماعي ، فانهم احدثوا ضجة أقل بكثير من السان سيمونيين . كان كونسيدران في الخمسينات يعتزم تأسيس مستعمرة اشتراكية في تكساس . الا ان هذا العمل ولد ميتا . كان فشل كونسيدران تاما ومخيبا اكثر بكثير من فشل كابي في ناوفو او فشل انفانتان في السويس .

لقد جعل الناس من فورييه ، وبحق ، **رائدا** لفرويد . ان فورييه يتفحّص عن قرب ميل الطفل ، والصفحات التي كتبها حول التربية كانت رائعة . (ان فطنته تغدو اكثر اثارة سيما وانه لا يخفي أبدا كونه لا يحب الاطفال) . كان فورييه يعتقد ان الناس بشكل عام ، لا يفعلون ابدا ما يرغبون فعله في المجتمع المسمّى متمدنا والمبني على مبدأ المنافسة . كما يعتقد انه اذا كان الناس متعطشين للمال،واذا كانوا يبدون جشعين في طلب الثروات ، فذلك يعود اولا الى خوفهم من الظهور بمظهر الضحية ، وايضا بهدف نسيان عمليات العنف التي يشكو منها عقلهم الباطن ، انهم يريدون بالغريزة ممارسة هذه المهنة او تلك ، الا ان المجتمع والوراثة والتقاليد لا تسمح لهم بذلك . ولسوف يكونون على الطريق التي ارغموا على السير فيها على قدر من الضراوة يساوي احساسهم بانهم لا يجدون انفسهم في الطريق الحقة التي كانوا يودون سلوكها .

ان زعماء التجمع الانتاجي الاشتراكي هم الذين تقع عليهم مهمة **تفنيح الميول** . يعتقد فورييه ان كثيرا من الوقت وكثيرا من الجهود تبذل من اجل القيام بالاشغال المنزلية والمقرفة . ان الجماعة تستطيع تنفيذ هذه المهام وبذلك يتم تحرير الفرد . لقد تنبأ فورييه بالمبنى الاميركي الكبير وبمطعمه العام في خطوطه العريضة .انه ينبغي العثور على كل الميول الكفيلة بخلق كل اجتماعي متماسك ومكثف تقريبا بذاته في كل اربعمائة اسرة . ان فورييه شأنه شأن سان سيمون يريد الرفاه للانسان كما يريد تحديث الانتاج . في الوقت ذاته انه يخاف الاختناق المعنوي والجسدي في المدن الكبيرة . انه يطالب باقامة التجمع الانتاجي الاشتراكي

في الريف . ان كل ذلك هـو احلام لا تخلو من الذكاء . في يومنا هذا ، ونتيجـة السهولة التي بواسطتهـا يتم ايصال الكهرباء الى مسافات بعيدة ، يجري تنظيم تجمعات صغيرة تتركز فيهـا صناعات تعمل بتقنيـة عالية . وهذه التجمعات تبقى بعيدة عـن المدن التي تصعب الحياة فيها : ان العالم يسير نحـو دمج المدينة والريف ، وانه لامر ذو دلالة ان علمـاء الاجتماع الشباب فـي روسيا السـوفياتيـة يدرسـون فورييه في هذه الأيام وبكثير من العنايـة .

لم يشغل فورييه نفسه كثيرا بالمسائل السياسية . لقـد ذكرت عداوته للجمهورية . وكذلك الامر بالنسبـة لكونسيدران الذي اهمل خلال الايام الاولى من عمله مسائل الحكومة بالمعنـى الحصري . حتى انه ابدى نوعا من الولاء الذي يثير الاحتقار لملكية تموز . ومع ذلك فان كونسيدران كان ينتقل الى صف الجمهوريين والاشتراكيين الديمقراطيين بقدر مـا كانت تتوضح التصدعات التي سوف تدمر نظام « الوسط المحمود » Juste Milieu .
لقد ساهمت جريدته « الديمقراطية المسالمة » ، اثناء شتاء ١٨٤٧، بالتحريض حول مأدبة الدائرة الثانية عشرة . سوف يدخـل كانتاغريل ، الذي يأتي بعد كونسيدران ، كتلميذ نشيط ونموذجي لفورييه ، الى الجمعيـة التشريعية حيث سيمثـل منطقة لوار اوشيـر . وفي ظل الامبراطورية الثانية ، ناضل بنشاط فـي صفوف المعارضة الجمهوريـة . كتب سيباستيان كوميسير ،وهو ضابط صف من اصل ليوني كان ايضا ممثلا للشعب اثناء الجمهورية الثانية ــ اتيت في السابق على ذكر مذكراته واحكامـه القاسيـة على البير ــ يكتب سيباستيان بحق : « ان التجمع الانتاجـي الاشتراكي لم يجد انصارا لـه بيـن الطبقة العاملة ابدا » . غير اننا نستطيع ان نبدي ملاحظات حول الفوريالية مـن نفس نـوع الملاحظات الخاصة بمدرسة سان سيمون .

هناك زعماء عماليون لم يؤيدوا بوضوح التجمع الانتاجـي بيد انهم قد درسوا فكر فورييه . وهناك حالة نموذجية : لقـد نشر كوربون كمـادة للتربيـة افكارا قريبة من فكـر فورييـه .

ينبغي ـ كما يقول ـ توجيه الاهواء لا كبح جماحها . يجب ان نشير ايضا الى ان عامل الزخرفة بوتييه Pottier الذي الّف من ضمن ما الّف اناشيد الاممية ،كان من اتباع فورييه .

لن أعود ابدا الى لويس بلان . الواقع اننا قد درسنا آلية المعامل الاجتماعية التي جعل بلان من نفسه مدافعا عنها في كتاب **تنظيم العمل** ، وذلك عندما تحدثنا عن المعامل الوطنية. كان السان‌سيمونيون والفورياليون يقفون موقف الحذر من الدولة. وعلى العكس من ذلك ، كان لويس بلان يعتقد ان الدولة ينبغي ان تساعد الفئات البائسة من الامة وان تساهم في تشغيل المعامل الاجتماعية . لكن ينبغي الا نأخذ حرفيا التهجمات العنيفة التي تعرض لها لويس بلان من قبل برودون . ان لويس بلان هو اقل تأييدا بكثير لتدخل الدولة وللاقتصاد الموجه عكسا لما يقوله خصمه البارع . ان بيير ليرو هو احدى الشخصيات الاكثر اصالة في الثامن والاربعين . لقد كان الفيلسوف الاشعث للجمهورية الثانية . شعر اشعث ، وهندام مختل جدا ... أدى هذا الى ان افتتنت به جورج صاند ، وهكذا فاننا بفضل روايات جورج صاند ، وخاصة « سبيردون » ، يمكننا التعرف جيدا الى بيير ليرو.انه لمن الصعب ان نضع فكره في منظومة فكرية معينة ، لانه مبهم وغير منظّم مثل شخصيته ذاتها . كان ليرو من جهة اخرى يهتم بالماورائيات والفلسفة القديمة اكثر من اهتمامه بالاقتصاد الاجتماعي . لقد هاجم بشكل ذكي وبارع في آن معا فيكتور كوزان ، كبير عقديي الجامعة (١) اثناء ملكية تموز . وفيكتور كوزان هذا ، كان قد عقلن المذهب الانتقائي الذي تشبّعت به عدة اجيال من الطلاب الثانويين . من جهة اخرى حلّل بييرليرو بنية المجتمع الفرنسي . لقد كان ، في القسم الاول من القرن

---

(١) هيئة تأسست عام ١٢٠٨ في باريس وكانت تمتلك في الاصل امتيازات كبيرة ، فهي وحدها لها الحق في التعليم كما كان لها تشريعها الخاص . وقد تدخلت عدة مرات في الشؤون العامة وكانت تدافع عن الحريات العامة . الغيت عام ١٧٩٠ واعاد نابليون الاول تنظيمها ووضعها تحت ادارة الدولة ثم اخذت شكلها المعروف . (المترجم) .

التاسع عشر ، احد الكتاب القلائل الذين اقلقهم الركود النسبي لعدد السكان الفرنسيين .. ففي حين كان يرافق التصنيع في انكلترا والمانيا تزايد في عدد السكان ، كانت فرنسا ، التي تخضع للمالتوسيين ، تقلل من عدد الولادات فيها . كان ليرو قد انضم الى السان سيمونيين ، وقد قال هو نفسه ان سان سيمون وفورييه كانا « رفيقيه » . ان مذهبه ، اذا صح التعبير ، لان كلمة « نزوة » يمكن ان تكون اكثر ملاءمة ، هو « تفريغ الفضلات » Le circulus درس بيير ليرو قيمة براز الانسان كسماد وكان يستاء من كون الانسان يُهمل ببلاهة سماده الخاص . ان « تفريغ الفضلات » هو الاستعمال الصائب لبرازنا ... كان ليرو ، الذي نفي بعد الانقلاب ، يلتقي غالبا بفيكتور هيجو ، وكانا يثرثران مطولا على شاطيء البحر . روى ليرو هذه اللقاءات في كتاب جميل جدا وغير معروف بما فيه الكفاية ، هو « ساحل ساماريز » . كان هيجو في نفس الوقت يكتب « البؤساء » . ولقد تساءلت ما اذا كانت الصفحات الطويلة التي كتبها هيجو بدوره حول المجارير وحول معي لوفياثان ، هي صدى لتلك اللقاءات . « هذه المجارير النتنة من الحمأة تحت الارض ، اتعرفون ما هي ؟ انها الحقول المزهرة ، انها العشب الاخضر ، انها الزعتر والقوّيسة ، انها الطرائد ، انها البهائم ، انها خوار الشبع عند الثيران في المساء ، انها الكلأ المعطّر ، انها القمح المذهب ، انها الخبز على مائدتكم ، انها الدم الحار في عروقكم ، انها الصحة ، انها الفرح ، انها الحياة » .

اشتغل بيير ليرو عاملا ، كان صفيفا في مطبعة ، غير ان عائلته التي عاشت حياة صعبة ، ليست من منبت شعبي . انبيار جوزف برودون هو اكثر قربا من الشعب ، كان ابوه صانع براميل وامه خادمة مياومة في احدى ضواحي بيزانسون . (ان ارض فرانس ـ كونيه غنية بالثوريين) . مع ذلك استطاع برودون بدء دورسه الكلاسيكية في معهد بيزانسون ، لم يكن العصامي الذي يصوّره عادة كتّاب سيرته ، او بشكل ادق ، ليس عصاميا بشكل مميز ومطلق . لقد سعى للتشبه برجل الشعب ، الا انه ليس بالطبع رجلا شعبيا . واذا كان هذا الصحفي الذي لا مثيل

له قد عرف بكثير من الفطنة أية مقالة كان العامل ينتظر ، فانه لم تكن له الا صلات عابرة مع العمال . كان محيطه مؤلفا من رجال فقراء لكنه لم يكن مؤلفا من رجال يعملون في المانيفاكتورات . عام ١٨٤٠ ، نشر برودون **بحث حول الملكية** فأثار ضجة . اننا نجد في هذا الكتاب العبارة الشهيرة : « الملكية هي السرقة » . كان برودون في الواقع اكثر حكمة واعتدالا مما توحي به عباراته . كان يميّز بين عدة مظاهر للملكية . كان برودون ، ذو الفكر الثاقب والمجادل ، مولعا بالماحكات القضائية ، درّس احد ابناء عمه في احدى كليات الحقوق ، لقد كان دم رجل القانون يسري في عروق بيير جوزف . وبالاجمال ، كان برودون يقترح اعادة ما كان الرومان يسمونه « ملكية سكان روما » الى الجماعة ، غير انه لم يكن يسعى الى ان ينتزع من الفلاح الصغير حقله وابقاره . وعلى النقيض في سان سيمون وفورييه ، لم يكن متمسكا بمبدأ الوفرة . انه اخلاقي ، فهو يتمنى للناس حياة كريمة اكثر مما يتمنى لهم حياة غنية . لقد دافع بحرارة عن عام ٨٩ ، فقد أحلّت الثورة حكم العدالة محل حكم الرعاية الالهية ، انه معاد بحدة للدين : « عندما يحدثونني عن الله ، فانما يريدون اما النيل من حريتي واما النيل من مالي » . ان الكنيسة التي ترتكز الى مبدأ الرعاية والاستبداد ، هي ملكية بالضرورة وينبغي ان تزول تحت شمس العدالة . الا ان برودون يعادي اليعقوبية عداءه للكاثوليكية . روبسبير ، في نظرة ، اعاد النظام الملكي والديكتاتوري الى فرنسا . و « الثورة » في مرحلتها السوية هدّامة ، انها ماثرة التعرية (التشليح) . لقد امتدح الجيرونديين وكره اليعاقبة والجبليين الذين وضعوا البلاد في كماشة من حديد وبذلك قدموا مأثرة رجعية .

كانت فكرة برودون الكبرى اثناء الجمهورية الثانية هي **القرض المجاني** . كان برودون مقتنعا بانه في اليوم الذي يتصرف فيه المجتمع بالمال المدخر ، ودون ان يدفع ضريبة للبنوك وللرأسماليين ، عندئذ يتم تبادل المنتجات بمقتضى العدل ويسود العصر الذهبي في العالم . طالب برودون في المجال الاقتصادي

بالتبادلية (١) ، بالتبادل المتكافيء . عام ١٩٤٩ اسس « مصرف الشعب » الذي بدأ بالتبادل المتساوي فعلا وذلك بتسليفه الجمعيات العمالية بشروط ملائمة للغاية . الا ان مصرف الشعب لم يكن الا نزوة عابرة وقد اخفق بشكل يثير الشفقة اكثر من المستوطنة الاشتراكية (الفلانستيد) في تكساس .

كان برودون يدافع عن الفوضوية واللاحكومة . وهو ما يفسر نجاحه واخفاقه في آن معا بين جماهير ١٨٤٨ . لقد ثار ضد الكاهن ، ضد الضابط وضد القاضي . صفق له عدد من العمال الذين كانوا يشعرون بمدى قسوة قيود المجتمع . وفي الوقت نفسه كانوا حيارى امام تهجمه الدائم على اليعاقبة والشيوعيين ، على روبسبير وبابوف .

عرفت ثورة ٤٨ اخذا وردا دائمين بين الايديولوجيات السلطوية والايدولوجيات الفوضوية . سيستفيد لويس نابليون بونابرت من هذا الاخذ والرد استفادة مزدوجة . في نظر السلطويين :« قد يؤمن لنا سعادتنا» كما كان يقول بعض العمال، افضل من ثرثاري الجمعية وسوف يعطينا هذا المليار الذي طالما طالب به باربيس عبثا من اعضاء الجمعية التأسيسية » . اما الفوضويون فكانوا يقولون :« بما أن مشكلة الحكومة هي في النهاية ثانوية ، وبما ان المسألة الاجتماعية ينبغي ان تنتصر على المسألة السياسية ، فاننا لا نهتم كثيرا بالسمة التي تتخذها الدولة : ينبغي الا ننخدع بكلمتي جمهورية وامبراطورية » . غداة الانقلاب العسكري الذي نفذه لويس بونابرت ومورني وموباس، وضع برودون كتابا صغيرا **الثورة الاجتماعية التي اكدها الانقلاب**، ظهر فيه الامير الرئيس مبرأ جزئيا من جرائمه ضد الجمهورية . كان وزير المالية السابق غودشو ،الذي حارب بشراسة ضد العمال في يونيه ١٨٤٨ ، مستاء من كتاب برودون :« لحسن

---

(١) التبادلية البرودونية هي ان لا ترضى لغيرك ما لا ترضاه لنفسك . وان تحب لغيرك ما تحب لنفسك . وتجسيدها الاقتصادي هو مؤسسة القرض المجاني حيث ينظم مصرف التداول بدون نقود . (المترجم) .

الحظ ، على حد قول غودشو مطمئنا نفسه ، ان الكتاب ليس كتابا شعبيا ، لحسن الحظ ان ثمن الكتاب مرتفع ، وأية مصيبة كان يمكن ان لا يحدثها في المصانع الباريسية »؟

عام ١٨٥٠ و ١٨٥١ ، وبينما كانت الجمهورية تذوي،كانت ترتسم حركة مزدوجة . فمن جهة كان عدد من الجبليين يسعون اكثر فأكثر الى تخفيف ضغط السلطة . ان حالة ليدرو رولان هي مثيرة للغاية وعجيبة . ليدرو رولان الذي كان في ٤٨ مشدودا لذكرى الاجداد العظام ، تبنى خلال فترة ما في المنفى فلسفة اللا حكومة القريبة من الفلسفة البرودونية . ولانه لم يعرف كيف يحكم فقد اتخذ موقفا ضد الحكومة . اني احيل قرائي الذين يهتمون بهذه المسائل الى كراسه الذي نشره عام ١٨٥١ والمكتوب بلهجة ذات دلالة : لا رئيس، **لا نواب بعد اليوم**. وفي الفترة نفسها، كان ريتنفهاوزن ، العضو السابق في برلمان فرانكفورت ، يبث بين بعض الجماعات الجمهورية افكاره حول **الحكومة المباشرة** . كان ريتنفهاوزن يزايد على الشكل الديمقراطي للمقاطعات السويسرية مقترحا كومونات مستقلة حيث يجتمع المواطنون في الساحة باستمرار ويصرّفون الشؤون العامة مباشرة ودون وسيط . كان برودون قليل الاحترام لنظريات ريتنفهاوزن وكان يكشف بشيء من الذكاء ان مثل هذه الادارة فيها شيء من الكلفة والحقارة وحتى الاستبداد . كان احتقاره لكل حكومة مهما كانت ، — « ان الدستور هو بردعة او حوض الاستبداء (الحوض الذي يغسل المرء فيه أسته) » وهكذا كان يقول بكبرياء — كان هذا الاحتقار يمتد الى الحكومة المباشرة . غير ان الحائك الشيوعي جوزيف بنوا مثلا ، والذي اصبح ممثلا للرون في الجمعية التشريعية ، قد اغرته نظريات ريتنفهاوزن . ومع ذلك فان الاتجاه الثاني ،اي السلطوي والبابوفي ، بقي راسخا . كان دستور ١٨٤٨ ينص على انتخابين في عام ١٨٥٢ : كان على المواطنين ان ينتخبوا اعضاء الجمعية التشريعية وان ينتخبوا من جديد رئيسا للجمهورية . ولمّا كان قانون ٣١ مايو ١٨٥٠ يتطلب شروط سكن قاسية جدا لممارسة حق الانتخاب فان عددا كبيرا من المواطنين وجدوا انفسهم مستبعدين من الاقتراع . وهكذا

اعيد تشكيل جمعيات سرية ، خاصة في منطقة اللوار والجنوب الشرقي ، مثل « الماريان » و« الجبل الشاب » حيث تزدهر ايديولوجية روبسبير ـ بابوف وايديولوجية « جمعية حقوق الانسان » . ان اعضاء هذه الجمعيات السرية يتصورون بانفعال وبلبلة انهم سيذهبون في ١٨٥٢ الى صناديق الاقتراع والبندقية في يدهم وان الثورة الاجتماعية والديمقراطية لا مفر منها هذه المرة .. « لقد كنا وديعين جدا في فبراير ١٨٤٨ ، اما في ١٨٥٢ فلن نوفر احدا . اننا نقسم على ذلك بالخنجر ! يحيا الخنجر ! » . في مرسيليا وخلال صيف ١٨٥١ ، كانت صيحة « يحيا الخنجر » تدوي عاليا في آذان البرجوازيين الذين اصابهم الهلع وباتوا مقتنعين اكثر فاكثر بان الامبراطورية وحدها هي التي ستوفر عليهم مصيبة الثورة ... اعتقد ان مسارات تحليلي ذاتها قد برهنت بشكل واضح نسبيا كيف ان بناة المذاهب الاجتماعية قد جعلوا قادة الطبقة العاملة اكثر وداعة ، وكيف ان هؤلاء القادة الخائبين قد ارتدوا من جديد فيما بعد الى ايديولوجيات بدائية وعنيفة ، واخيرا كيف ان السيف النابليوني قد فتح ثغرته الظافرة في متاهة الحماسات والقناعات والترددات وخيبات الامل . لكن الا يبدو ، وراء هذه التحاليل الجافة ، ان لعنة تلاحق العمال الذين هزمهم الشطار في لحظات استسلامهم الساذج الحنون ، والذين ، هزمهم في ساعات عنفهم ، نفس الخوف الذي أوحوا به ؟

فهرست

صدر حديثا

- **الجيش والحركة الوطنية**

مصر ــ اندونيسيا ــ اليابان ــ الصين ــ الكونغو ــ فيتنام الخ ...

مجموعة من الباحثين

بأشراف الدكتور انور عبدالملك .

الثمن : ١٠٠٠ ق . ل

- **التراكم على الصعيد الدولي**

نقد نظرية التخلف

تأليف سمير امين

الثمن : ١٢٠٠ ق . ل

- **الامبريالية وقضايا التطور الاقتصادي في البلدان المتخلفة**

تأليف : بول سويزي ــ ليو هيوبرمان وآخرون

الثمن : ٤٧٥ ق . ل

- **ازمة الطاقة في الولايات المتحدة ونفط الشرق الاوسط**

تأليف : جوستورك

الثمن : ٣٠٠ ق . ل

- **كنت في ظفار**
مشاهدات في ارض الثورة
بقلم : سعيد احمد الجناحي
الثمن : ۲۰۰ ق . ل

- **الاجراس الصامتة**
مجموعة قصص يمنية
بقلم : احمد محفوظ عمر
الثمن : ۲٥۰ ق . ل

- **قمر جرش كان حزينا**
اشعار ثورية فلسطينية
للشاعر عزالدين المناصرة
الثمن : ٤۰۰ ق . ل

- **حروب التدخل الاميركية في العالم**
اليونان ــ لبنان ــ الدومنيك ــ فيتنام ــ ايران ــ الكونغو
الثمن : ۷٥۰ ق . ل

- **اليمن : ثورة في الجنوب وانتكاسة في الشمال**
الدكتور محمد علي الشهاري
الثمن : ٦٥۰ ق . ل

يصدر قريبـا

- **حياة وموت التشيلي الشعبية .**

ألان توريـن

- **الثورة والثورة المضادة في المانيـا**

فريدريك انجلز

- **الثورة العماليـة في فرنسا**

١٨٤٨

جورج ديفـو

- **النظام الهاشمـي**
والحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني

عصـام أحمد الفايـز

دار ابـن خلدون
المكاتب الجديدة
شارع سوريا ــ بناية مكرزل ــ قرب التعاونية
الاستهلاكية ــ ص . ب ٩٣٠٨
بيروت ــ لبنان

جورج دنفو

الثورة العمالية في فرنسا

دار ابن خلدون

هذا الكتاب

لا يوجد بين يدي القارىء العربي عن ثورة ١٨٤٨ الباريسية سوى كراس ماركس الثمين الصراعات الطبقية في فرنسا .

ويأتي اليوم هذا الكتاب ليضاف لكراس ماركس كرائد لا غنى عنه لفهم الخلفيات التاريخية للتيارات الفكرية ولزعماء الحركة العمالية الذين تركوا بصماتهم على الحركة ككل . لانه بدون الرجوع الى هذه الخلفيات والتي ستغطي احيانا قرابة النصف قرن لا يستطيع القارىء ان يدرك الجذور التاريخية لمجمل الايديولوجيات التي اسهمت في تخليف وعي عمال باريس في ١٨٤٨ عن ادراك المخرج الثوري من الازمة الناشبة .

وفضلاً عن ذلك فهذا الكتاب يقدم منهجية مثلى لكيفية القيام بدراسة تاريخية . وهو امر لايحتاجه القارىء العادي وحسب وانما يحتاجه الباحثون ايضا .

الثمن : ٥٥٠ ق. ل.
او ما يعادلها